

للدكتور فاندر

الجزء الاول

لا تحريف في التوراة والإنجيل

GOOD WAY · RIKON/SWITZERLAND

مقدمة

الحمد لله نعيش في عصر العلم والتنور . وليس مكان للمتعصب والمتدين والناموسي . بل أوساط الدنيا مفتوحة للبحث الموضوعي والتفاهم المبني على أسس الحقيقة . فأن كنت من الذين يفتشون عن الحق فندعوك للدراسة الخالية من العواطف ، لتجد جوهر الوحي وتلبس قوة العلي .

الحمد لله مرة أخرى لأن الخبير الدكتور فاندر الف منذ أكثر من مائة سنة هذا الكتاب الشهير **ميزان الحق** ، ولم نجد حاجة للتغيير فيه ، لأن مقارناته متينة ومبنية على احترام وفهم وعدل . فيسرنا ان ننشر كتابه مرة اخرى عسى ان بعض الشباب يغادرون جو القرون الوسطى وينطلقون الى حرية الفكر وحياة مبنية على الواقع والمنطق والمحبة .

وبما ان القارىء العادي يقرأ وينسى ويضع الكتاب في رفوفه ، نقدم هذا الكتاب كسلسلة دروس بالمراسلة لتستطيع التعمق في المواضيع المختلفة . لأن كل من يتعمق كتابيا في الابحاث يكسب فوائدها حقا ، وبزيادة على هذه المعرفة نقدم لكل ناجح في الدروس كتبا اخرى مجانا هدية للتعمق الاكثر ، لان المجتهد يستحق معرفة اكثر وقوة اليقين في فرح المحبة والاحترام

الناشرون

THE GOOD WAY · P.O. BOX 66 دار الهداية
CH-8486 RIKON (SUISSE)

الباب الاول

في بيان ان العهد القديم والجديد (أي التوراة والانجيل)
هما كلام الله ولم يحرفا ولم ينسخا

—*—

الفصل الاول

في شهادة القرآن للتوراة والانجيل

لا يخفى ان العلماء قد قسموا البرهان الى نوعين عقلي ونقلي فالاول يحتوي على الدليلين الخارجي والداخلي. ولو كنا نؤلف تأليفاً لاقناع الكفار والملحدين وعبدة الاصنام لكان يجب علينا اولاً ان نأتي بالدليل الخارجي بان التوراة والانجيل هما قديمان وغير محرفين ونبين وجوب الاعتماد عليهما لانهما وحي من الله تعالى. ثم علينا ان نذكر تاريخ كل سفر من اسفارهما بمقدار امكاننا لنبين كيفية جمع الاسفار. وهل يحق لنا بعد وزن الدليل الخارجي ان ننسب الاسفار للانبياء الذين كتبت اسماؤهم عليها ام لا ؟ واخيراً نبحث في حقيقة الدليل الداخلي المأخوذ من نفس الاسفار ونبين نتيجة بحثنا

اما المسيحيون فانهم كرروا ذلك. وسببه ان الملحدين وغيرهم

اثاروا حرباً عواناً ضد الكتب المنزلة.فلاقناعهم فحصوا وحققوا جميع الادلة سواء كانت لهم أو عليهم لكونهم شديدي التمسك بالوصية المقدسة القائلة«امتحنوا كل شيء تمسكوا بالحسن» (الرسالة الاولى الى تسالونيكي ٥:٢١) فاطاعة تلك الوصية مطلوبة منا بامر من الله تعالى الذي وهبنا عقلاً لاجل هداية خطواتنا في سبيل تمجيد اسمه الاقدس.وحيث ان الحق من اخص صفات الباري سبحانه وتعالى فهو لن يبيد ولن يتلاشى بل يجب ان يبقى ابدياً.والذي يريد البحث عن الحق الالهي ويروم السير في مسالكه حسب ارادة الله المقدسة لا يخوفه ولا يصده عن ادق تنقيب حول اسس ايمانه شيء ما.وبعد اتمام ذلك التنقيب والبحث لا يثبت على صخرة الحق وحده فقط بل هو قادر ايضاً على اعانة آخرين مثل اللاادرية وغيرهم من المترددين والمذبذبين في لجج الريب والشك. فايمانه حينئذ يستحق ان يطلق عليه اسم ايمان ومسماه مؤمن اذ ليس هو كتقليد الجاهلين ولا كتمسك المتعصبين

اما الادلة العقلية على صحة الديانة المسيحية فكتاب العلماء المسيحيين مملوءة بالمصنفات في موضوعها.وليس هنا محل لايرادها لان غرض هذا التأليف ليس اقناع الكفرة بل مساعدة اخواننا

المسلمين الذين يقبلون القرآن كآخر اعلان من الله تعالى لهم ويؤمنون بانه يحتوي على كلام الله نفسه. فأهم من كل شيء عند المسلم اعتقاد صدق ما قاله القرآن الشريف بخصوص الكتاب المقدس ومما زاد عندنا اهمية هذا البحث كون بعض المسلمين الجاهلين يعتقدون بعكس ما قاله القرآن في ذلك وما سببه الا سوء الفهم[1] ولا يستغرب اذا قلنا ان اكثرهم يعتقد في الكتاب المقدس ضد شهادة القرآن له. فيجدر بكل مسلم ان يشترك معنا في البحث عن شهادات القرآن للتوراة والانجيل وافادته عنهما لنستفيد جميعاً فائدة تذكر فتشكر .

يعلم الجميع ان المصحف يشهد انه وجد في جزيرة العرب زمن صاحب القرآن امتان مختلفتان في الدين قال في سورة (البقرة آية ١١٣) «وقالت اليهود ليست النصارى على شيء وقالت النصارى ليست اليهود على شيء وهم يتلون الكتاب كذلك قال الذين لا يعلمون مثل قولهم» وملخص ما قاله البيضاوي في تفسيره على هذه الآية انها نزلت عند قدوم وفد نجران على صاحب القرآن حيث تناظروا مع احبار اليهود وتقاولوا بذلك. ليست على شيء أي على أمر يصح ويعتد به والحال

---

(١) يجدر بالقارئ الكريم ان يقتني نسخة من كتاب خلاصة الادلة السنية على صدق الديانة المسيحية المطبوع في بيروت سنة ١٨٧٧

انهم من اهل العلم والكتاب. ومثل قولهم قال الذين لا يعلمون كعبدة الاصنام والمعطلة اه. لكنهما وان اختلفا ديناً فقد اتحدا بتسمية كل منهما اهل الكتاب ألا وهما المسيحيون واليهود قال في سورة (آل عمران آية ٦٩) «ودت طائفة من أهل الكتاب لو يضلونكم. وما يضلون الا انفسهم وما يشعرون. يا اهل الكتاب لم تكفرون بآيات الله وانتم تشهدون. يا اهل الكتاب لم تلبسون الحق بالباطل وتكتمون الحق وانتم تعلمون» وفي (آل عمران ايضاً آية ١٢٠) «ولو آمن اهل الكتاب لكان خيراً لهم منهم المؤمنون واكثرهم الفاسقون» وفيها ايضاً (آية ١٩٩) «وانّ من أهل الكتاب لمن يؤمن بالله وما انزل اليكم وما انزل اليهم خاشعين لله لا يشترون بآيات الله ثمناً قليلاً اولئك لهم اجرهم عند ربهم» وفي سورة (النساء آية ١٥٣) «يسألك اهل الكتاب ان تنزل عليهم كتاباً من السماء» وفيها (آية١٥٧) «وإن من اهل الكتاب الا ليؤمنن به قبل موته» وفي سورة (العنكبوت آية ٤٦ و٤٧) ولا تجادلوا اهل الكتاب الا بالتي هي احسن الا الذين ظلموا منهم وقولوا آمنا بالذي انزل الينا وانزل اليكم والهنا والهكم واحد ونحن له مسلمون»

ان القرآن يشهد ان الكتاب الذي انتمى اليه هذان الشعبان لم يزل

موجوداً بصحته الى زمنه قال في سورة (البقرة آية ١٠٥ و١٠٩) «ما يود الذين كفروا من اهل الكتاب الخ. ودّ كثير من اهل الكتاب الخ»
وفي سورة (آل عمران آية ٢٠ و٢٣) «وقل للذين اوتوا الكتاب والاميين الخ — الم تر الى الذين اوتوا نصيباً من الكتاب يدعون الى كتاب الله ليحكم بينهم ثم يتولى فريق منهم وهم معرضون»
قال البيضاوي : ما ملخصه الداعي محمد وكتاب الله القرآن والتوراة اه

وفيها ايضاً (آية ٦٤) «قل يا اهل الكتاب تعالوا الى كلمة سواء بيننا وبينكم الخ» (وآية ٦٥) «يا اهل الكتاب لم تحاجون في ابرهيم وما انزلت التوراة والانجيل الا من بعده الخ» (وآية ٦٩) «ودت طائفة من اهل الكتاب لو يضلونكم الخ» (وآية ٧٠) «يا اهل الكتاب لم تكفرون بآيات الله وانتم تشهدون» (وآية ٧١) «يا اهل الكتاب لم تلبسون الحق الخ» (وآية ٧٢) «وقالت طائفة من اهل الكتاب الخ» (وآية ٧٥) «ومن اهل الكتاب من ان تأمنه بقنطار الخ» الى آيات كثيرة يسمي القرآن اليهود والنصارى بأهل الكتاب ولا شك انه هو الذي كان وقتئذ موجوداً بايديهم قال في سورة (المائدة آية ٤٧) «وكيف يحكمونك وعندهم التوراة فيها حكم الله الخ» (وآية ٤٨) «انا

انزلنا التوراة فيها هدى ونور يحكم بها النبيون الخ» (وآية ٧٢) «قل يا اهل الكتاب لستم على شيء حتى تقيموا التوراة والانجيل وما انزل اليكم من ربكم الخ» وفي سورة الاعراف يصرح بان اليهود تلقوا الكتاب (التوراة) بالتوارث عن آبائهم حيث يقول في (آية ١٦٨) «فخلف من بعدهم خلف ورثوا الكتاب الخ» حتى ان القرآن يأمر محمداً ان يسئل اهل الكتاب ان حصل عنده شك في القرآن ليتثبت قال في سورة (يونس آية ٩٤) «فان كنت في شك مما انزلنا اليك فاسئل الذين يقرأن الكتاب من قبلك الخ»

وحتى انه يشهد شهادات مفصلة ومبينة لاجزائه الثلاثة اي التوراة والزبور والانجيل قال في سورة (آل عمران آية ٣) «وانزل التوراة والانجيل من قبل هدى للناس الخ» وفي سورة (الانعام آية ٩١) «قل من انزل الكتاب الذي جاء به موسى نوراً وهدى للناس تجعلونه قراطيس تبدونها الخ» (وآية ٩٢) «وهذا كتاب (اي القرآن) انزلناه مبارك مصدق الذي بين يديه الخ» قال البيضاوي يعني التوراة أو الكتب التي قبله اه.وفي (آية١٥٤) «ثم آتينا موسى الكتاب تماماً على الذي احسن وتفصيلاً لكل شيء وهدى ورحمة لعلهم بلقاء ربهم يؤمنون» وفي آية١٥٦)«ان تقولوا انما انزل الكتاب

على طائفتين من قبلنا الخ» قال البيضاوي أي اليهود والنصارى اه.
وقال في سورة هود آية ١١٢) «ولقد آتينا موسى الكتاب فاختلف فيه الخ» وفي سورة المائدة حاكياً حالة اليهود بآية (٤٦) قال «وكيف يحكمونك وعندهم التوراة فيها حكم الله الخ» (وآية٤٧) انا انزلنا التوراة فيها هدى ونور يحكم بها النبيون» الى ان قال فيها «ومن لم يحكم بما انزل الله فاولئك هم الكافرون» وقال في المسيح والانجيل (آية٤٩) «وقفينا على آثارهم بعيسى ابن مريم مصدقاً لما بين يديه من التوراة وآتيناه الانجيل فيه هدى ونور ومصدقاً لما بين يديه من التوراة وهدى وموعظة للمتقين. وليحكم اهل الانجيل بما انزل الله فيه ومن لم يحكم بما انزل الله فاولئك هم الفاسقون» وقال في حالة القرآن (آية ٥١) «وانزلنا اليك الكتاب (اي القرآن) بالحق مصدقاً لما بين يديه من الكتاب (اي من جنس الكتب المنزلة) ومهيمناً عليه» اي رقيباً على جميع الكتب يحفظها عن التغيير ويشهدلها بالصحة والثبات اه بيضاوي
وقال بخصوص المسيح والانجيل واتباعه كما في سورة (الحديد آية ٢٧) «ثم قفينا على آثارهم برسلنا وقفينا بعيسى ابن مريم وآتيناه الانجيل. وجعلنا في قلوب الذين اتبعوه رأفة ورحمة ورهبانية ابتدعوها ما كتبناها عليهم الا ابتغاء رضوان الله فما رعوها حق رعايتها فآتينا

الذين آمنوا منهم اجرهم وكثير منهم فاسقون»

وقال بخصوص زبور داود (المزامير) كما في سورة (الاسرآء آية ٥٥) «ولقد فضلنا بعض النبيين على بعض وآتينا داود زبوراً» وقال في سورة (الانبياء آية ١٠٥) «ولقد كتبنا في الزبور من بعد الذكر ان الارض يرثها عبادي الصالحون»

ان القران المبين قد شهد في عدّة آيات ان التوراة والزبور والانجيل منزلة من عند الله تعالى وانه جاء مصدقاً ومهيمناً أي مراقباً وحافظاً ومثبتاً لها كما تقدم وكما في سورة (الملائكة آية ٣١) والذي اوحينا اليك من الكتاب هو الحق مصدقاً لما بين يديه ان الله بعباده لخبير بصير. ثم اورثنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا الخ»

وفضلاً عن ذلك يخبرنا بان من لا يقبل هذه الكتب ولم يؤمن بها سوف يعاقب في الآخرة عقاباً شديداً كما في سورة (غافر آية ٥٣ و٧٠) «ولقد آتينا موسى الهدى واورثنا بني اسرائيل الكتاب هدى وذكرى لاولي الالباب.» «الذين كذبوا بالكتاب وبما ارسلنا به رسلنا فسوف يعلمون. اذ الاغلال في اعناقهم والسلاسل يسحبون في الحميم ثم في النار يسجرون»

ثم نجد القرآن يقول بموافقة تعاليم التوراة لتعاليم الانجيل الذي

جاء به سيدنا عيسى المسيح كما في سورة (المائدة آية ٤٩) «وقفينا على آثارهم بعيسى ابن مريم مصدقاً لما بين يديه من التوراة الخ» وحيث ان القرآن يقول كل ذلك عن الكتاب المقدس فالحاجة لا تمس الى اظهار الادلة على صحة ذلك الكتاب كما يكون لو كنا نكتب لافادة كافر مثلاً

ورب معترض يقول (اولاً) انكم يا جماعة المسيحين لا يسعكم الاستشهاد من القرآن لانه غير مقبول لديكم ككتاب منزل من عند الله تعالى (وثانياً) ان الاسفار الموجودة الآن بايدي المسيحيين باسم العهد القديم والعهد الجديد ليست هي الكتب الاصلية المشار اليها في القرآن أو انها صارت محرفة وان لم تحرف فعلى كل حال هي منسوخة. فرداً على ذلك نسلم بان الاعتراض الاول كان في محله لو كان البرهان على المسيحيين وحيث انه اقيم على المسلمين المعتقدين بانزال القرآن من عند الله تعالى فالاستشهاد منه يكون برهاناً قاطعاً لانه مسلم عند الخصم والا فنحن معشر المسيحيين لا نحتاج الى اثبات صحة الكتاب المقدس بالاستشهاد من القرآن. واما الاعتراض الثاني فانه يعارض نصوص القرآن على خط مستقيم اذ يقول بعدم تغيير كلمات الله. قال في سورة (الانعام آية ٣٤) «ولا مبدل لكلمات الله ولقد جاءك من نبإ

المرسلين» وفي سورة (يونس آية ٦٤) «لا تبديل لكلمات الله» وفي سورة (الكهف آية ٢٧) «واتل ما اوحي اليك من كتاب ربك لا مبدل لكلماته» كما ستراه في بقية فصول هذا الباب من هذا المؤلف.والآن نكتفي قبل الشروع في ذلك بايراد بعض نصوص القرآن التي يشهد فيها للكتاب المقدس ثم نكشف عن اقوال اشهر المفسرين لكي نكون على بينة من معنى الآيات التي سنستشهد بها.

جلي من القرآن ان الكتاب كان موجوداً بين اهله في زمن محمد ولم يكن كما يزعم اسماً بلا مسمى.ولاجل اثبات ذاك نكتفي بقليل من كثير ففي سورة المائدة آية٧١ «قل يا اهل الكتاب لستم على شيء حتى تقيموا التوراة والانجيل وما انزل اليكم من ربكم وليزيدن كثيراً منهم ما انزل اليك من ربك طغياناً وكفراً فلا تأس على القوم الكافرين . ان الذين آمنوا والذين هادوا والصابئون والنصارى من آمن بالله واليوم الآخر وعمل صالحاً فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون» وسبب نزول هذه الآية ما جاء عن ابن عباس قال جاء رافع وسلام ابن مشكم ومالك ابن الصيف فقالوا يامحمد الست تزعم انك على ملة ابرهيم ودينه وتؤمن بما عندنا.قال بلى ولكنكم احدثتم وجحدتم

بما فيها وكتمتم ما امرتم ان تبينوه للناس.قالوا فانا نأخذ بما في ايدينا فانا على الهدى والحق (اسباب النزول)

فمن هذا يظهر ان محمداً اعان قبوله للكتب المتداولة بين اليهود ولو رفض البدع والاحداث التي قال انهم قد ادخلوها في رسوم ديانتهم الظاهرية.ومن هذا القبيل يوافق قول محمد لقول سيدنا المسيح لليهود في زمنه كما في بشارة (متى اصحاح ٢٣ وعدد ١٦—٢٤)«ويل لكم ايها القادة العميان القائلون من حلف بالهيكل فليس بشيء ولكن من حلف بذهب الهيكل يلتزم. ايها الجهال والعميان ايما اعظم الذهب أم الهيكل الذي يقدس الذهب الخ»

ولكن المهم هنا هو ان هذه الآية ورواية ابن عباس لسبب نزولها تثبتان ان التوراة والانجيل كانا موجودين عند اليهود والمسيحيين والا فلا معنى لامرهم باقامة الاوامر والنواهي الموجودة بتلك الكتب ان كانت اعدمت أو تحرفت.ففي الحالة الاولى تكون اطاعة الامر غير ممكنة بل مستحيلة وأما في الثانية فاطاعة المحرف تضلهم عن سواء السبيل

وفي سورة (البقرة آية ١١٣) «وقالت اليهود ليست النصارى على شيء وقالت النصارى ليست اليهود على شيء وهم يتلون الكتاب»

ومعنى صيغة قوله (يتلون) انهم كانوا في ذلك الوقت يتلون التوراة والانجيل وهما موجودان بين ايديهم والا كان الواجب استعمال صيغة الماضي دلالة على انهم تلوه في الماضي فقط . تأمل

وفي سورة (يونس آية ٩٤) «فان كنت في شك مما انزلنا اليك فاسئل الذين يقرءون الكتاب من قبلك الخ» وملخص ما حكاه جل المفسرين ان المخاطب محمد والمراد امته وكل سامع وامر بسؤال اهل الكتاب لانه محقق عندهم ثابت في كتبهم على نحو ما القينا اليك والمراد تحقيق ذلك والاستشهاد بما في الكتب المتقدمة فان القرآن مصدق لما فيها . أو وصف اهل الكتاب بالرسوخ في العلم بصحة ما انزل اليه . أو تهييج الرسول ص وزيادة تثبيته كما في البيضاوي وخلافه. وعلى كل فالفاظ هذه الآية تحكي لنا ان الكتاب المقدس كان موجوداً في زمن مجيء القرآن وانه يعترف بصحته ويثق به وبقرائه من اليهود والنصارى والا لما جاز له ان يطلب من محمد أو امته أو كل سامع ان يسألهم ليتثبت الايمان في قلوبهم ويزول عنهم الشك بشهادة هؤلاء الثقات وكتابهم الموجود الذي لم يغير ولم يحرف . ولا ريب انه لم يبق عند القارئ شك بسلامة الكتاب من كل شين ان كان يعتقد بصدق قرآنه المبين

وقال في سورة (الاعراف آية ١٥٨) مادحاً اليهود «ومن قوم موسى امة يهدون بالحق وبه يعدلون» والذي قاله البيضاوي على هذه الآية ما ملخصه «ومن بني اسرائيل طائفة يهدون الناس محقين أو بكلمة الحق وبالحق يعدلون بينهم في الحكم والمراد بها: الثابتون على الايمان القائمون بالحق من أهل زمانه. وقيل هم مؤمنو اهل الكتاب اه»

فيتحقق لديك بادنى تأمل ان هذه الآية تشهد ان الكتاب المقدس كان موجوداً بصحته وسلامته من كل تغيير في زمن اتيان القرآن وكانت امة موجودة عاملة باوامره ونواهيه

وفي سورة (آل عمران ٢٣) «الم تر الى الذين اوتوا نصيباً من الكتاب يدعون الى كتاب الله ليحكم بينهم ثم يتولى فريق منهم وهم معرضون» وملخص ما قاله البيضاوي ان سبب نزول هذه الآية ان محمداً دخل مدارس اليهود فقال له نعيم بن عمرو والحرث بن زيد على أي دين انت. فقال على دين ابرهيم. فقال له ابرهيم كان يهودياً. فقال هلموا الى التوراة فانها بيننا وبينكم فابيا فنزلت. وقال (الكتاب) أي التوراة أو جنس الكتب السماوية (يدعون الى كتاب الله ليحكم بينهم) الداعي محمد صلى وكتاب الله التوراة اه

فهذه الآية تبين جلياً ان التوراة كانت في زمن صاحب القرآن ولثقته بها سماها كتاب الله وطلب من خصومه ان تكون حكماً بينهم.

وفي السورة ايضاً (آية ٩٣) مع ملخص ما قاله البيضاوي «كل الطعام كان حلاً لبني اسرائيل» أي حلالاً لهم (الا ما حرم اسرائيل) يعقوب (على نفسه من قبل ان تنزل التوراة) أي قبل انزالها «قل فأتوا بالتوراة فاتلوها ان كنتم صادقين» امر بمحاجتهم وتبكيتهم اه

ومع محاولة البيضاوي ومحايدته فالآية تفيد ان التوراة كانت موجودة في زمن محمد بايدي اليهود وقوله عقب هذه الآية «فمن افترى على الله الكذب من بعد ذلك» من بعد ما لزمتهم الحجة «فاولئك هم الظالمون» الذين لا ينصفون من انفسهم ويكابرون الحق بعد ما وضح لهم اه ملخصاً. يثبت قطعياً ان التوراة كانت عند المدعي ثقة وحقاً من الله تأمل

وفي سورة (المائدة آية ٤٦و٤٧) مع ملخص تفسير البيضاوي «وكيف يحكمونك وعندهم التوراة فيها حكم الله» تعجب من تحكيمهم من لا يؤمنون به والحال ان الحكم منصوص عليه في الكتاب الذي هو عندهم (الى ان قال) وفيها حكم الله خال من التوراة «وما اولئك بالمؤمنين» بكتابهم لاعراضهم عنه وعما يوافقه او بك وبه. «انا انزلنا

التوراة فيها هدى» يهدي الى الحق «ونور» يكشف ما اشتبه من الاحكام «يحكم بها النبيون» من بني اسرائيل أو موسى ومن بعده «الذين اسلموا» صفة مدح للنبيين «للذين هادوا. والربانيون والاحبار» زهادهم وعلماؤهم السالكون طريقة انبيائهم عطف على (النبيون) «بما استحفظوا من كتاب الله» بسبب امر الله اياهم ان يحفظوا كتابه من التضييع والتحريف «وكانوا عليه شهداء» رقباء لا يتركون ان يغيروا أو شهداء يبينون ما خفي منه اه

وماخص مفهوم هاتين الآيتين انه يتعجب من تحكيم اليهود لصاحب القرآن مع انهم لا يؤمنون به والحال ان التوراة التي فيها حكم الله هي عندهم وليسوا بمؤمنين بالتوراة لاعراضهم عن تحكيمها بينهم. والله انزل التوراة تهدي الى الحق وهي نور يكشف ما اشتبه من الاحكام. تحكم بها الانبياء المسلمون انفسهم لرباني اليهود وتحكم بها ايضاً ربانيوهم واحبارهم بسبب امر الله لهم ان يحفظوا كتابه من التضييع والتحريف فاذا هم عليه رقباء لم يمكنوا احداً من تحريفه أو تغييره. فهل بعد ذلك تسمع دعوى التحريف والتغيير للتوراة بعد هذه الآيات البينات.

ومن الادلة الشاهدة على وجود الكتاب المقدس أي العهد الجديد

والقديم بسلامته حين مجيء القرآن . الاقتباسات الموجودة فيه المصرحة بانها مقتبسة منهما كما في سورة المائدة ايضاً (آية ٤٩) «وكتبنا عليهم فيها» اي في التوراة «ان النفس بالنفس والعين بالعين والانف بالانف والاذن بالاذن والسن بالسن والجروح قصاص»

فهذه الآية منقولة من سفر الخروج (اصحاح ٢١: ٢٣—٢٥) ونصه «وان حصلت اذية تعطي نفساً بنفس وعيناً بعين وسناً بسن ويداً بيد ورجلاً برجل الخ»

وفي سورة (الانبياء آية ١٠٥) قوله «ولقد كتبنا في الزبور» كتاب داود «من بعد الذكر» اي التوراة «ان الارض» ارض الجنة أو الارض المقدسة «يرثها عبادي الصالحون» عامة المؤمنين اهـ ملخصاً من البيضاوي. فهذه الآية مقتبسة من (مزمور ٣٧ وعدد ٢٩) ونصه «الصديقون يرثون الارض ويسكنونها الى الابد» .

وفي سورة (الاعراف آية ٣٩) قال «ان الذين كذبوا بآياتنا واستكبروا عنها لا تفتح لهم ابواب السماء ولا يدخلون الجنة حتى يلج الجمل في سم الخياط» فهذه الآية مقتبسة من الانجيل كما في بشارة متى (اصحاح ١٩ وعدد ٢٤) قال «واقول لكم ايضاً ان مرور جمل من ثقب ابرة ايسر من ان يدخل غني الى ملكوت الله» وفي بشارة مرقس

(اصحاح ١٠ وعدد ٢٥) لفظ العدد بعينه.وفي بشارة لوقا (اصحاح١٨: ٢٥) قال «لان دخول جمل» الى آخر العدد بلفظه اه

فهذه الاقتباسات الثلاثة احدها من التوراة وثانيها من الزبور وثالثها من الانجيل هي برهان جلي بان الكتب المنزلة التي كانت بايدي اليهود والنصارى هي التي بايدينا الآن وتسمى بالاسماء التي كانت بعينها . ومثال ذلك اذا ما اقتبسنا اياتاً من مثنوي جلال الدين الرومي أو من الديوان المنسوب لعلي ابن ابي طالب أو من كتاب آخر مشهور فمن اول نظرة من القارئ الخبير يحكم حكماً قطعياً بان هذه المصنفات موجودة في وقتنا الحاضر كذلك كان ينبغي لعلماء القرآن المنصفين ان يحكموا بان الآيات التي اقتبسها من الكتاب المقدس تدل على انه كان موجوداً في زمن محمد بل الآيتان المقتبستان من التوراة والزبور في قوله «وكتبنا لهم فيها» اي التوراة وقوله «ولقد كتبنا في الزبور» فيهما برهان صريح ان هذين السفرين كانا موجودين حينئذ كما هما الآن .

عدا ذلك ان كثيراً من القصص الواردة في القرآن وردت في الكتاب المقدس ومن امثال ذلك قصة يوسف (سورة يوسف) وقد تكون في القرآن مغيرة عن الاصل تغييراً يطابق التقاليد اليهودية

المتأخرة اكثر من آيات التوراة المتقدمة كما شرحنا ذلك في كتاب «تنوير الافهام في مصادر الاسلام» وكذلك يشتمل القرآن على مقتبسات كثيرة جداً من اسفار الكتاب المقدس لا يمكن تعاليها ولا فهمها الا بمراجعة الاصل فنقتصر على ذكر واحدة منها. ورد في سورة (آل عمران آية ٩٣) اسم اسرائيل بدل يعقوب وانه حرم على نفسه طعاماًفمن المستحيل أننا نقدر ان نفهم لماذا ابدل اسم يعقوب باسرائيل وما هو نوع الطعام الذي حرمه على نفسه الا بمراجعة التوراة انظر (سفر التكوين اصحاح ٣٢: ٢٢—٣١) حيث تجد ذلك مشروحاً شرحاً وافياً .

ورد في الاحاديث المحمدية فقرات منقولة عن الكتاب المقدس من امثال ذلك ما ورد في كتاب (مشكاة المصابيح صحيفة ٤٨٧ من النسخة المطبوعة سنة١٢٩٧ ه الباب الاول والفصل الاول في كلامه عن وصف الجنة واهلها) قال رسول الله صں «قال الله تعالى اعددت لعبادي الصالحين ما لا عين رأت ولا اذن سمعت ولا خطر على قلب بشر» فلا يشك احد ان هذا الحديث منقول من (الرسالة الاولى لبولس الرسول الى اهل كورنثوس اصحاح ٢: ٩) ومما هو جدير بالملاحظة هنا انه بينما يقرر محمد ان هذا الوصف من كلام الله ينكر

كثيرون من علماء الاسلام ان بولس رسول وان رسائله موحى بها من الله .

ينقسم الكتاب المقدس في الغالب الى قسمين العهد القديم ويتضمن الاسفار المقدسة القانونية عند الامة اليهودية وكتبت في الاصل باللغة العبرانية ما عدا القليل منها فانه قد كتب باللغة الارامية. والعهد الجديد وقد كتب باللغة اليونانية. اما اليهود فلا يؤمنون الا بواحد منهما اما نحن المسيحيين فنؤمن بالعهدين كليهما. ولكن القرآن يشير الى الاسفار المقدسة جميعها بكتاب واحد هو «الكتاب المقدس» مع انه يذكر له ثلاثة اقسام وهي التوراة والزبور والانجيل .

ويقسم اليهود اسفارهم أو كتبهم الى ثلاثة اقسام وهي الناموس والانبياء والمزامير كما يظهر من (بشارة لوقا اصحاح ٢٤: ٤٤) وهذا التقسيم يرجع عهده الى سنة ١٣٠ قبل المسيح[١] وفي الوقت الحاضر يسمي اليهود القسم الثالث «الصحف» وبالنسبة لكونها تبتدئ بالمزامير يدعوها القرآن والانجيل «الزبور» ويدعو القرآن القسم الاول توراة

---

(١) انظر مقدمة يشوع بن سيراخ لمجموعة امثال جده

هي معدولة من الكلمة العبرانيــة مع تغيير طفيف في اللفظ وقد يطلق المسلمون هذا الاسم على الكتاب المقدس كله بالنسبة لكونه يبتدئ بالتوراة وكثيراً ما يشير القرآن الى انبياء العهد القديم ويعلق على الايمان بهم اهمية عظيمة ومن ذلك قوله في (البقرة آية ١٣٦) «قولوا امنا بالله وما انزل الينا وما انزل الى ابراهيم واسماعيل واسحق ويعقوب والاسباط وما اوتي موسى وعيسى وما اوتي النبيون من ربهم لا نفرق بين احد منهم ونحن له مسلمون» وجاء مثل ذلك في سورة (آل عمران آية ٨٤) من هنا يظهر جلياً ان القرآن يتفق مع الانجيل في الشهادة بان كل اسفار الكتاب في تلك الاقسام الثلاثة موحى بها .

وقد يطلق ايضاً المسيحيون اسم الانجيل على كل اسفار العهد الجديد كما يطلقه عليها القرآن ومن اسباب ذلك ان العهد الجــديد يبتدئ بالبشائر الاربع ومنها ان الانجيل معناه خبر سار او بشارة. وهذا الخبر السار خلاصة العهد الجديد من اوله الى آخره فسمي به وذلك واضح من (بشارة مرقس اصحــاح ١٣ : ١٠) حيث يقول «وينبغي ان يكرز اولاً بالانجيل في جميع الامم» ومن مواضع اخرى كثيرة. من المسلم ان العهد الجديد اي الانجيل كان منتشراً في عصر

محمد في قسم عظيم من المعمور بين الشعوب المسيحية لذلك لم يقتبس منه القرآن فقط آية موجودة في ثلاثة من اقسامه (بشائره) اي (بشارة متى اصحاح ١٩: ٢٤ وبشارة مرقس اصحاح ١٠: ٢٥ وبشارة لوقا اصحاح ١٨: ٢٥) كما ورد في سورة (الاعراف آية ٣٩) بل اقتبس منه ايضاً محمد نفسه كما تقدم ذكره. وعلى ما تقدم ينبغي لكل ذي عقل سليم خال من التعصب الذميم ان يعترف بان القرآن يشير الى الكتاب المقدس بانه كتاب منتشر في عصره وموحى به من الله تعالى.

وعدا ما تقدم لا يفتأ القرآن يذكر الكتاب المقدس بالاحترام والتعظيم ويلقبه باعظم الالقاب مثل قوله «كلام الله» سورة (البقرة آية ٧٥) ويسميه بها «الفرقان» (آية ٥٣) «وضياء وذكرى للمتقين» سورة (الانبياء آية ٤٨) «وكتاب الله» سورة (البقرة آية ١٠١) وفي البيضاوي وكتاب اسباب النزول يشير الى مقام الكتاب المقدس في تفسيره (آية ٢٣) من سورة آل عمران بان محمداً طلب من اليهود التوراة لتكون حكماً بينه وبينهم. وفوق ذلك يفيد القرآن ان نوع الوحي الذي اوحي به الى محمد كالذي اوحي به الى الانبياء المتقدمين كما يدل على ذلك قوله «قل ان الهدى هدى الله ان يؤتى احد مثل ما اوتيتم» سورة (آل عمران آية ٧٣) وقوله «انا اوحينا

اليك كما اوحينا الى نوح والنبيين من بعده» سورة (النساء آية١٦٢) وقوله« كذلك يوحي اليك والى الذين من قبلك الله العزيز الحكيم» سورة (الشورى آية ٣) مما ذكر تعلم ان التنزيل المنسوب الى القرآن يجب ان ينسب الى الاسفار المتقدمة عليه حيث ان من اول البدهيات المسلم بها في علم اصول الهندسة هو انه «اذا ساوى شيئان ثالثاً فهما متساويان لبعضهما لا محالة فاسفار العهدين منزلة من عند الله بنفس التنزيل الذي ينسبه القرآن لنفسه وعليه فالقرآن يأمر اتباعه ان يعترفوا بالاسفار المتقدمة عليه كما يعترفون به بلا اقل تمييز وهم مأمورون ايضاً ان يعتقدوا بان القرآن نزل مصدقاً لكتاب اليهود والنصارى ومن امثال ذلك ما ورد في سورة (آل عمران آية٣) «نزل عليك الكتاب بالحق مصدقاً لما بين يديه وانزل التوراة والانجيل من قبل هدى للناس وانزل الفرقان» ولزيادة التوكيد على ان التوراة والانجيل موحى بهما جاء في القرآن تهديد صارم لمن يكفر بهما أو يظن بهما الظنون ومن ذلك قوله «الذين كذبوا بالكتاب وبما ارسلنا به رسلنا فسوف يعلمون اذ الاغلال في اعناقهم والسلاسل يسحبون في الحميم ثم في النار يسجرون» سورة (المؤمن آية ٧٠) وان البيضاوي في تفسيره على هذه الآية يفسر قوله «الكتاب» بالقرآن أو الكتب السماوية على

العموم ويفسر قوله وما ارسلنا به رسلنا بسائر الكتب أو الوحي والشرائع وبمقتضى هـذا التفسير على افتراض ان المقصود هنا بالكتاب ليس الكتاب المستعمل في قوله «يا اهل الكتاب» بل هو القرآن تكون الكتب السماوية الاخرى هي اسفار العهد القديم والجديد لا محالة

ويشهد القرآن ان اسفار العهد القديم تتفق مع اسفار العهد الجديد في المسائل العمومية ومن ذلك قوله «وقفينا على آثارهم بعيسى ابن مريم مصدقاً لما بين يديه من التوراة وآتيناه الانجيل فيه هدى ونور ومصدقاً لما بين يديه من التوراة وهدى وموعظة للمتقين» سورة (المائدة آية ٤٩)

والخلاصة لما تقدم حيث اننا انتهينا من هـذا الفصل نلحقه بالمواد الآتية

(اولاً) ان اسفار العهد القديم والجديد أي التوراة والزبور واسفار الانبياء والانجيل ورسائل رسل المسيح كانت جميعها منتشرة في عصر صاحب القرآن بين اليهود والنصارى (ثانياً) ان القرآن يقرر قطعياً ان هذه الاسفار موحى بها من الله أي منزلة من عنده تعالى (ثالثاً) بينما يعظم القرآن نفسه الى اعلا درجات التعظيم فانه يساوي بين نفسه وبين

الاسفار المقدسة المتقدمة عليه (رابعاً) ان القرآن يسمي الكتاب المقدس «كتاب الله وكلام الله والفرقان والذكر ونوراً وهدى ورحمة الخ» (خامساً) ان القرآن يأمر محمداً أو المسلمين ان يرجعوا الى الكتاب المقدس في تحقيق ما يرتابون فيه من اصول دينهم ويحرضون النصارى واليهود ان يفعلوا مثل ذلك (سادساً) يشير القرآن على اليهود ان يتخذوا التوراة حكماً فيما هم فيه يختلفون (سابعاً) ان المسلمين مأمورون في القرآن ان يشهدوا انهم مؤمنون بالكتاب المقدس كما هم مؤمنون بقرآنهم (ثامناً) ان الذين لا يؤمنون بالكتاب المقدس لهم عذاب عظيم في الآخرة كما لو لم يؤمنوا بالقرآن .

الفصل الثاني

في ان الكتاب المقدس لم ينسخ ولا يمكن ان ينسخ لا في حقائقه ولا في عقائده ولا في مبادئه الادبية

تبين من البراهين التي قدمناها في الفصل السابق انه ينبغي للمسلمين الخاضعين لاوامر القرآن ان يدرسوا «كتاب الله» اي اسفار العهد القديم والعهد الجديد ويحترموه ويطيعوه .

غير ان بعضهم لا يسلم معنا بهذه النتيجة استناداً على دعواهم

(١) ان الكتاب المقدس نسخ (٢) ان الاسفار المقدسة المتداولة اليوم ليست هي الاسفار التي ذكرها القرآن وشهد لها (٣) وبعضهم يقول ربما تكون هي بعينها الا انه اعتراها التحريف والتبديل ولعبت بها يد الاغراض حتى لم تعد تستحق الكرامة ولا العناية المعطاة لها في القرآن. فغرضنا من الفصول الآتية البحث في هذه الاعتراضات لنرى صحتها من فسادها. ولنبدأ في هذا الفصل بالبحث عما اذا كان الكتاب المقدس نسخ حقيقة كما يزعمون ام لا. نقول ان كانت هذه الاعتراضات في محلها تسقط حجتنا التي قدمناها في الفصل الاول لا محالة غير انه بهذا يضعف نفوذ القرآن كما لا يخفى على اللبيب

ولنسلم هنا ان بعض علماء الاسلام يحاولون ان يثبتوا صحة وقوع النسخ على الكتاب المقدس كالبيضاوي مثلاً فانه يقول في تفسيره على قوله «ولا يدينون دين الحق» سورة (التوبة آية ٣٠) اي الدين الذي ينسخ سائر الاديان ويبطل مفعولها اعتقاداً وعملاً. ثم ورد في كتاب يقال له عيون اخبار الرضا فصل ٣٦ قوله «كل نبي كان في ايام موسى وبعده كان على منهاج موسى وشريعته وتابعاً لكتابه الى زمن عيسى وكل نبي كان في ايام عيسى وبعده كان على منهاج عيسى

وشريعته وتابعاً لكتابه الى زمن نبينا محمد ص. وشريعة محمد ص لا تنسخ الى يوم القيامة»

وورد في كتاب هداية الطالبين الى اصول الدين للمولوي محمد تقي الكاشاني الفارسي ما ترجمته الى العربية «ان علماء الاسلام قرروا ان محمداً نبي هذا الزمان ودينه ناسخ لاديان الانبياء السابقين» (انظر صحيفة ١٦٦)

ورداً على ذلك نقول ان مسألة النسخ وان كانت مقبولة عند العامة وكثيرين من الخاصة غير انه يجب ان نلاحظ ان القرآن لم يشر اليها بكلمة واحدة ولا اشار اليها الحديث عند السنيين ولا الشيعيين. وبالاجمال ان هذه المسألة تشوش تعاليم القرآن وتقلبه رأساً على عقب.

ان نسخ بمعنى ازيل او ابطل لم يرد في القرآن الا في موضعين الاول سورة (البقرة آية ١٠٦) وهو قوله «ماننسخ من آية او ننسها نأت بخير منها او مثلها» والثاني سورة (الحج آية ٥٢) وهو قوله «وما ارسلنا من قبلك من رسول ولا نبي الا اذا تمنى القى الشيطان في امنيته فينسخ الله ما يلقي الشيطان ثم يحكم الله آياته» فلاتوجد في الموضع الاول ولا الموضع الثاني اقل اشارة تدل على ان القرآن ناسخ للكتاب المقدس بل هو ناسخ لنفسه في بعض اجزائه حتى ان بعضهم عدد

الآيات المنسوخة من القرآن فبلغت مايتين وخمساً وعشرين آية.

ويخبرنا البيضاوي بانه توجد قراآت مختلفة للآية المذكورة التي في سورة البقرة لكن لدى التأمل نجد ان تلك القراآت واحدة في المعنى ولا يمكن ان يطلق عليها معنى النسخ الذي هو الازالة او الابطال فالاشارة اذاً الى نسخ القرآن نفسه في بعض اجزائه كما اسلفنا بيانه.

واليك مثالاً مشهوراً قد ذكره البيضاوي في تفسيره النسخ المشار اليه في سورة الحج حيث يبين كيف نسخ الله بعض الكلمات من سورة النجم وهي قوله «تلك الغرانيق العلى وان شفاعتهن لترتجى» وتحرير ملخص الخبر انه بينما كان محمد يتلقى الوحي من جبريل القى الشيطان على لسانه تلك الكلمات ليستهويه الى عبادة اللات والعزى ومناة فقالها كأنه موحى بها من الله ثم بعد ذلك نسخها الله الخ وروى هذه القصة يحيى وجلال الدين في تفسيرهما على النسخ الوارد في سورة الحج ورواها ابن هشام عن ابن اسحق في سيرته وقد ذكرت ايضاً في المواهب اللدنية وذكرها الطبري وفي هذا القدر كفاية لاقامة الدليل على ان النسخ المعبر عنه بقوله «فينسخ الله» الوارد في سورة الحج هو ما تكلمنا عنه. ومع ان الدعوى بان الزبور ناسخ للتوراة

والانجيل ناسخ للزبور دعوى باطلة ليس لها اساس في القرآن ولا في الحديث البتة وقد راجت بين عوام المسلمين رواجاً عظيماً. ولا بأس ان نورد شهادة بعض العلماء المعتبرين في هذا الصدد

قال الحاج رحمة الله الهندي في كتابه اظهار الحق «ان القول بنسخ التوراة بنزول الزبور ونسخ الزبور بظهور الانجيل بهتان لا اثر له في القرآن ولا في التفاسير بل لا اثر له في كتاب من الكتب المعتبرة لاهل الاسلام — والزبور عندنا ليس بناسخ للتوراة ولا بمنسوخ من الانجيل وكان داود عليه السلام على شريعة موسى عليه السلام وكان الزبور ادعية» فهذا العالم يصرح بانكاره النسخ على هذه الكيفية. وقد صدق فيما قال لانه لا يقول بالنسخ احد الا اذا كان جاهلاً للقرآن وللكتاب المقدس كما سنبينه. اقرأ الكتاب المقدس بتأمل وخشوع حتى تقف على مشتملاته الجوهرية وحينئذ ترى بمزيد الوضوح ان تعليم اسفار العهد القديم والعهد الجديد واحد وانها سائرة على نظام واحد ووجهتها واحدة مستدرجة في اعلان مقاصد الله الازلية لبني الانسان.

ففي اسفار العهد القديم نتعلم كيف خلق الله الانسان ثم كيف دخلت الخطية الى العالم ويتلو ذلك الوعد الالهي بان نسل المرأة

يسحق رأس الحية و بعد ذلك بمئات من السنين نجد ان العالم القديم قد ضل عن عبادة الله ووقع في عبادة الاوثان والرذيلة وفي ذلك الوقت دعا الله ابرهيم من وسط قومه واوثق معه ميثاقاً بان المخاص من موت الخطية الذي وعد به الجنس البشري يكون من ذرية ابنه الشرعي اسحق . ثم نجد بعد ذلك ان الله يجدد الميثاق المشار اليه مع اسحق فيعقوب وينبئهم بانهم سينزلون الى مصر ثم ينجلون عنها الى ارض كنعان للغاية التي دعاهم اليها .

ثم نزلت التوراة على موسى وقد اشتملت على هذه المواعيد وزادت عليها مواعيد جديدة تستحق الاعتبار ثم توالت الانبياء جيلاً بعد جيل واتوا باقوال لا تخرج عن المعاني التي اتى بها موسى بل غاية ما في الامر زادتها وضوحاً و بياناً من جهة ان الانسان خاطئ ولا بد له من مخاص .ثم اخذوا من وقت الى آخر يبسطون كلامهم عن ذلك المخاص فانبأوا عن اعماله العجيبة والبلدة التي يولد فيها وعن آلامه وموته . اما الانجيل فيخبرنا عن بعض وقائع المخاص واعماله التي جاءت موضحة ومتممة لنبوات التوراة والمزامير وكل اسفار العهد القديم .

ثم يخبرنا كيف بعث ذلك المخاص رسله الى العالم اجمع وامرهم ان يكرزوا بالانجيل للخليقة كلها و بعد ذلك كيف ينتظرونه حتى

يأتي مرة ثانية على سحاب السماء كما وعدهم ليدين الاحياء والاموات ويعتق الارض من عبودية الفساد ويملك الى الابد .

واما اسفار اعمال الرسل ورسائلهم وهي الاجزاء المتممة لاسفار العهد الجديد فتشرح لنا كيف ابتدأ الرسل بالكرازة بالمسيح وسفر الرؤيا خاتمة اسفار العهد الجديد ينبئنا عن الضيقة العظيمة التي سيقع فيها المؤمنون بالمسيح ثم النصر العظيم الذي يتبعها .

هذه بالاختصار سلسلة حقائق العهدين من ابتداء سفر التكوين الى نهاية سفر الرؤيا فكأن الكتاب المقدس والحالة هذه يشبه عمارة عجيبة التوراة اساسها والانجيل ختامها وكل منهما يظهر حكمة الله وعدالته ومحبته ورحمته الفائقة وانه خالق كل الاشياء .

ففي توراة موسى يظهر قصد الله من حيث نعمته بكل وضوح حتى ان الذين عرفوه حسبما هو مبين فيها مالوا اليه واحبوه وعبدوه وآمنوا به ووجدوا فيه ما يشبع اشواق نفوسهم الخالدة من السلام والسعادة الحقيقية . وفي اسفار الانبياء والمزامير تعلو هذه الاخبار الى درجة ارفع من تلك لانها تشرح لنا ان الله من البدء اختار بني اسرائيل وهذبهم شيئاً فشيئاً صابراً على غلاظة قلوبهم وشر افعالهم وفشلهم في تأدية ما كلفهم به . وتشرح لنا مسألة اخرى هي من

الاهمية بمكان وذلك ان بعض الرسوم الدينية ومناسك العبادة الخارجية ليست مقصودة في حد ذاتها ولكنها خصت بني اسرائيل ليستعملوها موقتاً توصلاً الى قصد معلوم وهو (اولاً) ايجاد فاصل مميز بين اليهود والامم الى ان يأتي المخاص الموعود به (ثانياً)لتعليمهم بان تلك الطقوس وان كانت مؤيدة باوامر الهية فليست الا رموزاً لحقائق روحية لان العبادة المقبولة عند الله لا تقوم بشكلها الظاهر فقط بل بالحالة التي يكون عليها قلب العابد حيث قال المسيح «الله روح والذين يسجدون له فبالروح والحق ينبغي ان يسجدوا»(بشارة يوحنا اصحاح ٤:٢٤) ومما يدل على ان تلك الطقوس ليست مقصودة لذاتها ما قاله صموئيل النبي «هل مسرة الرب بالمحرقات والذبائح كما باستماع صوت الرب هوذا الاستماع افضل من الذبيحة والاصغاء افضل من شحم الكباش» (صموئيل الاول اصحاح ١٥:٢٢) وورد في سفر ميخا النبي ان ملكاً يسمى بالاق سأل السؤال الآتي «بم اتقدم الى الرب وانحني للاله العلي هل اتقدم بمحرقات بعجول ابناء سنة هل يسر الرب بالوف الكباش بربوات انهار زيت هل اعطي بكري عن معصيتي ثمرة جسدي عن خطية نفسي» فجاءه الجواب من قبل النبي مصرحاً بعدم فائدة الشعائر التي عددها في سؤاله ما لم تكن مقرونة

بتكريس الحياة والقلب لله عز وجل.وهاك نص الجواب«قد اخبرك ايها الانسان ما هو صالح وماذا يطلبه منك الرب الا ان تصنع الحق وتحب الرحمة وتسلك متواضعاً مع الهك» (ميخا اصحاح ٦:٦—٨)

والسيد المسيح يوافق على هذا التعليم كل الموافقة باصرح الاقوال وهاك ما قاله «تأتي ساعة وهي الآن حين الساجدون الحقيقيون يسجدون للآب بالروح والحق لان الآب طالب مثل هؤلاء الساجدين له الله روح والذين يسجدون له فبالروح والحق ينبغي ان يسجدوا» (بشارة يوحنا اصحاح ٤:٢٣و٢٤) ولما اعلنت هذه الاسرار الروحية والتعاليم الراقية وقدمت الكفارة عن خطايا العالم اجمع (انظر الرسالة الاولى ليوحنا اصحاح ٢:٢) ودرب المسيح الحواريين وارسلهم ليكرزوا ويبشروا بالانجيل في كل اقطار المسكونة ويعرضوا على بني آدم هبة الله المجانية وهي الحياة الابدية (انظر رسالة بولس الرسول الى رومية اصحاح ٦:٢٣) معطياً لهم قدرة ومعونة حتى يقيموهم من قبور خطاياهم الى حياة البر والفضيلة ويملأوا الارض من معرفة الرب كما تغطي المياه البحر (اشعياء اصحاح ١١:٩) ولما تم كل هذا آن الاوان الذي ينبغي فيه حل رموز تلك العبادة القائمة بالذبائح والبخور والغسل الى غير ذلك مما هو مذكور بالتفصيل في التوراة

بالعبادة الروحية التي كانت ترمز اليها تلك الرسوم الظاهرة. ولولا العبادة الروحية لكانت تلك الرسوم خالية من الفائدة واذا جاء الصريح استغني عن الرمز طبعاً كما يستغنى عن القشرة بعد نضاج الحبة وصلابتها. والى هذا المعنى اشار ارميا النبي فقال «ها ايام تأتي يقول الرب واقطع مع بيت اسرائيل ومع بيت يهوذا عهداً جديداً ليس كالعهد الذي قطعته مع آبائهم يوم امسكتهم بيدهم لاخرجهم من ارض مصر حين نقضوا عهدي فرفضتهم يقول الرب بل هذا هو العهد الذي اقطعه مع بيت اسرائيل بعد تلك الايام يقول الرب اجعل شريعتي في داخلهم واكتبها على قلوبهم واكون لهم الهاً وهم يكونون لي شعباً» (ارميا اصحاح ٣١:٣١—٣٤) ومن هذه الآيات اخذنا كلمة (العهد الجديد) وجعلناها اسماً للانجيل وهو الجزء الثاني من الكتاب المقدس. ولاحظ كيف تتفق هذه الآيات مع قول المسيح الذي اشرنا اليه آنفاً في (بشارة يوحنا اصحاح ٤:٢٣و٢٤) فانه يتبين بغاية الصراحة ان كل الطقوس والشعائر اليهودية الوقتية او كما يسميها بعضهم الشريعة الطقسية قد تمت تماماً في ملء روحانية العهد الجديد الذي نوى المسيح ان يعقده مع كل من يؤمن به من اية امة كانت على وجه البسيطة. ومن اجل ذلك قال المسيح بهذا الصدد خطاباً لامرأة من

السامرة «يا امرأة صدقيني انه تأتي ساعة لا في هذا الجبل ولا في اورشليم تسجدون للآب . . . ولكن تأتي ساعة وهي الآن حين الساجدون الحقيقيون يسجدون للآب بالروح والحق لان الآب طالب مثل هؤلاء الساجدين له. الله روح والذين يسجدون له فبالروح والحق ينبغي ان يسجدوا» (بشارة يوحنا اصحاح ٤: ٢١—٢٤)

ثم ان الجواب الذي اجابت به تلك المرأة المسيح يدل ان مسألة اتمام العهد القديم بالعهد الجديد او بعبارة اخرى ايضاح العبادة الطقسية بالعبادة الروحية كان معروفاً ومنتظراً ليس فقط عند اليهود الاتقياء (انظر بشارة لوقا اصحاح ٢: ٢٩) بل وعند المحققين من السامريين (انظر بشارة يوحنا اصحاح ٤: ٢١ — ٢٣) واقتبس احد الحواريين مقالة ارميا التي ذكرناها آنفاً في هذا الصدد وبين ان ذكر العهد الجديد الذي بشر به ارميا يدل على ان يهود عصره كانوا يعتقدون بان الطقس الموسوي شاخ وهرم وقارب الاضمحلال واحتاج الحال الى العهد الجديد (انظر رسالة الى العبرانيين اصحاح ٨: ١٣) الذي لا يبطل التوراة بل يكشف الحجاب عن حقائقها (انظر انجيل متى اصحاح ٥: ١٧و١٨) واعلم ان الحق بحسب جوهره ثابت ودائم غير قابل التبديل ولا النسخ فالحقائق التي وردت في العهد القديم يجب ان تبقى حقاً الى

ما لا نهاية . ولا يقال ان العهد الجديد نسخها بل يقال انه شرحها وابرزها في شكلها الروحي الذي يلائم الناس في كل زمان ومكان .

العهد القديم كان بين الله وبني اسرائيل فقط ومدته انتهت بمجيء المسيح وتأسيس ملكوته. واما العهد الجديد الذي تنبأ به ارميا النبي فعهد بين الله والمؤمنين بالمسيح سواء كانوا من بني اسرائيل او من الامم فهذا العهد الاخير اعم واهم من الاول لان الاول كان قائماً على فرائض وطقوس ورسوم تدرب بني اسرائيل فقط على إدراك الحقائق الروحية تدريجاً استعداداً لان يكونوا تلاميذ للمسيح واساتذة العالم اجمع.فالعهد الاول والحالة هذه يشبه بزرة محصورة في دائرة ضيقة واما العهد الجديد فيشبه شجرة متأصلة نامية شاغلة مكاناً متسعاً فكأن بزرة العهد القديم انبتت شجرة العهد الجديد والاثنان واحد جوهراً وان اختلفا ظاهراً .

وحيث كان الامر كذلك فمن الخطإ المعيب ان يقال بان العهد القديم منسوخ والعهد الجديد ناسخ.ولعل الذين قالوا هذا القول لاحظوا الطقوس والفرائض التي خصت ببني اسرائيل واهملت من جانب المسيحيين.فنجيب عن ذلك ان تلك الطقوس الاسرائيلية هي بذاتها انتجت العبادات الروحية للمسيحيين كما تنتج البزرة شجرة

ترى كأنها شيء جديد والحقيقة هي البزرة بعينها انما اخذت شكلاً آخر اتباعاً لناموس النمو والارتقاء فلا يصح ان يقال ان الشجرة نسخت البزرة ومحت اثرها من صحيفة الوجود بل اتمتها واظهرت قوتها وإنتاجها بشكل محسوس .

ولا يبرح من ذهنك ان وصايا التوراة نوعان طقسية وادبية والاولى كانت خاصة ببني اسرائيل والكثير منها لم يكن مشروعاً الا عندما اوحي الى موسى بالتوراة على جبل سيناء.ومن اجل ذلك لم يكن ابرهيم مكلفاً منها الا بالختان وهذه ملاحظة جديرة بالالتفات لانها تدل على ان نفوذ الوصايا الطقسية محصور ووقتي حتى انه لم يشمل ابرهيم واسحق ويعقوب والاسباط وذريتهم الى زمن موسى. فالغرض اذاً من هذه الوصايا الطقسية هو كما اسلفنا بيانه امران الاول لاجل ان يعزل اليهود عن الامم عزلة تامة صوناً لهم من السقوط في الوثنية التي كان لها السلطان الاعظم في تلك العصور المظلمة واستدامت هذه العزلة الى مجيء المسيح وتأسيس كنيسته على الارض. والثاني حتى يتعلموا عملياً ان العبادات الظاهرية القائمة في المناسك وان كانت موحى بها من الله ليست مقصودة لذاتها ولا تروي النفس المتعطشة الى الله بل غاية ما هنالك يرمز بها الى حقائق روحية هي المقصودة

بالذات كما شرحناه في غير هذا الموضع (قابل ما بين الزبور اصحاح ٥١: ١٦و١٧) و بين ما تممه المسيح. والحاصل ان تلك الوصايا لم تكن مفروضة على الامم وقد ضعف تأثيرها على بني اسرائيل انفسهم منذ قيامة المسيح من الاموات.

اما الوصايا الادبية فهي ازلية ابدية والناس ملتزمون بها في كل زمان ومكان. وان كان اوحي بها الى موسى الا ان الالتزام بها من بدء الخليقة الى منتهاها. فمن الوصايا الادبية لا تزن لا تسرق لا تقتل لا تعبد الاصنام فهذه الوصايا متعلقة بذات الله تعالى وطبيعته القدوسة. من اجل ذلك ينبغي ان تكون من الازل الى الابد ولا معنى للناسخ والمنسوخ في هذا المقام. فمن يزعم ان الانجيل ناسخ للتوراة فهو على خطإ مبين وجهل مطبق وما الانجيل بناسخ للتوراة بل مصدق وشارح لمعانيه ومرقٍ لرسومه من الجسديات الى الروحيات. ولهذا السبب ورد في الانجيل اقوال تفوت الحصر من التوراة في مواضيع مختلفة مشروحة شرحاً وافياً ومدققاً. ولقد صدق القرآن حيث افاد في وصفه الانجيل بكونه مصدقاً للتوراة كما جاء في سورة (المائدة آية ٤٩) «وقفينا على آثارهم بعيسى ابن مريم مصدقاً لما بين يديه من التوراة وآتيناه الانجيل فيه هدى ونور ومصدقاً لما بين يديه من التوراة

وهدى وموعظة للمتقين» وليس بناسخ لها كما يزعم بعضهم .

ولنكرر القول هنا بان الوصايا الواردة في التوراة ولم يلتزم بها المسيحيون ما هي الا الوصايا الطقسية على ان الانجيل لم ينسخها ولم يبطلها بل قد اكملها وبلغها الى درجة رضوان الله الكامل ومن امثلة ذلك ما ورد في التوراة ان الله فرض على بني اسرائيل تقديم الذبائح الذي كان مستعملاً من بدء الخليقة عند كل الشعوب وامرهم ان يقدموها في اوقات معلومة ولغايات مختلفة ومن جملتها للتكفير عن الخطايا.بالبداهة لا يعقل ان تقديم ذبائح الحيوانات يرفع خطايا البشر. وقد لاحظ ذلك داود النبي فقال «لانك لا تسر بذبيحة والا فكنت اقدمها بمحرقة لا ترضى» (زبور اصحاح ١٦:٥١) انظر كيف كمل الانجيل التوراة في هذا الموضوع حيث يقول :

« لان الناموس اذ له ظل الخيرات العتيدة لا نفس صورة الاشياء لا يقدر ابداً بنفس الذبائح كل سنة التي يقدمونها على الدوام ان يكمل الذين يتقدمون. والا افما زالت تقدم من اجل ان الخادمين وهم مطهرون مرة لا يكون لهم ايضاً ضمير خطايا . لكن فيها كل سنة ذكر خطايا. لانه لا يمكن ان دم ثيران وتيوس يرفع خطايا. لذلك عند دخوله «اي المسيح» الى العالم يقول ذبيحة وقرباناً لم ترد ولكن

هيأت لي جسداً . بمحرقات وذبائح للخطية لم تسر . ثم قلت هأنذا اجيء في درج الكتاب مكتوب عني لافعل مشيئتك «يا الله» . اذ يقول آنفاً انك ذبيحة وقرباناً ومحرقات وذبائح للخطية لم ترد ولا سررت بها . التي تقدم حسب الناموس . ثم قال هانذا اجيء لافعل مشيئتك «يا الله» ينزع الاول لكي يثبت الثاني فبهذه المشيئة نحن مقدسون بتقديم جسد يسوع المسيح مرة واحدة» (عبرانيين اصحاح ١٠:١—١٠)

وان اشعياء النبي كشف لنا سلفاً عن المقصود من تلك الذبائح الحيوانية في انبائه عن حمل الله (انظر اشعياء اصحاح ٥٣) الذي كان ناوياً على تقديمه من بدء الخليقة (انظر سفر الرؤيا اصحاح ١٣:٨)

وحيث ان هذا الذبح العظيم الذي كانت تشير اليه الذبائح الحيوانية قد حدث تقديمه فلا لزوم لتلك الذبائح الحيوانية بعده. اما المسيحيون فلا يقدمونها اكتفاء بذبيحة المسيح. ولا يقدمها اليهود لانهم امروا في التوراة ان لا يقدموا ذبيحة الا في اورشليم داخل اسوار هيكل سليمان. ومن المعلوم ان الهيكل خرب وزال من الوجود وبني على آثاره جامع عمر وهو باق الى اليوم. ولو ان المسيحيين لا يقدمون ذبائح حيوانية كما اسلفنا بيانه لكنهم لا يزالون يقدمون ذبائح ذات

شأن عظيم عنـد الله وهي ذبائح نفوسهم أي يضحون اجسـادهم وارواحهم ونفوسهم ليكونوا ذبائح حية مقدسة مرضية عند الله الحي الازلي.وبهذا يتمون المعنى الروحي المقصود من المحرقات المفروضة في شريعةموسى. واشار الى هذه الذبائح الرسول بولس بقوله «اطلب اليكم ايها الاخوة برأفة الله ان تقدموا اجسادكم ذبيحة حية مقدسة مرضية عند الله عبادتكم العقلية» (رومية ١٢: ١و٢) ويشير اليها ايضاً بطرس الرسول بقوله «كونوا انتم ايضاً مبنيين كحجارة حية بيتاً روحياً كهنوتاً مقدساً لتقديم ذبائح روحية مقبولة عند الله بيسوع المسيح» (بطرس الاولى ٢: ٥)

ثم مشروع في التوراة فريضة غسل الجسد ولا شك ان الغرض من هذا هو (اولاً) تنظيف الجسد فان الله يحب ان تكون اجسادنا نظيفة وبصحة معتدلة حسب الحالة التي فطرنا عليها لانه من المحتمل ان وساخة الجسد تدنس الروح (ثانياً) حتى يتعلم الانسان بالاختبار ان تنظيف الجسد وغسله مراراً وتكراراً لا يطهر القلب من الاهواء الفاسدة ولا يخلي الذهن من الافكار الدنسة ولا يمنح النفس مغفرة عن خطاياها السالفة. وعليه تحتاج نفوسنا الى القداسة التي بدونها لا يعاين احد الرب.وقد ثبت ان الغسل اليهودي عديم التأثير وبعبارة

اخرى لا يمكن ان يقدس النفس وما هو الا ظل ورمز الى غسل اجلّ واسمى وهو الغسل الروحي السماوي الذي يمكن الحصول عليه بدم المسيح فقط الذي بالايمان به نطهر من كل خطية.من اجل ذلك ينبغي للمسيحيين الحقيقيين ان يمتثلوا امر الرسول الصادر في هذا الشأن حيث يقول «لنطهر ذواتنا من كل دنس الجسد والروح مكملين القداسة في خوف الله» (الرسالة الثانية لكورنثوس ص٧:١) فتطهير الجسد والروح لازم لهما ولكن يجب ان نحاذر من ان نجعل تطهير الجسد علة لتطهير الروح .

ومشروع ايضاً في التوراة ان الذبائح يجب ان تقدم في مكان معلوم (انظر التثنية اصحاح ١٢:١٣) وهو المكان الذي يختاره الرب ليجعل عليه اسمه وفي ذلك معنى رمزي يشير الى مسكنه(انظر التثنية اصحاح ١٢:٥) والمكان الاول الذي اختاره الرب لهذه الغاية شيلوه (انظر يشوع اصحاح ١٨:١) ثم اختار اورشليم مع ان الملك سليمان صرح بان الهيكل الذي بناه سكناً للرب في اورشليم ليس بالحقيقة سكناً له بل رمزاً وعلامة محسوسة على وجوده تعالى بين شعبه.ويدل على ذلك قوله «لانه هل يسكن الله حقاً على الارض هو ذا السموات وسماء السموات لا تسعك فكم بالاقل هذا البيت الذي بنيت»(الملوك

الاول اصحاح٨:٢٧) وان النبي اشعياء ايد كلام سليمان في هذه المسألة بدليل قوله «لانه هكذا قال العلي المرتفع ساكن الابد القدوس اسمه في الموضع المرتفع المقدس اسكن ومع المنسحق والمتواضع الروح لاحيي روح المتواضعين ولاحيي قلب المنسحقين» (اشعياء اصحاح ١٥:٥٧) ثم ان المسيح نفسه صادق على هذا الفكر وايده باقوال كثيرة بما معناه لا ينبغي ان يسجد لله في مكان خاص وان العبادة الخالصة مقبولة عند الله بدون اعتبار المكان (بشارة يوحنا اصحاح ٢١:٤— ٢٤) وازداد هذا الاعتقاد تمكناً ورسوخاً بعد ان قدم المسيح نفسه ذبيحة خارج اسوار اورشليم ذبيحة واحدة اغنتنا عن الوف من الذبائح والمحرقات. ومن ذلك الوقت فصاعداً لم يبق وجه معقول لتخصيص بقعة من الارض للعبادة ولنسبة القداسة والبركة اليها بنوع خصوصي.

فترى من هنا ان العهد الجديد ليس محصوراً بين امة ولا في اقاليم دون آخر بل متسع لقبول من يؤمن بالمسيح من أية امة وبلاد على وجه الارض بحيث تمنح له حصته من بركات الله ومزايا الايمان.

قد رأينا كفاية لعدم لزوم تخصيص مكان للعبادة أو تقديم الذبائح كما كان الحال في شيلوه وهيكل سليمان ولكن الله قد خصص شخصاً حياً هيكلاً روحياً ليس بنياناً من طوب وطين. فيه وحده

تقبل العبادة و تقدم الذبائح الروحية التي اشرنا اليها آنفاً وهذا الشخص هو يسوع المسيح. فعلى المسيحي الحقيقي ان يقدم نفسه لله ذبيحة حية مقدسة لا في مكان مخصص بل في شخص المسيح لكي يحوز باستحقاقاته القبول والرضا عند الله. فترى مما تقدم ان شريعة الذبائح المفروضة في التوراة تمت في العهد الجديد وارتفعت الى اعتبار اكرم ومعنى اسمى وتم ذلك في الساعة التي استغنى فيها الحال عن حرفية هذه الشريعة وتوضحت روحانيتها

ثم فرض في التوراة ثلاثة اعياد لليهود وامرت ذكورهم ان يصعدوا في كل عيد الى المكان الذي اختاره الرب ليظهروا امامه (خروج اصحاح ٢٣: ١٤ و١٧ وتثنية اصحاح ١٦: ١٦) غير ان اليهود على ممر السنين والازمان غالوا في الاعتبار الخارجي لهذه الاعياد وتجاوزوا الحد وظنوا انهم بذلك يحرزون رضا الله والتقرب اليه. وان كانوا يهملون التقوى الحقيقية فلهم في حفظ هذه الاعياد ما يكفر عن ذنوبهم. فغضب الله عليهم وكره اعيادهم وارسل اليهم انبياءه ببلاغ مخصوص في هذا المعنى ومن ذلك قوله «رؤوس شهوركم واعيادكم بغضتها نفسي صارت عليّ ثقلاً مللت حملها فحين تبسطون ايديكم استر عيني عنكم وان كثرتم الصلوة لا اسمع ايديكم ملآنة دماً اغتسلوا تنقوا

اعزلوا شر افعالكم من امام عيني كفوا عن فعل الشر تعلموا فعل الخير الخ» (اشعياء اصحاح ١٤:١—١٧ وعاموس اصحاح ٢١:٥) من هنا ترى انه لا يجوز القبول لدى الله الا الذين يتقدمون اليه بالروح والحق.وهذا ممكن نواله في العهد الجديد بالايمان الحي بكفارة المسيح ويدل على ذلك قوله«وانتم الذين كنتم قبلاً اجنبيين واعداء في الفكر في الاعمال الشريرة قد صالحكم (المسيح) الآن في جسم بشريته بالموت ليحضركم قديسين وبلا لوم ولا شكوى امامه»(رسالة بولس الى كولوسي اصحاح ٢٢:١) وقوله «فاذ لنا ايها الاخوة ثقة بالدخول الى الاقداس بدم يسوع طريقاً كرسه لنا حديثاً حياً بالحجاب اي جسده وكاهن عظيم على بيت الله لنتقدم بقلب صادق في يقين الايمان مرشوشة قلوبنا من ضمير شرير ومغتسلة اجسادنا بماء نقي» (عبرانيين اصحاح ١٩:١٠—٢٣) .

وفرض في التوراة الختان وجعل علامة للعهد المأخوذ بين الله وهو الطرف الاول وبين ابرهيم ونسله وهو الطرف الثاني ولكنه مشروط على الذين يتّسمون بهذه العلامة ان يؤمنوا بوعد الله—انه يتناسل من ابرهيم واسحق ويعقوب نسل تتبارك به جميع قبائل الارض (تكوين اصحاح ١٠:٢٧—١٤ واصحاح ١٨:١٨ وص ١٨:٢٢

وص ٢٦:٤) وكرر الله شريعة الختان على يد موسى النبي (لاويين ص ٣:١٢) على ان الغاية المقصودة منه هي تمييز اليهود عن الامم ولم يمكن تحقيقها في ذلك الوقت لان كثيراً من الامم كانوا مختتنين فلا بد ان يكون القصد منه والحالة هذه ان يتعلم اليهود ان يختتنوا قلوبهم من الشهوات الحيوانية. والتوراة نفسها تؤيد هذا التأويل ومن ذلك قوله «فاختتنوا غرلة قلوبكم» (تثنية ص ١٠:١٦) وفي مواضع أخرى يفسر ختن القلب بالحب الخالص لله حيث يقول «ويختن الرب الهك قلبك وقلب نسلك لكي تحب الرب الهك من كل قلبك ومن كل نفسك لتحيا» (تثنية ٣٠:٦) وكذلك اسفار العهد الجديد تنسج على هذا المنوال (انظر رسالة بولس الى رومية ص ٢:٢٥ و٢٨ و٢٩)

ولما كمل العهد القديم بالعهد الجديد عين الله لهذا علامة عوض الختان وهي فريضة المعمودية يوسم بها من يؤمن بالمسيح من أية امة كانت على وجه الارض (انظر بشارة متى ص٢٨:١٩) وهذه العلامة الجديدة مناسبة لكل الرجال والنساء والكبار والصغار وانها كالختان تعلم نقاوة القلب وعوض الختان بالعماد للتمييز بين المؤمنين بالمسيح وبين اليهود والامم الذين يمارس كثير منهم الختان كما لا يخفى. واما ما يشير اليه الختان وهو طهارة القلب والنية فتشير اليه المعمودية من باب

أولى (انظر رسالة بولس الى كولوسي ص٣:٥—١٧)

وفي العهد القـديم فرائض اخرى كثيرة ضربنا عنهـا صفحاً مكتفين بالذي عددناه والمراد منها توجيه القلب الى حقائق روحية واستيعابها. ومتى ادركناهذه الحقائق الروحية لم تبق حاجة الى ممارسة فرائضها المنظورة بل تكون مضرة اذ يخشى على الذين يستعملونها ان يتمسكوا بالعرض دون الجوهر كما جرى لليهود الذين تمسكوا بطقوس ورسوم تشير الى المسيح ورفضوا المسيح نفسه وظنوا انهم ناجحون بفضل هذا التمسك الباطل .

فمع هـذا البيان الوافي لا ينبغي لذي فهم ان يرتاب في فسـاد دعوى نسخ الانجيل للتوراة. وقد تبين انه لم ينسخها بل اثبتها ورفع درجة طقوسها ورسومها من الشبح الذي لا يغني شيئاً عن روحانية العبادة. وهذا ما عناه السيد المسيح بقوله «لا تظنوا اني جئت لانقض الناموس او الانبياء ما جئت لانقض بل لاكمل فاني الحق اقول لكم الى ان تزول السماء والارض لا يزول حرف واحد او نقطة واحدة من الناموس حتى يكون الكل» (بشارة متى ص٥:١٧و١٨) هذه هي علاقة الانجيل بالتوراة .

اما من جهة الوصايا الادبية فقد ذكرنا انها موافقة لارادة الله

وصفاته فلا تقبل التغيير ولا النسخ بل تبقى ثابتة الى ما لانهاية كما ان صفات الله ثابتة . فهي في العهد القديم عينها في العهد الجديد الا انها مشروحة في الاخير شرحاً مدققاً وبالغة حد الكمال ومن امثلة ذلك ان القتل محرم في التوراة (انظر سفر الخروج ص ٢٠: ٣٠ وسفر التثنية ص ٥: ١٧) اما المسيح فقد شرح القتل في الانجيل باحساسات الغضب التي ان لم تخمد ادت الى القتال المريع (بشارة متى ص ٥: ٢١ و٢٢) ثم ان الزنا محرم في التوراة (خروج ص ٢٠: ١٤ والتثنية ص ٥: ١٨) اما المسيح فيعتبر كل نظرة الى النساء بشهوة زنا (بشارة متى ص ٥: ٢٧ و٢٨) وقال شارحاً الزنى ما معناه وان كان موسى اباح الطلاق لليهود لقساوة قلوبهم فهو يحرمه الا لعلة الزنى ويعتبر الطلاق بغير هذه العلة زنى وتسهيلاً للغير عليه ايضاً (بشارة متى ص ٥: ٣١ و٣٢)

وقد حرمت التوراة القسم بغير الله وكذا حرمت النطق به كذباً او باطلاً (سفر الخروج ص ٢٠: ٧ واللاويين ص ١٩: ١٢ والتثنية ص ٦: ١١) فلما جاء المسيح وجد اليهود يستعملون الاقسام في كلامهم الاعتيادي فنهاهم عن ذلك وامرهم بترك القسم قطعياً من غير ضرورة وان يتكلموا بالصدق ايجاباً وسلباً نعم نعم لا لا (بشارة متى ص ٥: ٢٣—٣٧)

وامرت التوراة بني اسرائيل ان يحب كل منهم قريبه كنفسه (سفر اللاويين ص ١٩: ١٨) وفسر علماؤهم القريب المذكور هنا بمن كان من امتهم واما الغريب فخارج عن حدود هذه الوصية ولهذا جرى لسانهم في اقتباسها بهذا المعنى ان يحبوا امتهم ويبغضوا الاجانب. اما المسيح في شرحه هذه الوصية اوجب المحبة للقريب والغريب والعدو والصديق (بشارة متى ص٥: ٤٣—٤٨) واعلم ان بني اسرائيل في زمن موسى كان يصعب حتى على خيارهم ان يخمدوا ثورة غضبهم ويتحاشون جريمة القتل مخافة من الله. كما وانه كان يصعب عليهم حفظ الوصايا الاخرى الناهية عن السرقة والطمع والزنى. اما في زمن المسيح لعلهم كانوا احسن حالاً واطيب قلباً لطول عهدهم بالانبياء والرسل وتاثير الروح القدس. حتى لم يعد يصعب عليهم حفظ هذه الوصايا وامثالها الا من كان متوغلاً في الشر منهم. ولهذه المناسبة كان عليهم ان يرتقوا في معارج الفضيلة ويكلفون بوصايا ادبية في منتهى الصلاح والكمال لم يحلم بها افاضل اسلافهم. وفي ذلك الوقت جاء المسيح وفسر لهم الوصايا الادبية الواردة في شريعة موسى بغاية الدقة والضبط كما مر بيانه حتى بلغت الكمال. ثم انه قرن تعليمه بالعمل في كل ايام حياته وصار ممكناً بفضل قدرته المباركة و نعمة الله ومعونة

الروح القدس ان يبلغ المؤمن بالمسيح حتى المحتقرون منهم الى اعلى طبقات البر والصلاح ويسبقوا خيار بني اسرائيل في هذا المضمار.

فنهت شريعة موسى عن كل عمل شرير. واما شريعة المسيح فلم تقف عند هذا الحد فقط بل تجاوزته الى النهي عن الافكار الشريرة. جاءت شريعة موسى بعبارة سلبية معددة ما نهى عنه الله اما شريعة المسيح فاحاطت بالسلب والايجاب فكما نهت عن فعل الشر امرت بفعل الخير. من اجل ذلك كان يقع تحت طائلة العقاب بموجب شريعة موسى كل من يفعل الشر. واما بموجب شريعة المسيح فيقع تحت طائلة العقاب من لم يعمل الخير وان كان بريئاً من فعل الشر. ومن اقوال المسيح في هذا المعنى مثل مشهور يدعى مثل السامري الصالح اوجب فيه دينونة كاهن ولاوي لم يسعفا رجلاً جريحاً بل تركاه ومضيا (بشارة لوقا ص١٠: ٣٠—٣٧) ومنها مثل العبد الذي اخذ من سيده وزنة ولم يتاجر بها بل صرها في منديل وحفظها عنده فاوجب عليه العقوبة مع انه لم يختلس من المال درهماً واحداً لكنه لم يربح فوقه وذلك كناية عن عدم فعل الخير (بشارة لوقا ص١٩: ٢٠—٢٤)

نهت شريعة موسى بني اسرائيل عن ان يخالطوا الامم حذراً من ان ينقادوا الى عباداتهم الوثنية وفعالهم المنكرة. واما شريعة المسيح

فلا تقف معنا عند حد السلامة من دين الوثنيين وافعالهم بل توجب علينا ان نبشرهم بالمسيح ونعلمهم معرفة الاله الحقيقي حتى نربحهم ونضمهم الى صفوفنا.الا انه من بعض الوجوه يوجد فرق ضروري بين العهد القديم والجديد.الاول علم الناس انهم خطاة وذوي طبيعة خاطئة امام نظر الله القدوس وامرهم ان يلقوا رجاءهم على مخلص آت يولد من عذراء في بيت لحم ويقدم نفسه كفارة عن خطاياهم . واما العهد الثاني فهو يبشر بان المخلص الموعود بهقدجاء وقدم نفسه كفارة ليس عن خطايا اليهود بل عن خطايا العالم كله ولم يبق عليهم الا ان يؤمنوا به فيخلصون .ولكن هذا الفرق وحده هو تميم في الزمان الثاني لما سبق به الوعد في الزمن الاول .

ربما يظهر للبعض انه لمناسبة تقدم العالم في المدنية والحضارة فالدين الذي كان ملائماً للناس في زمن موسى لم يلائمهم في زمن المسيح اذ انه عتق وشاخ.ومثل ذلك الدين الذي وضعه المسيح اذ مر عليه ستماية سنة خلق وقدم ايضاً ولم يعد يلائم العالم في عصر محمد فولى الادبار ايضاً وقام مقامه الاسلام .

فرداً على ذلك نقول (اولاً) بما ان الطقوس والرسوم الدينية هي رموز تشبيهية فيجوز ان تهرم وتشيخ متى اتى المرموز اليـه.

وعوضاً عما كانت مفيـدة في زمن الرمز بها لا تكون مفيدة في العصور الاخرى بل ربما أضرت فهذا مسلم . اما المبادئ الجوهرية للدين الحق فلا تقبـل التغيير ولا يؤثر عليهـا مرور القرون واختلاف العصور كالشريعة الادبية،فانها ان كانت حقاً وواجبة في زمن تبقى كذلك في كل الازمان.فمبادئ شريعة موسى الادبية كانت حقاً في زمن آدم وابرهيم والمسيح وهي حق في هذا الزمان وتبقى حقاً الى يوم القيامة بل الى ما لا نهاية له.لان جوهر الدين الحق لا يقبل التغيير ولا يعجز عن التأثير (ثانياً) نقول ان كان العالم قد تقدم في المدنية والعلم يقتضي تقدمه في الدين ايضاً ولو سلمنا جدلاً ان عصر محمد وجزيرة العرب مسقط رأسه كانا اكثر حضارة وارقى مدنية من بلاد فلسطين ومن الامة اليهودية في عصر المسيح واقتضى تنزيل دين الاسلام مشايعاً لهذه المدنية الباهرة،لكان من اللازم ان يكون الاسلام راقياً كرقي الديانة المسيحية على الاقل من حيث المبادئ الادبية وروحانية العبادة والعتق من نير الطقوس اليهودية المتراكمة فهل الاسلام راقٍ هذا الرقي من هذه الحيثيات ام يرجع القهقرى الى زمن موسى؟ اننا نترك الحكم لاهل الانصاف والخبرة بالتوراة والانجيل والقرآن (ثالثاً) نقول ان الطبيعة البشرية واحدة في كل العصور من

حيث احتياجاتها واميالها والفساد المتساط عليها. لذلك يحتاج البشر اجمعون الى روح الله القدوس ليطهر قلوبهم من زمن مضى أو حاضر أو مستقبل. إلا ان ابن آدم مائل للخطية ومحتاج الى يد تنتشله وتقربه الى الله على الرغم من امياله الطبيعية. وهذه اليد الناشلة لا يمكن الوصول اليها الا ان كان يتفضل الله علينا ويحبنا اولاً ويكون هو البادئ بالصلح . نعم هذا هو الانجيل بعينه لانه اعلان محبة الله للعالم الاثيم. قال الرسول يوحنا احد الحواريين الاثني عشر «نحبه لانه احبنا اولاً » فهذه الطريقة هي ارقى وانجع وافضل طريقة معقولة لاجتذاب الانسان الى الله ومصالحته مع خالقه سبحانه وتعالى. من اجل ذلك لا يقدر يتصور العقل البشري وسيلة دينية تحمل الانسان على انكار نفسه والعروج الى ارقى درجات الصلاح والتعبد لله مثل الايمان بان الله احبنا اولاً وبذل ابنه من اجلنا .

ونزيد قائلين ان دعواهم بأن التوراة منسوخة دعوى منقوضة باقوال الانبياء والرسل الصريحة الدلالة بل باقوال المسيح نفسه التي وردت ضمن اسفارهم ومن ذلك قول اشعياء النبي مشيراً الى اسفار العهد القديم طبعاً «يبس العشب ذبل الزهر واما كلمة الهنا فتثبت الى الابد» (سفر اشعياء ص٤٠:٨) ويؤيد المسيح هذه الحقيقة داحضاً

وقوع النسخ على اسفار العهد القديم ومثبتاً بقاء كلماتها الى الابد او على الاقل مدة وجود العالم ومن ذلك قوله «السماء والارض تزولان ولكن كلامي لا يزول» (بشارة متى ص ٢٤: ٣٥ وبشارة مرقس ص ١٣: ٣١ وبشارة لوقا ص ٢١: ٣٣)

ولعل معترضا يقول ان المسيح قصد بقاء كلامه في تلك المواضع الى زمن حصار اورشليم بواسطة جيش تيطس اي سنة ٧٠ للميلاد. فنجيب ان من يطالع هذه الاصحاحات الثلاثة ويلاحظ سياق الكلام فيها يحكم لاول وهلة ان اشارة المسيح ليس الى حصار او خراب اورشليم بل الى منتهى العالم الى يوم القيامة حينما يأتي ثانية ليدين الاحياء والاموات (بشارة متى ٢٤: ٣٠و٣١ وبشارة مرقس ص١٣: ٢٦ و٢٧ وبشارة لوقا ص ٢١: ٢٧ و٢٨) لانه لما اشار الى الضيقات الهائلة التي ستحيق بالعالم في آخر الزمان وتغير وجه الارض كان من المناسب ان يسكن روع المؤمنين به بان كلامه يبقى ثابتاً [١] لا يتغير ولا يزول حتى يتمسكوا به في اوقات الشدائد

ومما يدل على ان كلام المسيح باقٍ الى يوم القيامة قوله «من

---

(١) وكذلك القرآن يثبت ان لا تغيير لكلمات الله (انظر سورة الانعام آية ٣٤ و١١٥ وسورة يونس آية ٦٤ وسورة الكهف آية ٢٧)

رذلني ولم يقبل كلامي فله من يدينه الكلام الذي تكلمت به هو يدينه في اليوم الاخير» (بشارة يوحنا ص ١٢:٤٨) وهذا الدليل من الصراحة بمكان بحيث لا يجهله احد لانه ان كنا سندان في اليوم الاخير بموجب انجيل المسيح فيقتضي ان يبقى بدون تبديل الى يوم الدين.وعدا ذلك امرنا في الانجيل امراً صريحاً انه ان جاءنا اعظم عظيم ولو ملاك من السماء وبشرنا بخلاف ما ورد في الانجيل وادعى بانه مرسل من الله يكون ملعوناً (رسالة بولس الرسول الى غلاطية ص ١:٨) ولهذه الاسباب ابتعد المسيحيون الحقيقيون عن ضلالات الانبياء الكذبة الذين ظهروا بعد المسيح وادعوا بانهم هم المشار اليهم في الانجيل بالفارقليط مثل ماني الفارسي وغيره وكذلك لم يتوقعوا وحياً جديداً غير المتضمن في العهد الجديد .

ولا يبرح من بالك ان قصد المسيح من دوام كلامه وبقاء كل لفظة من الفاظ العهد القديم والجديد على وضعها الاصلي شيئان مختلفان، لان قصد المسيح من دوام كلامه وكلام العهدين بقاء معانيهما لا الفاظهما. اذ ليس عالم باصول اللغة يجهل ان المعنى هو المراد لا الالفاظ التي هي آلة للتعبير. اذ قد توجد قراآت مختلفة لنسخ العهدين كما توجد قراآت في القرآن وكل الكتب القديمة، لكنها

لا تغير المعنى ولم تمس مبدأ من مبادئ الدين في العهدين .

ولقائل ان يقول يؤخذ من كلام المسيح من حيث بقاء كلمة الله في العهد القديم والجديد بدون تبديل انه لا يجوز تبديل الطقوس والرسوم الخارجية الواردة في التوراة حالة كونها تبدلت بالانجيل. فنقول اننا اجبنا على هذا الاعتراض في ما تقدم بما فيه الكفاءة ولا بأس من تكرار الجواب بان الطقوس والرسوم الخارجيـة الواردة في التوراة لم تبدل بالحقيقة بل تقدمت وتكملت كما علم المسيح نفســه (بشارة متى ص ٥:١٧) ومن امثلة ذلك ان المسيح اصلح كيفية الصيام مع كون انبياء العهد القديم لم يأمروا به ولا نهوا عنه بل غاية ما في الامر كان محترماً عند اليهود (بشارة متى ص ٦:١٦—١٨)

وقول بعضهم ان امر المسيح الوارد في الانجيل (بشارة متى ص ١٠:٥) وتصريحه في (ص ١٥ : ٢٤ من البشـارة المذكـورة) منسوخان كلاهما بامره الوارد في ختام هذه البشارة. فنجيب عليه قائلين ان الاوامر الوقتية يجب ان تكون وقتية اي متى نفذت تماماً انتهت فلا يقال انها نسخت ولا ابطلت واثبات ذلك ظاهر من معنى كلام السيد المسيح انه لم يقصد حصر التلاميذ في بلاد فلسطين دائماً ابداً لانه له المجد هو نفسه لم يتجاوز حدود فلسطين الا هذه المرة التي

استدعته الى القول المشار اليه.فلا يعد عدم سفره نهياً صريحاً للتلاميذ عن السفر دائمـاً ولا ان رسالتهم مختصة في بني اسرائيل فقط .

ولنرجع الآن الى الحقائق المذكورة في التوراة فنقول انها ايضاً لا تقبل النسخ واثبات ذلك سهل جداً .لانه من البدهي لكل ذي فهم ان الحقيقة الواردة في الكتاب كواقعة حال يجب اما ان تكون صدقاً او كذباً.اما كونها كذباً فلم يدع هذه الدعوى احد من المسلمين . واما كونها صدقاً فيستحيل نسخها كما هو مستحيل لاي حادث ان يمحى من بطون التاريخ ويمحى اثره من صحيفة الوجود وفي هذا كفاية .

والآن قد اتينا في هذا الفصل بمزيد الوضوح والجلاء بان كل تعاليم العهد القديم والجديد الجوهرية لا تقبل التغيير ولا النسخ لانها تمثل للناس ارادة الله وصفاته وهي منزهة عن التغيير والتبديل في كل العصور والآباد.وعليه فطريق الخلاص واحدة في كل الاجيال وسيدان الناس في اليوم الآخر بموجب تعاليم المسيح الذي رأى ابرهيم يومه بعين الايمان وفرح به وبالايمان باسمه يخلص كل انسان حتى الانبياء والمرسلين .

الفصل الثالث

في ان اسفار العهد القديم والجديد المتداولة اليوم هي بعينها التي كانت بايدي النصارى واليهود في عصر محمد ولها قد شهد القرآن

في هذا الفصل والذي يليه بحثان في غاية الاهمية (الاول) هل اسفار العهدين المنتشرة اليوم هي بذاتها التي كانت في عصر محمد (والثاني) ان كانت هي بذاتها فهل اعتراها تحريف او تبديل كثير او قليل؟ وقبل البحث في هذا وذاك لنفرض (اولاً) ان الكتاب المقدس المتداول اليوم لم يكن هو بذاته الذي كان في عصر محمد (ثانياً) او على الاقل اعتراه التحريف بحيث اصبح لا يوثق به كما يزعم جهال المسلمين. فان كان الامر هكذا فما اشقى بنو آدم وما انكد حظهم وانحس طالعهم لان كلام الله الذي لا يقبل التغيير على حسب فهمنا و نطقت به الانبياء والرسل كما يصرح القرآن ويحتم على المسلمين ان يقروا ويعترفوا به قد تلاشى واحسرتاه من الوجود او تشوه بالباطل فسقطت قيمته . ما اشقى الجنس البشري بهذا المصاب العظيم حتى القرآن طاش سهمه وخاب مسعاه لان الله انزله مهيمناً [١] على

(١) انظر سورة المائدة (آية ٥١) يقول «وانزلنا اليك الكتاب بالحق

الكتاب المقدس ليحفظه سالماً من ايدي الاغراض ولم يحفظه.ان هذا ليهدم ركناً عظيماً من اركان الثقة بالقرآن كيف لا وقد وكل الله اليه مأمورية فاهملها شر اهمال .

لكن هذه الدعوى باطلة والشكر لله فان كلمته التي في العهدين لم تتلاش ولا تحرفت بل بقيت محفوظة بعنايته الضابطة لكل شيء كما يعترف القرآن ويهدي اتباعه الى صراط مستقيم من هذه الحيثية.

ومن الغريب اننا نحن معاشر المسيحيين بواسطة تمسكنا بشهادة القرآن في حق الكتاب المقدس بالصحة والنزاهة ندافع عن القرآن نفسه من هجمات اغبياء المسلمين الذين لو دروا ان الطعن في الكتاب المقدس طعن في قلب القرآن لم يطعنوا

ومن الشواهد على ذلك قول الشيخ رحمة الله الهندي فانه روى لنا في مؤلفه (اظهار الحق) الذي طبعه سنة ١٢٨٤ هجرية ان احد علماء دهلي من اعمال الهند افتى قائلاً «ان هذا المجموع المشتهر الآن

مصدقاً لما بين يديه من الكتاب ومهيمناً عليه الخ» ويفسر البيضاوي قوله «ومهيمناً عليه» رقيباً على سائر الكتب ليحفظها من التغيير ويشهد لها بالصحة والثبات وقرئ على صيغة المفعول اي هُومِنَ عليه او حوفظ من التحريف والحافظ له هو الله او الحفظ في كل عصر شهيداً عليه اي على الكتب كلها

بالعهد الجديد ليس بمسلم عندنا وليس هـذا هو الانجيل الذي جاء ذكره في القرآن بل هو عندنا عبارة عن الكلام الذي انزل على عيسى (صحيفة ١٤٤ و١٤٥) وقد وقع رحمة الله في مثل هذا الخطإ الفاحش من شدة تعصبه فانه قال ما معناه ان التوراة والانجيل الاصليين فقدا قبل رسالة محمد والاسفار الموجودة اليوم لا مقام لها عندنا اكثر من كتب اقاصيص مافقة من باطل وحق واننا لا نعتبر ان الكتاب وجد بحالة الصحة والنقاوة حتى زمن الاسلام ثم دهمته مصيبة التحريف فاتلف بل نقول انه فقد كله قبل ذلك بزمن طويل .

ورداً على ذلك نقول ان رحمة الله لا يعني بالتوراة والانجيل الاصليين نفس الصورتين اللتين كتبهما موسى ورسل عيسى بايديهم لانه ان كان يقصد ذلك يورط نفسه من جهة القرآن لان نسخته الاصلية ضاعت ايضاً بل قصد الانجيل والتوراة اللذين هما طبق الاصل ودعواه بانهما ضاعا باطلة كما هو مسلم عند علماء الاسلام المحققين في كل العالم وهذه من افحش الغلطات التي سقط فيها رحمة الله وان مثله لا يلتمس له عذر كما كان يلتمس لاهل العصور المظلمة اما وهو من ابناء هذا العصر الذي سطع فيه نور العلم والعرفان فيؤاخذ بغلطته كل المؤاخذة . يبذل هذا الشيخ مجهوده ليوهم بسطاء

المسلمين ان التوراة الاصلية فقدت عندما سبى بختنصر الملك اورشليم وهدم هيكل سليمان سنة ٥٨٧ قبل المسيح ويقيم الدليل على ذلك من سفر مزمور يدعوه بعضهم «سيدراس الثاني» ويدعوه بعضهم الرابع ويحاول ان يقنع المسلمين بأن سيدراس هذا انما هو عزرا المسمى في القرآن عزير وانه قد الف كتاباً وادعى انه هو التوراة الحقيقية الاصلية التي نزلت على موسى النبي. الا اننا بمراجعة ذلك السفر الذي يشير اليه لا نجد ما يدل على صحة دعواه مطلقاً بل ما يدحضها ويزيفها فورد في اصحاح ١٤: ٢١و٢٢ بأن عزرا استدعى الكتبة الى كتابة كل ما عمل في العالم من البدء كما هو مكتوب في اسفار الشريعة. فاذا صح هذا السند فانه يدل على ان عزرا كان من حفظة اسفار الوحي فاملاها على الكتبة فكتبوها ودونوها فلا يقال عن عزرا والحالة هذه انه الف كتاباً من عند نفسه وادعى بأنه التوراة. وجاء في تفسير البيضاوي لسورة (التوبة آية ٣٠) ما ينقض زعم رحمة الله ويؤيد بياننا قال ما معناه عند ما سبى بختنصر اليهود لم يبق احد من حفظة الوحي فبعث الله عزيراً من الاموات وقد مر عليه مائة سنة ميتاً فاملى التوراة وجاءت طبق الاصل حتى تعجب منه اليهود. ان كانت هذه الرواية صحيحة فلا غرو ان يتعجب منها اليهود انما العجب كل العجب ان

يوجد بين العقلاء من يصدق خرافة كهذه فانه لا سفر سيدراس الثاني ولا الرابع ذكر هذه السخريات ومع ذلك يؤخذ من هذه المزاعم التي رواها البيضاوي في تفسيره ورحمة الله في اظهار الحق ان عزرا كان حافظاً لاسفار الوحي لا مزوراً . ثم نقول مرة ثانية . ان كانت الرواية الواردة في سفر سيدراس الثاني صحيحة فلا يؤخذ منها ان التوراة انعدمت من الوجود بسبب حرق كل نسخها كما انه لا ينعدم القرآن اذا احرق وذلك لانه كان يوجد حفظة للتوراة كما يوجد حفظة للقرآن الذين في امكانهم ان يدونوه في الكتب. ويحسن ان نقول عن سفر سيدراس انه لا يوجد احد من علماء اليهود او المسيحيين اعتمده ونسبه الى عزرا. ويظهر من مطالعة الجزء الاول منه انه كتب ما بين ٨١ و٨٦ ميلادية . ومن المعلوم ان عزرا كان قبل الميلاد بنحو خمسمائة سنة (انظر سفر سيدراس الثاني اصحاح ٢ :٤٧ واصحاح ٧ :٢٨ و٢٩ الخ) وعليه تكون نسبة هذا السفر الى عزرا منتحلة وبالنتيجة يكون السفر مزوراً وان اليهود الاولين لم يعدوه بين اسفارهم القانونية الا انه في القرن الثالث للميلاد قبله بعضهم من الذين يجهلون اللغة العبرانية المكتوب بها والا لما كانوا يقبلونه

واذ قد انتهينا من كلمتنا عن هذا السفر واقمنا الدليل بان التوراة

والاسفار الاخرى المقدسة التي اوحي بها الى الامة اليهودية لم تتلاش قط من الوجود فنقول ان ثبت وجودها في حياة عزرا اي بعد خراب الهيكل باكثر من مائة عام ثبت وجودها في زمن بختنصر. اما انها كانت موجودة في زمن عزرا فالدليل عليه من نفس سفر عزرا المقبول لدى اليهود والنصارى اجمعين فلقد ورد فيه قوله «عزرا هذا صعد من بابل وهو كاتب ماهر في شريعة موسى التي اعطاها الرب اله اسرائيل» (توراة سفر عزرا ص ٧:٦) قابل بين هذا وبين ما ورد في سفر نحميا ص٨) ثم جاء ايضاً في سفر عزرا ان شريعة الرب اي التوراة كانت في يده وقت صعوده من بابل الى اورشليم وعلى ذلك قول الملك ارتحشستا له «من اجل انك مرسل من قبل الملك ومشيريه السبعة لاجل السؤال عن يهوذا واورشليم حسب شريعة الهك التي بيدك» (عزرا ص ٧:١٤) ومن هنا يظهر بمزيد الوضوح ان التوراة لم تتلاش في زمن بختنصر بموجب هذا الدليل الكتابي. وعندنا دليل آخر ورد في كتاب عبري يدعى «برقي ابهوث» كتب في القرن الثاني للميلاد ما معناه «نزلت التوراة على موسى في جبل سيناء واستودعها موسى الى يشوع وهذا سلمها الى شيوخ اسرائيل وهؤلاء سلموها الى الانبياء وسلمها الانبياء الى السنهدريم «مجمع

اليهود الاعظم» ويروى ان هذا المجمع كان مؤلفاً من علماء اليهود وبدأ بتأسيسه عزرا وكان الغرض منه المحافظة على التوراة وتعليمها للشعب. وورد في التامود (كتاب تقليد اليهود) انه بعد السبي البابلي الذي نحن في صدده اعاد المجمع العظيم التوراة الى مجدها وجلالها القديم واشار الى ذلك كتاب «برقي ابهوث» بما معناه ان ذلك المجمع وضع ثلاثة وصايا كشعائر مقدسة الاولى — احترس في القضاء — الثانية علم كثيرين — الثالثة كن حصناً منيعاً للتوراة. وهذه الوصية الاخيرة اوجبت على اليهود ان يبذلوا قصارى جهدهم في صيانة التوراة سالمة من كل ما يعرض لها وقد قاموا بهذه المهمة خير قيام. وما من امة بالغت في العناية بكتابها المقدس كما بالغت الامة اليهودية بتوراتها فقد احصوا عدد كلماتها وحروفها واذكر لك هنا قولاً مأثوراً قاله احد اكابر هذا المجمع يدل على مبلغ عنايتهم بالتوراة والى اي حد رفعوا مقامها. ورد في «برقي ابهوث» قوله ان سمعان العادل احد خلفاء المجمع كان يقول العالم قائم على ثلاثة اعمدة «التوراة والعبادة والعمل الصالح» بمثل هذا الاهتمام والتدقيق تداولت التوراة بين اليهود من السلف الى الخلف جيلاً بعد جيل في لغتها الاصلية وهي العبرية والآرامية بكل اعتناء وتدقيق. ومن الادلة المعتبرة على ما نحن بصدده

تعدد قرا آت التوراة اي وجود اختلافات لفظية مع وحدة المعنى اليس هذا برهان على انه لم يكتبها شخص واحد ولا كتبت في عصر واحد. ثم انه يوجد فيها ما يشبه التناقض في اخبار بعض الوقائع والمسائل التي ليس لها مساس في الجوهر وهو بالحقيقة ليس بتناقض. فوجود شيء من هذا القبيل في اسفار التوراة مع سكوت اليهود عنه وعدم تجاسرهم على تسويته لدليل قوي على تمسكهم بالمتون الاصلية واستحفاظهم عليها مهما يكن من امرها. وتظهر قوة هذا الدليل باكثر وضوح من المثال الآتي نقلاً عن القرآن ورد في سورة (آل عمران آية ٥٥) قوله «اذ قال الله يا عيسى اني متوفيك ورافعك اليّ» وورد في سورة (النساء آية ١٥٧) قوله «وان من أهل الكتاب الا ليؤمنن به قبل موته» قد ارتاب بعضهم في كون الضمير الاخير عائد الى المسيح ولكن لا يمكن ان يرتاب احد في تصريح القرآن بموت المسيح الوارد في سورة (مريم آية ٣٣) «والسلام عليّ يوم ولدت ويوم اموت ويوم ابعث حياً» فهذا كله يظهر انه منقوض بما ورد في سورة (النساء آية ١٥٦) «وما قتلوه وما صلبوه ولكن شبه لهم» لانه في المواضع الاولى يثبت موته وفي الموضع الاخير ينفيه فوجود التناقض الظاهري في متن القرآن دليل معتبر على ان المسلمين لم يمسوه بسوء والا لكانوا

من باب اولى ازالوا شبه التناقض هذا وخصوصاً في آية «وان من اهل الكتاب الا ليؤمنن به قبل موته» اذ قرئت «قبل موتهم» وهذه القراءة يزول معها الالتباس فما كان ايسر عليهم ان يثبتوا القراءة الثانية محل الاولى لكنهم لم يفعلوا حرصاً على الاصل هكذا يدل وجود شبه التناقض الواقع في اسفار التوراة على امانة اهلها .

قد كتب بعض المصنفين المسلمين جدولاً طويلاً من المناقضات الواردة في الكتاب المقدس وزعم انها مناقضات حقيقية وهي تناقضات ظاهرية فقط كمثل التي نقلناها هنا عن القرآن وقد وفق بين كثير منها العلماء المحققون والتي لم يهتدوا الى التوفيق بينها فصعوبتها قائمة على عدم معرفتهم كل ظروفها. وكما قلنا سابقاً ان وجود هذه الاختلافات في اسفار التوراة دليل على عظم اعتناء اليهود بالمحافظة على الاصل لانهم لم يتخذوا وسيلة لازالة هذا الخلاف ويكفوا نفوسهم مؤونة احتجاجات المعارضين الذين لا يفتأون ينقبون في الكتاب لا توصلاً لمعرفة الله عز وجل بل ليظفروا باحتجاج جديد ويظهروا براعتهم للناس ومن جد وجد في الخير كان او في الشر وان اغمض الرجل عينيه لا يعدم نصيباً من التدهور في الهوة والشمس طالعة. ولنتأمل الآن باختصار فيما اذا كانت اسفار العهد القديم اولاً واسفار العهد الجديد ثانياً المتداولة

اليوم هي بذاتها التي كانت في زمن محمد واليها اشار القرآن فنقول :

انه يوجد لدينا جملة جداول محصاة فيها اسفار العهد القديم يرجع تاريخها الى ما قبل محمد وهي موافقة لتوراة العصر الحاضر تمام الموافقة. قال يوسيفوس المؤرخ اليهودي في تاريخه الذي كتبه سنة ٩٠ ميلادية «لا يوجد بيننا معاشر اليهود عشرات الالوف من الكتب المتناقضة بل يوجد اثنان وعشرون سفراً نؤمن انها موحى بها من الله محتوية على تاريخ كل العصور منها خمسة اسفار[١] لموسى وتشتمل على شريعة الله وتاريخ الجنس البشري من ابتداء العالم الى موته اي نحو ثلاثة آلاف سنة تقريباً ومن ذلك الوقت الى حكم الملك ارتزركسيس الذي خلف زركسيس مدون في ثلاثة[٢] عشر سفراً والاربعة[٣] الاسفار الباقية لتسبيح الله وتهذيب الاخلاق» وان مجمع جامنية الذي عقد سنة ٩٠ ميلادية قدم لنا قائمة هذه الاسفار بعينها ومجمع لادوكية قرر انها اثنين

(١) سفر التكوين والخروج واللاويين والعدد والتثنية

(٢) سفر يشوع . والقضاة مع راعوث . وصموئيل . والملوك . واخبار الايام وعزرا مع نحميا . واستير . وايوب . والاثنا عشر سفراً للانبياء الصغار واشعياء وارمياء مع مراثيه . وحزقيال . ودانيال

(٣) المزامير . والامثال . والجامعة . ونشيد الانشاد .

وعشرين سفراً ثم في القرون المتأخرة جزأوا بعض هذه الاسفار لسهولة المراجعة ويمكننا أن نقدر نعين تاريخ التجزئة بالضبط . مثلاً في نسخة بطرسبرج التي كتبت في اللغة العبرية سنة ٩١٦م لا تزال فيها الاسفار الصغار للانبياء الاثني عشر [١] متضمنة في كتاب كل سفر كان يعتبر اصحاحاً محصية فيه اعداد الآيات. اما تقسيم كل من سفر صموئيل والملوك والاخبار الى جزئين وفصل عزرا عن نحميا فقد تم لاول مرة في طبعة العهد القديم العبرية في البندقية سنة ١٥١٦ و١٥١٧ ميلادية. يقول يوسيفوس المؤرخ ان الكتب الاخرى التي لا يساوون بينها وبين الاثنين والعشرين سفراً القانونية في الوثوق باقوالها وقد ترجموا الكل الى اليونانية ومع كون هذه الاسفار الغير القانونية كتبت وترجمت من قبل المسيح بكل اعتناء وتدقيق لم ينزلوها منزلة الاسفار القانونية ولا عدوها معها وتمت هذه الترجمة بين سنة ٢٤٧ و٢٨٥ قبل المسيح في مصر بناء على طلب بطليموس الثاني الملقب فيلادلفيوس. ويظن البعض أنها بين سنة ٢٠٠ و٢٥٠ قبل المسيح ويرجحون الرأي الثاني وليس هذا ذا بال. وتدعى هذه الترجمة بالسبعينية نسبة الى عدد الذين

(١) هوشع ويوئيل. وعاموس وعوبديا. ويونان. وميخا. وناحوم وحبقوق وصفنيا. وحجي وزكريا. وملاخي

ترجموها فانهم كانوا سبعين عالماً من علماء اليهود وهي اقوم ترجمة للتوراة في الوجود

ولنذكر بعد ذلك الترجمات الاخرى للعهد القديم لزيادة التأكيد بان التوراة التي بايدينا اليوم هي التي كانت في عصر محمد وقبله بقرون كثيرة لانه ان لم تكن موجودة حينئذ فمن اين اتت تلك الترجمات وعلى الخصوص الترجمة السبعينية: هذا ظاهر لابسط الناس وعامتهم.

ثم الترجمة اليونانية التي ترجمت بواسطة اكويلا التي تممها سنة ١٣٠ ميلادية وترجمها مرة اخرى رجل سامري اسمه سيماش وفرغ منها سنة ٢١٨ ميلادية ثم ترجمت الى اللاتينية القديمة في القرن الثاني للميلاد نقلاً عن الترجمة السبعينية. ثم ترجمها جيروم عن اللغة العبرية الى الطليانية وتسمى الترجمة اللاتينية وفرغ منها سنة ٤٠٥ ميلادية. والترجمة السريانية لبشستا والمظنون انها ترجمت في آخر القرن الاول.

يقول يعقوب من اودسا ان التوراة ترجمت ايضاً في حياة المسيح بناء على طلب ملك اودسا ابجار ويظنون ان اول من اشار الى الترجمة السريانية هو مليتس من اهالي ساردس في القرن الثاني وينسبها آخرون الى القرن الثالث. والترجمة السريانية الفيلكسية اتمها بوليكاربوس نحو سنة ٥٠٨ وهذبها واصلحها توماس هرقل ٦١٦ م وعليه كل

الترجمات السريانية كانت موجودة من قبل عصر محمد والترجمة الاخيرة من هذه اللغة بوشرت في نفس ايامه

ولما احتمى اصحاب محمد ببلاد الحبشة قبل الهجرة رأوا اهل تلك البلاد يقرأون التوراة والانجيل في لغتهم الحبشية ومن اقدمية عهد تلك الترجمة عسر على الاحباش فهمها والمظنون انها ترجمت في القرن الرابع للميلاد. وكذلك لما فتح عمرو مصر وجد الدين الغالب فيها النصرانية ووجد الكتاب المقدس مترجماً الى اللغة القبطية في اصطلاحات البلاد الثلاثة الصعيدي والبحيري والبشموري. وقد ترجمت عن الترجمة السبعينية ويظن بعضهم انها ترجمت في ما بين القرن الثالث والرابع ويقول بعضهم بل قبل ذلك

وترجم بعض اجزاء التوراة عن اللغة السريانية الى الارامية سنة ٤١١ م وعن الترجمة السبعينية سنة ٤٣٦ م وبعد ذلك بنحو قرن تمت الترجمة المشهورة بترجمة القديس جاورجيوس وقد كانت مع قرب عهدها قبل الهجرة بسنين كثيرة

وترجم التوراة اسقف غوثية الى لغة اهل بلاده سنة ٣٦٠ م

واكثر هذه التراجم تمها قوم مسيحيون ما عدا الترجمة السبعينية والاكويلية طبعاً. واعلم ان اليهود كثيراً ما ترجموا بعض اسفار

التوراة الى الارامية حينما ابتدأ اكثرهم يهملون التكلم بالعبرية ومن بين هذه التراجم ترجمة انكلوس التي تمت ما بين سنة ١٥٠ و ٢٠٠ م. وترجم يوناثان ابن عزيل اسفار الانبياء سنة ٣٢٠ م.وعدا عن كل هذه التراجم كان يوجد كتاب الترجوم الاورشليمي وهو عبارة عن ترجمة اسفار العهد القديم وشروحها الى اللغة الارامية وقد تم في القرن السادس اي قبل الهجرة.ومن المعلوم انه كان في سالف الزمان بغض شديد بين السامريين واليهود.ومن اجل ذلك لم يعتمد السامريون من التوراة سوى اسفار موسى الخمسة واعتبروها كما هي موحى بها من الله تعالى ولم نعلم بالتأكيد متى تحصلوا على نسخة الاسفار الخمسة فيظن البعض انه كان في سنة ٦٠٦ق م اي حينما ابتدأت سنو السبي السبعون.ويظن البعض ان منسى حفيد الياشيب الكاهن العظيم وهو الذي قد تزوج بابنة سنبلط كما جاء ذلك في سفر نحميا اصحاح ١٣:٢٨ احضر هذه الاسفار الى السامرة حينما نفاه نحميا من اورشليم واسس هناك هيكلاً على جبل جرزيم نحو سنة ٤٠٩ ق م .

ولا يزال بين ايدي المسيحيين بعض النسخ من توراة السامريين اي اسفار موسى الخمسة باللغة العبرانية الاصلية لكن بحروف مختلفة عن التي تستعملها اليهود .

وبمراجعة هذه الادلة والتراجم المتعددة لاسفار العهد القديم عند اليهود والنصارى نجزم ونحتم ان توراة اليوم هي بذاتها التي كانت في عصر محمد وشهد لها القرآن في آيات كثيرة وان القراآت المتعددة للتوراة لا تطعن في سلامتها ولا تشوش نقاوتها لانها لا تمس جوهر تعليمها واختلاف القراآت مسألة لا بد منها لكل كتاب قديم عظيم كاختلافات قراآت القرآن

ولنتكلم الآن في نسخ العهد الجديد المتداول اليوم في العالم المسيحي ونبحث هل هي الانجيل الحقيقي الذي يشهد له القرآن وهل هو الذي كان موجوداً في عصر محمد ام لا ؟

اما رجال العلم والتحقيق في كل العالم فلا يخالج قلوبهم اقل ريب في صحة هذه الدعوى. ان الابحاث العصرية المتأخرة اثبتت قطعياً انه حتى في عصر المسيح كتب تلاميذه (الحواريون) مذكرات باقواله وتعاليمه واعماله وكثير منها وارد في بشارة مرقس على نوع اخص وفي بشارتي متى ولوقا ايضاً على نوع ما. الا ان واقعة صلب المسيح وموته ودفنه وقيامته وصعوده لم يدون منها التلاميذ شيئاً الا من بعد صعوده طبعاً ثم انهم لم يروا ضرورة تدفعهم الى كتابة الانجيل لقوم يعلمونه بمشاهدة العيان اذ كانوا معاصرين ليسوع ورأوه وجهاً لوجه

وكلموه شفاهياً وكانوا معه وحوله كل يوم يسمعون وعظه ويرون معجزاته (انظر الرسالة الاولى لكورنثوس ١٥: ٦ وسفر الاعمال ١: ٢١و٢٢) ولكون المسيح ما امرهم من بادئ بدء ان يكتبوا الانجيل (الاخبار السارة) بل يكرزوا به ليوضع الاساس على شهادة قوم احياء معاصرين له شهادة شفاهية مشفوعة بدلائل الصدق والاخلاص. واما كتابة الانجيل فابتدأت على هذا المنوال. اعلم ان الانجيل معناه الخبر السار او البشارة السارة. وقد كتبها قبل الكل بولس الرسول ضمن رسالتين متواليتين بعث بهما الى اهل تسالونيكي ويرجع تاريخهما الى ما بين سنة ٢٢و٢٣ بعد صعود المسيح ومثل هاتين الرسالتين بقية رسائل بولس في وحدة التعاليم في كل المبادئ التي نتمسك بها الى اليوم.

لكن لما مضى الجيل المعاصر للمسيح او كاد مست الحاجة الى تدوين الانجيل في الاسفار لصون حقائقه من الطوارئ وافادة الاجيال الآتية فألهم روح الله القدوس من اختار لانفاذ هذه المهمة من رسل المسيح ورفقائهم المقربين منهم فكتب اولاً القديس مرقس بشارته قبل خراب اورشليم سنة ٧٠ للميلاد وظن بعضهم انه ما بين سنة ٦٥ و٦٦ في مدينة رومية وكان مرقس رفيقاً لرسل المسيح واحد تلامذته الاولين وكان مشهوراً في الكنائس الاولى ومعروفاً عنه بانه

تلميذ بطرس فكتب بشارته بناء على معلوماته الشخصية ومعلومات بطرس غير ان روح الله القدوس عصمه من الخطإ وذكره بما عساه يكون نسيه وألهمه ما يكتب في تلك الاخبار وما لا يكتب .

وكتب متى رسول المسيح بشارته قبل سنة ٧٠ للميلاد. وكتبها لوقا ما بين سنة ٦٠ و٧٠ وكتبها يوحنا ما بين سنة ٩٠ و١٠٠ اي حينما بلغ من العمر سن الشيخوخة. والحاصل ان بين ايدينا بشارتين لرسل المسيح وهما بشارتا متى ويوحنا وبشارتان لرفقائهم وهما بشارة مرقس (ومن المحتمل ان تكون من املاء بطرس) وبشارة لوقا رفيق بولس الرسول. وهذا الاخير يقول في صدر كتابه انه فحص واستعلم بالتدقيق عن كل ما كتب من شهود العين ومما لا شك فيه ان الاصحاحين الاولين من بشارته كتبهما حسب شهادة العذراء مريم

وربما يقول معترض ان هذا كله لا يدل على ان هذه الكتب موحى بها من الله فاجيب نعم ليست موحى بها كالوحي الذي يتصوره المسلمون ويروونه عن القرآن من انه كان مكتوباً في اللوح المحفوظ من قبل خلق العالم ونزل الى سماء الدنيا في ليلة القدر ثم املاه جبريل على محمد نجوماً حسب الوقائع والاحوال. ان وحياً كهذا يظهر لنا معاشر المسيحيين انه ليس بالجيد فضلاً عن انه لم يقم دليل على ان

القرآن موحى به مثل هذا الوحي كما هو مثبوت في كتاب «مصادر الاسلام» وعلماء النقد والتفكير يقولون ان فرضنا ان كتاباً مقدساً كتب في السماء ونزل الى الارض على هذه الكيفية فلا يمكننا ان نقيم الدليل على ان ذلك الكتاب كتب في السماء ولا ان له صلة بها. واما الوحي عندنا فهو عبارة عن ان الله اذا اراد ان يعلن لعباده امراً من الامور على يد انبيائه لا يتخذهم كآلات صماء بل يستخدم عقولهم واذهانهم وذاكرتهم وذكاءهم وارواحهم في مايكتبونه فيكون وحياً (انظر بشارة يوحنا ص ١٦: ١٣) .

ولنشرح هنا بعض المسائل التي تشوش على اذهان اخواننا المسلمين في فهم حقيقة الانجيل. يقول بعضهم ان الانجيل الذي بين ايدي المسيحيين اليوم ليس هو الانجيل الحقيقي الذي انزل على سيدنا عيسى لاننا نرى عندهم اربعة اناجيل لم تكتب الا بعد صعود المسيح بمدة طويلة. فنقول اما من حيث كون الانجيل كتب بعد صعود المسيح بمدة طويلة لا يطعن في صحته كما لا يطعن في صحة القرآن كونه جمع بعد حياة محمد كما ورد في مشكاة المصابيح صحيفة ١٩٣ والمؤلفات المعتبرة. واما كون عندنا اربعة اناجيل فهو ليس بحق وانما عندنا انجيل واحد لان كلمة (انجيل) وان كانت استعملت اسماً لبعض اسفار العهد

الجديد فمعناها خبر سار او بشارة مفرحة لانها معدولة عن كلمة يونانية مجانسة لها لفظاً وتفيد هذا المعنى بالضبط لكن اخواننا المسلمين قلما يفطنون لهذا المعنى .

ولما كانت خلاصة اسفار العهد الجديد وزبدتها اعلان محبة الله للبشر بحيث انه ارسل لهم يسوع المسيح ليخلصهم من خطاياهم وهذا خبر سار جداً فدعي به العهد الجديد أو بالعبارة اليونانية المعربة انجيل وبهذا الاعتبار لا تكون اناجيل كثيرة بل انجيل واحد كرز به متى ومرقس ولوقا ويوحنا وبولس وبطرس الخ فالكارزون هم المتعددون واما الانجيل فهو واحد غير متعدد.وبمراجعة الاصل اليوناني نجد البشائر الاربع التي في صدر اسفار العهد الجديد مسماة بكيفية تطابق الشرح الذي قدمناه فبشارة متى مسماة انجيل المسيح كما كتبه متى والبشارة الثانية مسماة انجيل المسيح كما كتبه مرقس وهكذا.وانما حباً بالاختصار اتفقوا على تسميتها بحسب الاسماء الحاضرة.وبعد البشائر الاربع سفر الاعمال (اي اعمال الرسل) وخلاصته ان الرسل كرزوا بالانجيل في اقاليم كثيرة من المعمور بين اليهود والامم وبدأوا بالكرازة بعد صعود المسيح بايام قليلة لا تتجاوز عدد الاصابع . والكارز الاول بالانجيل هو نفس المسيح (انظر بشارة مرقس ص١: ١٥

و١٣: ١٠ وبشارة لوقا ٢٠: ١) وبهذا الاعتبار يكون الانجيل نزل على المسيح وقد شهد عن نفسه بانه تلقى رسالته اي الانجيل عن الله وعلى ذلك قوله «وانا اعلم ان وصيته هي حياة ابدية فما اتكلم انا به فكما قال لي الآب هكذا اتكلم» (بشارة يوحنا ١٢: ٥٠ وقابل يوحنا ٨: ٢٨ و١٢: ٤٩)

واما بقية اسفار العهد الجديد فلم تقبل ضمن دائرة الوحي الا بعد الاستفسار والتحري الدقيق والاسانيد الكافية خشية ان ينطوي منها سهواً مصنفات اخرى وهذه المهمة استنفدت زمناً طويلاً مراعاة للظروف الصعبة التي احاطت بتلك الاسفار مثل ان البعض منها كان رسائل خصوصية لافراد معينين كرسالة بولس الرسول الاولى والثانية الى تيموثاوس والى تيطس وفليمون ورسالة يوحنا الثانية والثالثة. والبعض الآخر بعث اولاً كرسائل الى كنائس معينة. الا اننا علمنا من مؤلفات المسيحيين الاولين ان البشائر الاربع عرفت وصار اعتمادها انها وحي من الله ما بين سنة ٧٠ الى سنة ١٣٠ م. وقد تم من بعض الوجوه احصاء اسفار العهد الجديد في سنة ١٧٠م وسمي هذا الاحصاء بالقانون الموراتوري وقد اشتمل على كل اسفار العهد الجديد المتداولة اليوم ما عدا رسالة يعقوب الرسول والرسالة الثانية

لبطرس الرسول والرسالة الى العبرانيين و بعد التحري ابطلوا هذا القانون وعملوا احصاء جديداً تحروا فيه الضبط باكثر تدقيق. يتضمن هذه الرسائل ايضاً مع الاشارة بان الرسالة الثانية لبطرس كانت مشكوكاً في وجودها ضمن الاحصاآت الاولى .

ومن الجدير بالملاحظة ان كتابة الكتب والحصول عليها في تلك القرون الغابرة كان محفوفاً بالمصاعب والنفقات الثقيلة وعدا ذلك لو احصيت اسفار العهدين المكتوبة بخط اليد بالحرف اليوناني الكبير المستعمل حينئذ لما بلغت مجلداً كبيراً فقط بل مجلدات كثيرة.ومع كل هذه المصاعب كانت توجد اسفار الكتاب المقدس مجموعة بين يدي كثيرين من المسيحيين في جهات مختلفة من المعمور . وفي مجمع لاودكية الذي عقد سنة ٣٦٣ م الذي ذكرنا انه احصى اسفار العهد القديم ضمن اثنين وعشرين سفراً قد احصى ايضاً اسفار العهد الجديد على الحالة التي هي عليها الآن ما عدا سفر الرؤيا لان بعض الكنائس قبلته و بعضها لم تقبله(يومئذ)وفي مجمع كارتاج الذي تألف سنة ٣٩٧ م اقروا كل الاسفار المتداولة اليوم مشفوعة بهذا البيان «قبلنا من آبائنا بان هذه الاسفار ينبغي ان تقرأ في الكنائس»

وعدا الاحصاآت المجمعية لاسفار العهد الجديد كما مر فقد

احصاها مشاهير الكتاب المسيحيين منذ القرون الاولى للميلاد متحرين ابحاثهم الخصوصية منهم اوريجانوس الذي مات سنة ٢٥٣ واثناسيوس الذي مات سنة ٣٧٣ وايسيبوس وكان معاصراً له وكلهم اجمعوا في ابحاثهم الخصوصية على قانونية اسفار العهد الجديد كما قررتها المجامع.ويعقب ايسيبوس على احصائه بهذه الملاحظة قال ان بعض المسيحيين لم يقرروا رسالة يعقوب ولا رسالة يهوذا ولا الرسالة الثانية لبطرس ولا رسالتي يوحنا الثانيةوالثالثةولا سفر الرؤيا لكن بعد التحري الدقيق اقتنعنا بان هذه الاسفار قانونية ويجب قبولها ضمن اسفار العهد الجديد بعد التأكد القويّ انها وحي الله .

وعلى ما تقدم لم تمض الأربعة القرون الاولى للميلاد حتى تقرر نهائياً اعتماد اسفار العهد الجديد على حالته الراهنة فيفلسطين وسورية وقبرس وآسيا الصغرى وايطاليا وشمال افريقيا.ومن هنا لا ينبغي لذي عقل سليم ان يرتاب بان الكتاب المقدس المتداول اليوم كان موجوداً بتمامه وعلى شكله الحاضر في عصر محمد بين المسيحيين المستوطنين في جزيرة العرب وسوريا ومصر والحبشة وغيرها من الاقاليم التي تعارف محمد بشعوبها .

ولقائل يقول ربما انقرض الكتاب المقدس بعد عصر محمد

وصنف المسيحيون كتاباً آخر دعوه باسم الكتاب الاول الخ .فنجيب ان هذه الدعوى بمثابة من يدعي ان القرآن بعدما ملأت نسخه الدنيا قد انقرض وصنف المسلمون كتاباً آخر وسموه باسمه فهذه الدعوى لا يدعيها الا كل غر جاهل .ومع ذلك نجيب عليها .انه من البراهين القاطعة على وجود وحدة الكتاب المقدس قبل محمد وبعده النسخ القديمة المخطوطة باليد في اللغة اليونانية وهي اللغة الاصلية لاكثر اسفار العهد الجديد واللغة التي ترجمت اليها هي اقدم ترجمة للعهد القديم اي الترجمة السبعينية .

واقدم متن عبراني موجود اليوم هي النسخة التي وجدت في مصر منذ بضع سنين وتشتمل على الوصايا العشر والقانون العبراني الوارد في (سفر الخروج اصحاح ٢٠: ٢—١٧ وسفر التثنية اصحاح ٦: ٤—٩) وقد كتبت ما بين سنة ٢٢٠ و٢٥٠ للميلاد اي قبل الهجرة بقرون .واكبر نسخة للعهد القديم واقدمها عندنا اليوم هي النسخة الشرقية نمرة ٤٤٤٥ محفوظة في المتحف البريطاني وكتبت ما بين سنة ٨٢٠ و٨٥٠ ويليها في الاقدمية نسخة سان بطرسبرج وهي مؤرخة سنة ٩١٦م وهاتان النسختان منقولتان عن نسخ اقدم منهما بكثير وذكر الناسخ اسم اثنتين منها وهما نسخة (حليل) ونسخة (موخا) روى زكوت

المؤرخ اليهودي ان نسخة حليل كتبت سنة ٥٩٧م وانه رأى جزئين منها يشتملان على هذه الاسفار . يشوع . قضاة . صموئيل الاول . والثاني . ملوك الاول . والثاني . اشعياء . ارمياء . حزقيال . هوشع . يوئيل . عاموس . عوبديا . يونان . ميخا . ناحوم . حبقوق . صفنيا . حجي . زكريا . ملاخي . واما نسخة موخا فليست اقل اقدمية من النسخة الاخرى ولا بد على الاقل ان احدى هاتين النسختين كانت موجودة في عصر محمد . ومن تعاليق اليهود عليهما نعلم انهما كانتا موافقتين لنسخة العهد القديم التي بين ايدينا والحاصل انه عندنا نسخ كثيرة منقولة عن نسخ عبرانية اقدم منها

وان قيل ماذا جرى للنسخ العبرانية القديمة نجيب بما نجيب به اليهود وهو انه عندما كانت تبلى النسخة من كثرة الاستعمال تحفظ في الخزانة حتى اذا مات رباني مشهور دفنوها معه . وبعض الاحيان يخشون عليها ان تهمل مع طول الزمان وتداس باقدام أو يلحقها عارض يدنس ورقها وهذا حرام عندهم فيجهزون عليها بالحريق .

واما نسخ العهد القديم في الترجمة اليونانية الشهيرة بالترجمة السبعينية الذي يدل وجودها على وجود الاصل العبراني من قبلها

فعندنا منها كثير وقد كتبت كلها قبل الهجرة بسنين عديدة وهاك اشهرها :

(١) النسخة السينائية كتبت في القرن الرابع أو في بداية القرن الخامس

(٢) النسخة الفاتيكانية كتبت في القرن الرابع وربما في بدايته

(٣) النسخة الاسكندرانية كتبت فيما بين نصف القرن الخامس ونهايته

(٤) النسخة القطونية كتبت في القرن الخامس او السادس

(٥) النسخة الامبروسانية كتبت في نصف القرن الخامس

وكل هذه النسخ وجدت من قبل عصر محمد وفي عصره واذا اراد الباحث ان يتحرى هل اذا كانت هذه النسخ تضاهي النسخ المتداولة فما عليه الا ان يزور مكاتب اوربا الشهيرة ويقابل هذه بتلك.

وان نسخة العهد القديم اليونانية المستعملة اليوم طبعت عن هذه النسخ القديمة المذكورة وبمراجعتها مع الاصل العبراني لم يوجد فرق ولا في تعليم واحد الا اختلاف في القراآت بسيط جداً مثل ان المترجمين اخطأوا في ترجمة كلمة صعبة على الفهم وبمراجعة النسخ الحاضرة على الترجمة السبعينية لا يوجد فرق الا في اعمار بعض الآباء

الاولين المذكورين في اصحاحي ٥ و١٠ من سفر التكوين ولكن الاختلافات في القرآءة لا تمس جوهر الكتاب في ادنى شيء .

واما نسخ العهد الجديد اليونانية المتداولة فتعززها النسخ اليونانية الاصلية وقد كتبت على رقوق لا على ورق ولا محل لاعتراض رحمة الله من هذه الحيثية اذ يقال « ان بقاء القرطاس والحروف الى الف وار بعماية سنة او ازيد مستبعد عادة » الا انه وجد في مصر كتابات على ورق البردي يرجع تاريخها الى الف وثمانماية سنة كما هو معلوم عند رجال الآثار .

ولنرجع الى ما نحن فيه فنقول ان كثيراً من النسخ المتضمنة للترجمة اليونانية لاسفار العهد القديم متضمنة ايضاً اسفار العهد الجديد بالاصل اليوناني (اولاً) النسخة السينائية المذكورة سابقاً وتوجد في المتحف الامبراطوري بمدينة سان بطرسبرج (ثانياً) النسخة الفاتيكانية المحفوظة في مكتبة بابا رومية (الفاتيكان) (ثالثاً) النسخة الاسكندرانية وهي في متحف لندن وقد ذكرنا تواريخها فراجعها في مواضعها (رابعاً) انه في سنة ١٩٠٧ اكتشفوا في دير قديم بقرب سوهاج احدى مدائن صعيد مصر على اربعة اجزاء من النسخ القديمة التي يرجع تاريخها الى القرن الرابع من باب الاحتمال او القرن السادس

بالتأكيد يشتمل واحد منها على سفر التثنية ويشوع وآخر على سفر المزامير ويشتمل الثالث على البشائر الاربع والاخير على قطع من رسائل بولس الرسول (خامساً) النسخة البيزائية وكانت محفوظة في جامعة كمبردج من اعمال انكلترا وكتبت في بداية القرن السادس (سادساً) النسخة الافرايمية وقد كتبت في اوائل القرن الخامس وهي اليوم في المتحف الاهلي الفرنساوي بباريس .

وعدا هذه النسخ الكبيرة توجد نسخ صغيرة تشتمل على اجزاء متفرقة من اسفار العهد الجديد بالاصل اليوناني ومن اقدمها عهداً نسخة مخطوطة على شقة واحدة من البردي اكتشفت حديثاً في اطلال البهنسا وهي تشتمل على الاصحاح الاول والاصحاح العشرين من انجيل يوحنا وكتبت ما بين سنة ٢٠٠و٣٠٠ ميلادية او بعبارة اخرى قبل محمد باكثر من ٢٧٠ سنة وهذا الاكتشاف الحديث بالقطر المصري له اعتبار ممتاز من حيث وجهتنا الخصوصية التي نرمي اليها في هذا الموقف بمعنى ان هاتين النسختين اللتين اكتشفتا بسوهاج والبهنسا قد دفنتا في صحاري مصر التي صارت فيما بعد بلاداً اسلامية قبل الهجرة بمئات من السنين وبقيتا تحت التراب الى هذه الايام حتى عثروا عليهما . لا يقدر احد يدعي مهما بلغت درجة تعصبه انهما

مزورتان بعد نزول القرآن او محرفتان في ايام محمد او بعده .

ويبلغ عدد النسخ القديمة للعهد الجديد بالاصل اليوناني ما بين جامعة لها كلها ولجزء منها ٣٨٩٩ نسخة فحصت كلها فحصاً دقيقاً ونمروها لتسهيل معرفة مواضعها على طلبة علم اللاهوت وتوجد نسخ اخرى غير منمرة لا تقل عن الفي نسخة .

وبما اننا تكلمنا على نسخ العهد الجديد بالاصل اليوناني يحسن بنا ان نتكلم ايضاً عن نسخه المترجمة لا سيما وان بعضها مترجم من قبل الهجرة بزمان طويل منهاماهو منقول عن «باشيطا» السريانية ويبلغ على الاقل عشر نسخ مؤرخة في القرن الخامس ونقل عنها ثلاثون نسخة مؤرخة في القرن السادس. وفي كلامنا عن العهد القديم اشرنا الى ترجمات باللغات القديمة التي ليس على وجه الارض من يحسن التكلم بها كلغته الاصلية وكذلك ترجمات العهد الجديد والكل محفوظ في متاحف الآثار ويرجع تاريخها الى ما قبل عصر محمد بمئات من السنين الا ترجمة واحدة كتبت في عصره ولكن قبل هجرته وسيأتي ذكرها .

ولتفصيل ذلك نقول انه يوجد اليوم نسخ كثيرة من الترجمات القديمة للعهد الجديد الى اللغة السريانية اشهرها (باشيطا) ترجمت ما بين

القرن الثاني والثالث للميلاد . ونسخة فيلكس السريانية تمت سنة ٥٠٨ م ونقحها توما الهرقلي سنة ٦١٦ ووجد عدا هـذه ترجمات اخرى سريانية بقي منها نسختان اصليتان وهما نسخة الكارتونية والسينائية السريانية. ومما يدل على وجود هذه الترجمات السريانية للعهد الجديد قديماً هو ان طاطيان المولود سنة ١١٠ م صنف اتفاق البشيرين الاربعة وعندنا ترجمته باللغة الارمنية واللاتينية مع اختلاف طفيف وعن السريانية ترجم ابن الطيب المتوفي سنة ١٠٤٣ نسخة عربية تسمى «دياتيسرون» (ومعنى ذلك اتفاق البشيرين) ومما يلذ في هذا المقام انهم اكتشفوا حديثاً قطعاً من ترجمة العهد الجديد من اليوناني الى سريانية فلسطين التي كانت في عهد المسيح وكتبت هذه الترجمة في القرن الرابع ان لم يكن قبله ثم نسخة سنة ٦٠٠م وتسمى نسخة كليماكوس وتشتمل على اجزاء من البشائر الاربع وسفر اعمال الرسل ورسائل بولس الرسول

وترجم العهد الجديد الى اللاتينية قديماً كما يقرر ذلك اغسطينوس وجيروم قال الاخير وجدت ترجمات في بعض الاحيان لم تبلغ حدها في الصحة وذلك من جهل المترجمين واضبطها كلها الترجمة اللاتينية القديمة ويرجع تاريخها الى القرن الثاني للميلاد ومع ذلك رأى وجوب

ايجاد ترجمة تكون اكثر ضبطاً من تلك لسد حاجة الشعب فترجم العهد الجديد الى اللاتينية ما بين سنة ٣٨٣ و ٣٨٥ م وتسمى الترجمة العامية وتوجد على الاقل ثمانية آلاف نسخة مخطوطة عن الترجمة العامية المذكورة بعضها مؤرخ في القرن الرابع وبعضها في الخامس الى السادس وهذا كله تم قبل زمان محمد فتأمل .

وقد ذكرنا في مامضى ان العهد القديم ترجم الى اللغة القبطية في اصطلاحاتها الثلاثة وهنا نقول ان العهد الجديد ترجم كذلك فالترجمة البحيرية تمت ما بين القرن الثالث والرابع والترجمة الصعيدية تمت في ذلك التاريخ. واما الاصطلاح البشموري فكان انقسم الى ثلاثة اصطلاحات الفيومية والاخميمية والاقاليم الوسطى والى كل واحدة من هذه ترجم بعض اسفار العهد الجديد او كلها واقدمها جميعاً الترجمة القبطية الصعيدية ونسخها الاصلية ترجع الى القرن الرابع والخامس.

والترجمة القوطية ترجمت نحو سنة ٣٦٠م واقدم نسخة اصلية لها كتبت اما في القرن الخامس أو السادس .

وهنا نتخذ وسائل اخرى لاقامة حجتنا عدا النسخ الاصلية والترجمات القديمة لاسفار العهد القديم والجديد التي فصلناها. فنقول ان من الادلة المرعية على ان كتابنا المقدس في العصر الحاضر هو عين

الكتاب الذي كان قبل محمد الاقتباسات التي نقلت عنه في مؤلفات المسيحيين القدماء في لغات مختلفة يوناني ولاتيني وسرياني وقبطي.ففي هذه المؤلفات وردت آيات كتابية كثيرة جداً بحيث لو ضاع الكتاب من العالم يجمع ثانية من هذه الاقتباسات.واعتبر هذا الدليل قياساً على القرآن ألم تر في مؤلفات المسلمين آيات كثيرة منه ولسنا مبالغين ان قلنا ان ضاع القرآن اليوم يعاد من الاقتباسات الواردة في التفاسير والمؤلفات الاسلامية وصدور الحفظة الكثيرين.ومثل هذا ان لم نقل اكثر منه يوجد في مؤلفات المسيحيين.واغرب من ذلك ان في مؤلفات الوثنيين القدماء اقوال ليست بقليلة مقتبسة من الكتاب المقدس مثل مؤلفي سلسوس فورفيري وجوليان الكافر وعدا الاقتباسات الصريحة الواردة في مؤلفات المسيحيين القدماء يؤخذ من مضامينها ما يطابق تمام المطابقة حقائق الكتاب المعروف الآن مثل اعمال المسيح وموته وقيامته وصعوده الى السماء ومثل الفداء الى غير ذلك مما هو مشروح في محلاته .

وعندنا ادلة اخرى عدا هذه وتلك تثبت ما نحن بصدده يمكننا تسميتها بالادلة الاثرية ففي مدينة رومية اكتشفت قبور كثيرين من مسيحيي القرون الاولى للمسيح في سراديب تحت الارض منقوش

عليها كتابات وصور يؤخذ منهـا ان هؤلاء المسيحيين يؤمنون بالعقائد التي يعلمنا اياها الانجيل الآن . واظن في هذا القدر كفاية لاقناع كل معاند ومكابر بان اسفار العهد الجديد والقديم محفوظة بتمامها ونقاوتها من قبل عصر محمد الذي منها يقتبس ولها يشهد واياها يحترم. وان هذه الاسفار مُحْصاةٌ في جداول بين ايدي اليهود والمسيحيين تبين انها اسفار موحى بها من الله وكلها نص واحد قديمها وجديدها بمتونها الاصلية وترجماتها لا يوجد بينها الا اختلافات قراآت كما اشرنا الى ذلك في موضعه .

من اجل ذلك عند ما يأمر القرآن محمداً ان يسأل اهل الكتاب عما جاء فيه من التعاليم يجب على المسلمين ان يفهموا ويتأكدوا انه يقصد الكتاب الذي بين ايدينا الآن لانه هو الاسفار المقدسـة الموجودة بين ايدي اليهود والمسيحيين في كل العالم لا غير وقد رأينا في الفصل الاول ان القرآن يذكر في مواضع كثيرة الاقسام الرئيسية لهذا الكتاب وهي التوراة والزبور والانبياء والانجيل ويرفعها الى اعلى مراتب الكرامة فيسميها تارة «كلام الله» «وكتاب الله» وتارة «الفرقان» «والذكر» ويهدد باشد انواع العذاب الذين كذبوا بهـا (انظر سورة المؤمن آية ٧٠) ويقول القرآن انه نزل ليكون مهيمناً عليه

(انظر سورة المائدة آية ٥١) ويأمر المسلمين ان يؤمنوا بها كايمانهم بنفس القرآن (انظر سورة البقرة آية ١٣٦ وسورة آل عمران آية ٨٤)

وبما أنه قد ثبت لكم معاشر المسلمين بالادلة القاطعة ان كتابنا المقدس هو كتاب الله يجب عليكم حتماً ان تطالعوه بتورع ودعاء عسى أن يفتح الله الرحمن الرحيم اذهانكم لفهمه حتى تروه كما وصفه القرآن «هدى وذكرى لاولي الالباب»

الفصل الرابع

في ان اسفار العهد القديم والجديد لم يعترها تحريف لا قبل محمد ولا بعده

رأينا في الفصل المتقدم ان الكتاب المقدس معدود في القرآن «كلام الله» ورأينا في أكثر من موضع من القرآن ايضاً ان كلام الله غير قابل التبديل والتغيير فاذا كانت هاتان المقدمتان صحيحتين كانت النتيجة ضرورة هي عدم تحريف الكتاب المقدس لا قبل محمد ولا بعده

الا ان هاتين المقدمتين تؤديان بنا الى تصفح القرآن لنرى ماذا يقول في هذا الصدد وكيف فسر اقواله المفسرون المعتبرون مع العلم بانهم لم يتفقوا على رأي واحد في هذه المسألة وانما لا يؤيدون الرأي العام الذي وُضِعَ عند جهال المسلمين .

ورد في سورة (الكهف آية ٢٧) «واتل ما اوحي اليك من كتاب ربك لا مبدل لكلماته» لا شك ان كلمة كتاب تشير الى القرآن ولكن قوله (لكلماته) تشمل الكتاب المقدس لانه كلام الله وبناء عليه لا يكون مبدل لكلمات الكتاب المقدس وهاك تفسير البيضاوي قال

«لا مبدل لكلماته» (لا احد يقدر على تبديلها او تغييرها غيره) اه

وورد في سورة (يونس آية ٦٤) قوله «لا تبديل لكلمات الله» قال البيضاوي (اي لا تغيير لاقواله ولا اخلاف لمواعيده) وورد في سورة (الانعام آية ٣٤) العبارة عينها (لا مبدل لكلمات الله) وجاءت مرة اخرى في (آية ١١٥) نعم قد ذكر البيضاوي على الآية الاخيرة ان الكتاب المقدس محرف ولكن لم يقصد التحريف الذي يقوله عامة المسلمين كما سترى في ما بعد

لما فحص علماء المسلمين في الهند هذه المسألة اقتنعوا في الوقت الحاضر بان اسفار العهدين ليست بمبدلة ولا بمغيرة ولا محرفة حسب فهم العامة ولعلهم بنوا آراءهم على تفسير الامام فخر الدين الرازي لانه في تفسيره سورة (آل عمران آية ٧٨) يجيب معترضاً يسأل «كيف يمكن ادخال التحريف في التوراة مع شهرتها العظيمة بين الناس» فيجب ان

نتأمل في الجواب جيداً حيث يقول اولاً على سبيل التخمين «لعله صدر هذا العمل عن نفر قليل يجوز عليهم التواطؤ على التحريف ثم انهم عرضوا ذلك المحرف على بعض العوام وعلى هذا التقدير يكون التحريف ممكناً» فنجيب اولاً ان هذا ليس رأي المفسر بل يفرضه فرضاً واما رأيه فهو هكذا «ان الآيات الدالة على نبوة محمد كان يحتاج فيها الى تدقيق النظر وتأمل القلب والقوم كانوا يوردون عليها الاسئلة المشوشة والاعتراضات المظلمة فكانت تصير تلك الدلائل مشتبهة على السامعين.واليهود كانوا يقولون مراد الله من هذه الآيات ما ذكرناه لا ما ذكرتم فكان هذا هو المراد بالتحريف وبلي الالسنة (رازي المجلد٢)وانظر تفسيره على سورة (النساء آية٤٥مجلد٣)حيث يعيد هذين الرأيين ويضيف عليهما رأياً آخر خلاصته ان قوماً من اليهود اعتادوا ان يدخلوا على الرسول يسألونه المسألة فيجيبهم عليها ومتى خرجوا من عنده يحرفون كلامه.وبناء على هذا الرأي لا يكون اليهود حرفوا كتابهم بل حرفوا جواب محمد على سؤالهم.وعلى كل حال عني الرازي بالتحريف الواقع من اليهود تحريف الشروح بالآيات الكتابية لا الآيات نفسها وهو التحريف المعنوي لا اللفظي .

وحكى الرازي في تفسيره على سورة المائدة آية ١٦ قصة ما لها

ان اليهود فيما هم يقرأون التوراة (تث ٢٢: ٢٣ و٢٤) لووا السنتهم وبدلوا معنى الرجم بالجلد ولم يمسوا لفظ الآية المكتوبة باقل تحريف. وحكى البيضاوي في تفسيره سورة المائدة آية ٤٥ هذه القصة عينها للدلالة على ان معنى التحريف المشار اليه في الآية التحريف المعنوي وهو المقصود بلي الالسنة وفسر قوله «يحرفون الكلم من بعد مواضعه» اي يميلونه عن مواضعه التي وضعه الله فيها اما لفظاً باهماله وتغيير وضعه واما معنى بحمله على غير المراد واجرائه في غير مورده اه

فان اردت ان تعرف اي الرأيين هو الرأي الصحيح فما عليك الا ان تراجع سفر التثنية (٢٢: ٢٣و٢٤) في الاصل العبري او في اية ترجمة حديثة اوقديمة فتجد آية الرجم التي نسبوا اليها التحريف باقية على اصلها كما بينها القرآن والحديث في عصر محمد وبذلك نعلم ان اليهود لم يحذفوا شيئاً من الآية ولا امالوها عن موضعها. بقي الرأي الآخر وهو التحريف المعنوي الذي توصلوا اليه بتغيير المعنى ومن العجب ان آية الرجم التي قالوا ان اليهود حرفوها كانت في القرآن كما نعلم من الحديث ثم لا نرى لها الآن اثراً .

جاء في مشكاة المصابيح ان عمر قال «ان الله بعث محمداً بالحق وانزل عليه الكتاب فكان مما انزل الله تعالى آية الرجم رجم رسول

الله صں ورجمنا بعده والرجم في كتاب الله حق على من زنى اذا احصن من الرجال والنساء اذاقامت البينة او كان الحبل او الاعتراف» متفق عليه اه من الفصل الاول من كتاب الحدود ولكن لما جمع زيد بن ثابت القرآن حذفت هذه الآية لئلا يقال عن عمر انه زاد على القرآن فان صدق عمر في ما رواه يكون تحريف الكلم عن مواضعه المنوه عنه في القرآن سورة (المائدة آية٤٥) واقعاً في القرآن لا في التوراة ويكون المحرفون هم المسلمون لا اليهود فتأمل ! !

اتهم القرآن اليهود بكتمان الحق وهم يعلمون به وبلي السنتهم في الاجابة عن تعليم توراتهم في هذا الموضوع واتهمهم بنبذ كتاب الله وراء ظهورهم وبالتحريف وجاءت التهمة الاخيرة في اربعة مواضع منه سورة (البقرة آية ٧٥ وسورة النساء آية ٤٥ وسورة المائدة آية ١٤و٤٤) ولنا ان نلاحظ ان هذه الدعاوي مهما يكن من امرها فانها مُوَجَّهة الى اليهود فقط لا الى المسيحيين وعليه تكون اسفار العهد الجديد سالمة من مظنة هذه التهم سواء قبل محمد او بعده. بقي علينا ان نتساءل في تفسير ما عناه القرآن باتهامه اليهود بهذه التهم قد مر عليك تفسير الرازي والبيضاوي لثلاثة من الاربعة مواضع المذكورة سابقاً ونتكلم الآن على الرابع وهو سورة (البقرة آية ٧٠).اتفق المفسران

اي البيضاوي والرازي ان المراد بالتحريف المذكور هنا تشويه التفسير وكتمان الحق راجع سورة (الانعام آية ٩١) حيث عزي الى اليهود انهم جعلوا الكتاب قراطيس ابدوا منه ما ابدوا واخفوا ما اخفوا وان يكن هذا العمل ممقوتاً الا انه بمعزل عن تبديل آيات الكتاب لان اخفاء القرطاس يختلف عن تبديل ما ورد فيه فتأمل.

ثم ان سألنا متى حرف اليهود توراتهم اجاب البيضاوي حرفه اسلاف اليهود المعاصرين لمحمد واجاب الرازي حرفه معاصرو محمد بالذات على ان ذينك الامامين اجابا بالجوابين المتقدمين رداً على من تصور ان التحريف لفظي ووقع كتابة وهما يتبرآن من هذه الدعوى ولهذه المناسبة قال الرازي في (مجلد ٣) في كيفية التحريف وجوه (احدها) انهم كانوا يبدلون اللفظ بلفظ آخر مثل تحريفهم اسم ربعة عن موضعه في التوراة بوضعهم آدم طويل مكانه ونحو تحريفهم الرجم بوضعهم الحد بدله ونظيره قوله تعالى فويل للذين يكتبون الكتاب بايديهم ثم يقولون هذا من عند الله فان قيل كيف يمكن هذا في الكتاب الذي بلغت آحاد حروفه وكلماته مبلغ التواتر المشهور في الشرق والغرب قلنا لعله يقال القوم كانوا قليلين والعلماء بالكتاب كانوا في غاية القلة فقدروا على هذا التحريف. ثم ان الرازي دحض هذا

الجواب بقوله (والثاني) ان المراد بالتحريف القاء الشبه الباطلة والتأويلات الفاسدة وصرف اللفظ عن معناه الحق الى معنى باطل بوجوه الحيل اللفظية كما يفعله اهل البدعة في زماننا هذا بالآيات المخالفة لمذاهبهم وهذا هو الاصح (الثالث) انهم كانوا يدخلون على النبي ص ويسألونه عن امر فيخبرهم ليأخذوا به فاذا خرجوا من عنده حرفوا كلامه . انتهى

هذا رأيه الذي يقول به ونتيجته انه قد برأ اليهود من تهمة تبديل آيات التوراة وعليه لما قال ان القرآن يؤكد وقوع التحريف بالتوراة ينبغي ان نفهم مقصوده الحقيقي لا الدعوى الباطلة التي يدعيها جهلاء المتأخرين .

ومما تقدم نقول لكل مسلم يقول ان الكتاب المقدس محرف في نصوصه وان الكتاب الصحيح غير موجود اليوم إذا لم يكن صحيحاً في زمن محمد يكون مكذباً ومخالفاً لآيات القرآن الصريحة التي تشهد انه حق لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه لان من أهم اغراض القرآن انه جاء ليكون مصدقاً للكتاب المقدس فكيف يصح ان يشهد له انه صحيح وحق وموحى به من الله وهدى للناس ثم يعود فينسب اليه التغيير وضياع الثقة منه وعدم

التعويل عليه لانه ان صح هذا يكون القرآن قد ناقض بعضه بعضاً.

ليس احد يؤمن بالاله الحق يقدر ان ينسب اليه تعالى انه انزل القرآن مصدقاً لكتاب مبدل ومغير ومشوش التعاليم في العقائد الدينية. وقد فطن لهذه النظرية الامامان اللذان اقتبسنا تفسيرهما قريباً وجزما بانه لم يقع في الكتاب المقدس تغيير قط لا قبل العصر المحمدي ولا بعده. بقي للمعترض ان يقول وقع التغيير في الكتاب المقدس في ذات عصر محمد والرد على اعتراض كهذا لا يكلفنا مشقة ولا عناء لاننا نجيب قائلين ان الاسفار المقدسة التي اشرنا اليها في مقدمة كلامنا كتبت قبل عصر محمد بزمان طويل والكتاب المتداول اليوم منسوخ عن ذلك الاصل وعليه لا يتصور عقل عاقل اجماع اليهود والنصارى على تغيير اسفارهم وقد انتشرت في كل العالم .

وعلى كل حال لنسمع ما قيل بازاء هـذه الدعوى فان عامة المسلمين وبعض علمائهم العديمي الخبرة بالموضوع لايزالون متصورين ان الكتاب المقدس بحالته الحاضرة مغير وان سألتهم متى وقع ذلك التغيير لا يتفقون على جواب واحد فيقول البعض قبل عصر محمد وآخرون بعده ويقول قائل منهم قبله وبعده وحتى يثبتوا مزاعمهم عكفوا على كتب الكفرة والملحدين بكل دين يلتقطون منها كل

اعتراض سخيف وافتراء بارد ويحاربون بها الكتاب المقدس استظهاراً لزعمهم بالتغيير وجهلوا أو تجاهلوا ان هذه الاعتراضات التي تسلحوا بها دحضت منذ زمن طويل وكسدت تجارتها بين العلماء الغربيين ونؤمل ان علماء المسلمين المحققين ان انخدعوا بها اليوم لا ينخدعون بها غداً.

حكي ان بعض المسيحيين من اهل القرون الاولى بعد المسيح اتهموا اليهود بتهمة تغيير النصوص الالهية كما يتهم المسلمون وذلك لانهم وجدوا فروقاً في اعمار البطارقة المذكورين في اصحاح ٥و١٠ من سفر التكوين ما بين النسخة العبرية والترجمة السبعينية فعللوا هذه الفروق بعلة التغيير ولكن الذين ادعوا هذه الدعوى جهلاء المسيحيين لا علماؤهم. واما الآن وقد مضى نحو الف واربعمائة سنة على الموضوع وقد درس الكتاب جيداً لم يبق بين علماء الغرب من يدعي بان اليهود غيروا توراتهم لا في الموضع المشار اليه ولا في سواه. ثم ان بعض كتاب المسلمين اعترضوا على اختلاف القراآت التي يقرأ بها الكتاب واستدلوا بها على افساد نصوصه الا ان هذه النظرية باطلة لانه توجد نسخ اصلية كثيرة ما بين عبري ويوناني ولغات اخرى ان قابلتها بعضها على بعض لا تخلو بطبيعة الحال من اختلاف القراآت كما هي الحال في جميع الكتب القديمة. ويا ترى ما جنس تلك القراآت المختلفة ان

اكثرها يرجع الى اختلاف في الهجاء مثل كلمة صلاة العربية تارة تكتب بالواو وتارة بالالف ومثل كلمة قيامة تارة تكتب بالالف وتارة بدونها ويرجع بعضها الى اختلاف في تصريف الافعال كاختلاف القراآت القرآنية التي اشار اليها المفسرون واثبتوا انواعها في تفاسيرهم ومن ذلك قراءآت هذه الآية ما ننسخ من آية أو ننسها (البقرة ١٠٦)

مَا نَنْسَخ مِنْ آيَةٍ أَوْ نُنْسِهَا	قراءة حفص
مَا نُنْسِخ الخ	قراءة ابن عامر
نَنْسأْهَا	قراءة ابن كثير وابو عمرو
مَا نَنْسَخ مِنْ آيَةٍ أَوْ نُنَسِّهَا	قراءة آخرين
تَنْسَهَا	قراءة آخرين
تُنْسَهَا	قراءة آخرين
نُنْسِكهَا	قراءة آخرين
مَانُنْسِكَ مِنْ آيَةٍ أَوْ نَنْسَخْهَا	قراءة عبد الله

وفي سورة البقرة ٢٨٥ اشار البيضاوي الى قراآت مختلفة

وَكُتُبِهِ	قراءة حفص
وَكِتَابِهِ	قراءة حمزة وصاحب الكشاف
لَا نُفَرِّقُ	قراءة حفص
لَا يُفَرِّقُ	قراءة يعقوب
لَا يُفَرِّقُونَ	قراءة آخرين

ويقبل علماء السنيين قراآت اخرى على ما تقدمت الاشارة اليه من ذلك سورة الانعام آية ٩١ وسورة مريم آية ٣٥ وسورة القصص آية ٤٨ وسورة الاحزاب آية ٦ وسورة سبأ آية ١٨ وسورة ص آية ٢٢ فهذه القراآت مهما تكن لا تغير معاني القرآن تغييراً يستحق الذكر ولا تؤثر اقل تأثير في عقائده. فان قام كاتب مسيحي واحتج باختلافات القراآت على وقوع التغيير في متن القرآن الا يستجهله المسلمون أو يرمونه بالتعصب الذميم فمثل هذا الحكم يجب ان يحكم به على الذين يتخذون قراآت كتابنا حجة على تغييرها ان آدابنا لا تسمح لنا ان ندعي بدعاوٍ كهذه على مناظرينا .

ثم ان اختلاف القراآت في الكتاب المقدس يوجد اكثر مما في القرآن ولذلك جملة اسباب (١) لان حجمه اربعة اضعاف القرآن (٢) انه اقدم من القرآن بكثير (٣) انه كتب في ثلاث لغات العبرية واليونانية والآرامية وكتب القرآن بلغة واحدة وهي العربية (٤) احصاء القراآت في التراجم القديمة كلها ولو قد ثبت ان كثيراً منها غلطات وقعت من المترجمين ولم ينتج عنها اختلال جوهري (٥) احصيت القراآت بعناية عظيمة وتدقيق كلي اكثر بكثير من العناية التي بذلت في احصاء القراآت القرآنية (٦) واهم من الكل ان الكتاب

المقدس لم يصلحه ولا راجعه احد قبل النشر كما عمل عثمان ثالث خلفاء محمد بالقرآن فقام على النسخ القديمة واحرقها ولم يبق على نسخة الا نسخة حفصة ثم الحقها مروان على ما قيل باخواتها فاحرقها ومع كل ذلك ان عرضنا على ميزان الاعتبار والفحص كل القراآت المختلفة الواقعة في الكتاب المقدس لا نجد شيئاً منها يمس جوهره .

وقد اتفق ان المفسرين المسيحيين لما عسر عليهم فهم كلمة او آية من الكتاب تصوروا انها وقعت خطأ من الناسخ واعتبروها مصحفة. ولما اطلع مباحثو الاسلام على شيء من ذلك ترجموا عن غير علم كلمة مصحف «بمغير» او «محرف» مثل الشيخ رحمة الله الهندي فانه بناء على ذلك ادعى ان علماء النصارى يسلمون بوقوع التغيير في كتابهم مع ان المسألة بسيطة جداً لان الكلمة التي لم يفهمها المفسرون وظنوا انها مصحفة كانوا يشيرون اليها لاجل مراجعتها وتصليحها .

ومن امثلة ذلك كلمة وردت في دانيال ٣:٢ و٣ بالآرامية وهي (تفتاي) ولم توجد قط في كتاب آخر ولم يعرف معناها بالتدقيق ولا المادة المشتقة منها فظن بعض المفسرين ان هذه الكلمة مصحفة اي خطأ من الناسخ ولكن منذ سنين قليلة اكتشفوا كتابات آرامية قديمة في الآثار المصرية وردت فيها الكلمة المذكورة وعرفوا معناها

بالتدقيق واصل اشتقاقها ومن هنا نعلم كيف حفظت الاسفار بالصحة والضبط حتى في مثل هذه الكلمة

وحدثت مثل هذه الكلمة في الكتاب المقدس على المنوال الذي به حدثت نظائرها في القرآن من ضمنها قوله ان هذان (سورة طه آية ٦٦) فكان من المحتمل ان بعض المفسرين يرتابون في صحة هذه العبارة ويقودهم ريبهم الى اتخاذ الوسيلة لتصحيحها كما انهم صححوا بالفعل كلمة «يفرق» بكلمة «يفرقون» جرياً على سياق الكلام (سورة البقرة آية ٢٨٥ قراءة يعقوب) وظنها بعضهم مصحفة عن كلمة نفرق في (قراءة حفص) واشار الى ذلك البيضاوي

ليس من مقصدنا هنا ايراد القراآت المختلفة التي جاءت في القرآن بل نضرب لكم مثلاً لازالة ما عساه يكون قد علق باذهانكم من الشبهة في ما يقابل هذه القراآت في الكتاب المقدس واما القراآت في كتابنا فتنقسم باعتبار اهميتها الى ثلاثة اقسام (١) القراآت الناتجة عن اهمال الناسخ أو جهله (٢) وتلك التي اقتضاها بعض النقص في الاصول المنسوخة (٣) وتلك التي وضعت لتصحيح عبارة ظنها الكاتب الاخير خطأ من الكاتب الاول وهي ليست بخطأ . ولا يسوغ عقلاً ان احداً من المسيحيين قصد ان يتلف كتابه الذي يدين

به ويهتدي بنوره. نعم ان بعضاً من الهراطقة لاجل ما يثبتون عقيدة لهم اتوا بآيات ليس لها وجود الا في نسخهم الخاصة من العهد الجديد. كما وانهم ادعوا بان الآيات التي تنقض تعليمهم لم تكن موجودة في النسخ الاصلية. ولو ان هؤلاء الهراطقة بلغوا لهذه الدرجة فانهم لم يقصدوا ان يتلفوا كتابهم وغاية ما في الامر انهم انخدعوا ببعض الاضاليل. غير ان المسيحيين على العموم ميزوا في كل وقت وفي كل حال الخطأ المدخل في نسخ الكتاب بمقابلتها على النسخ القديمة

ثم نقول لو فرضنا ان فريقاً من اليهود أو النصارى غلت مراجل الحقد والتعصب في قلوبهم ضد الاسلام فتواطأوا معاً واجتمعت كلمتهم ان يحذفوا من التوراة والانجيل كل ما يتعلق بمحمد وقد فعلوا. فماذا يكون رأيك في بقية المسيحيين واليهود المتفرقين في كل انحاء المعمور؟ فانهم بدون شك يرفضون اعمال تلك الجمعية الشيطانية ولا يمسون باطراف اناملهم كتابهم المزور خوفاً من ان يشتركوا في جريمتهم العظيمة. وما لنا ولهذا الفرض ففي وقائع التاريخ ما يغنينا عنه. لقد حدث قبل محمد بزمن طويل ان الهراطقة سعوا كثيراً لكنهم عجزوا اخيراً عن ان يحرفوا العهد الجديد على وفق مبادئهم وهذا يدل على عدم امكانية هذا المشروع وتصدر رجل آخر من اهل العصور الاولى اسمه ماكرون

ان يحذف الاصحاحين الاولين من بشارة لوقا فلم يفلح لا بين الجمهور ولا بين فريق قليل منهم

ثم نقول لو ان ملكاً او صاحب سلطة سياسية قام بعد وفاة موسى بقليل وجمع كل نسخ التوراة او اصحاحات منها واحرقها واستنسخ توراة جديدة من محفوظات بعض اليهود ومن السطور المكتوبة على العظام وشقق الاخشاب ونشرها بامر سلطاني والزم رعاياه في كل مكان بالاعتماد على هذه النسخة الجديدة،لما كانت تبلغ قراآتها المختلفة الى المقدار الذي بلغت اليه بدون هذا الفرض الا اننا كنا نقع في ورطة ادهى وامر بكثير من اختلاف القراآت . وما هي يا ترى؟هي ضياع الثقة من التوراة بالمرة لانه لا يبقى من ثمت دليل على ان النسخة الجديدة طبق الاصل وتكثر الظنون في البواعث التي حركت ذلك الملك ان يفعل تلك الفعلة المنكرة .

وكذلك تكون النتيجة لو وقع مثل هذا الفرض لاسفار العهد الجديد في ختام القرن الاول للمسيح لانه كان يتعذر علينا اليوم الاتيان بدليل شاف ان النسخة الجديدة موافقة للاسفار التي احرقت وتلاشت من الوجود وتبقى الاذهان مرتبكة ومرتابة في صحتها الى يوم يبعثون ولكن لله الحمد فان مثل هذا لم يقع في كتابنا لا في اسفار العهد

القديم ولا في اسفار العهد الجديد والحمد لله الذي لم يسمح ان يكون بيننا عثمان ولا بين اليهود الحجاج

قد حدث ان بعض امبراطرة الرومانيين الوثنيين شرعوا ان يحرقوا نسخ الكتاب المقدس على امل ان يلاشوه من الوجود لا ليستنسخوا كتاباً جديداً على هواهم فدافع المسيحيون عن كتابهم وفدوه بدمائهم وكثيراً ما شرع مضطهدوهم بمثل هـذا المشروع ورجعوا بصفقة المغبون

ولو فرضنا ان كل كتبنا احرقت عن آخرها بحيث لم يبق كتاب واحد لكان المحروق هو الورق فقط ولكانت كلمة الله هي الباقية. جاء في هذا المعنى «حقاً الشعب عشب يبس العشب ذبل الزهر واما كلمة الهنا فتثبت الى الابد» (اش ٤٠:٨) وكيف تبقى كلمة الله ان احرقت الكتب تبقى بوسائط كثيرة منها ان كثيرين من المسيحيين في كل عصر شغفوا بالكتاب المقدس حتى استظهروا اهم اجزائه سيما المزامير واسفار العهد الجديد وعليه لا يمكن ان نتصور ملاشاة الكتاب من الارض والمسيحيون على ظهرها .

لما حدث الاضطهاد العظيم في فرنسا في القرن السادس عشر اقبل قسوس كنائس الاصلاح الى الكتاب المقدس يحفظونه غيباً حتى

اذا سلب من بين ايديهم يكون مدَّخَراً في صدورهم ليستقوا من ينبوع الحياة رأساً ويرووا الآخرين وقد اصبح معلوماً لدى جميع الذين لهم قسط من الفطنة مابذلته اليهود والنصارى من منتهى الجهد والحذر في الاحتفاظ على اسفارهم الالهية نظير ارواحهم واصبحت الدعوى عليهم بانهم بدلوا وغيروا اسفارهم قبل او بعد الهجرة دعوى باطلة لا تصدر الا من جاهل او متعصب رجح هواه على عقله .

ولزيادة الشرح واجلاء الحقيقة حتى تكون كالشمس في رابعة النهار نقول ياترى ما الفائدة التي كانت ترجوها اليهود والنصارى من وراء هذه الفعلة المحرمة وكلٌّ يعلم بحكم العقل والنقل عظم جريمة تحريف الكتب الالهية وقد ورد في ختام العهد الجديد ذكر دينونة هائلة تحيق بمن يحذف اويزيد شيئاً على ما هو مكتوب في الكتاب. وورد مثل ذلك في العهد القديم (توراة سفر التثنية٤ ٢ وانجيل سفر الرؤيا٢٢:١٨و١٩) وفضلاً عن كونهم لا يستفيدون شيئاً بل يخسرون رجاءهم فانهم يعلمون انهم بتحريفهم كتابهم لا يضرون انفسهم فقط بل يضرون اولادهم واحفادهم وهلم جرا .

وعدا ذلك نقول ان محمداً لم يلبث زمناً طويلاً حتى بات ذا سلطان عريض وجنود وبيت مال وكان الاقرب الى العقل ان

النصارى واليهود الذين في بلاد العرب على الاقل لو كان في كتابهم اخبار عنه او خبر لكانوا اسرعوا به اليه والنسخة في ايديهم تزلفاً اليه ان لم يكن حباً في الدين لحباً في الدنيا ولكان محمد واتباعه يحرصون الحرص كله على كل تلك النسخ العزيزة التي شهدت له وشهد لها عوضاً عن ان يحذفوا من كتابهم تلك الاخبار ويعرضون انفسهم بغير داع لحرب عوان لاقبل لهم بها ويدفعون الجزية عن يد وهم صاغرون (سورة التوبة ٩ آية ٣٠) وينحدرون من مقام الحرية والمساواة الى مقام الذمي الوضيع ويبيتون هدفاً من آونة الى اخرى للمذابح والفظائع كالتي جرت حتى في القرن العشرين في اطنة وما جاورها.

وكم من المشاهد المؤلمة تمثلت على مسارح الاسلام جيلاً بعد جيل بتحريض سورة التوبة على ألسنة حكام السوء وجمهور العوام.

لو كان اليهود والنصارى آمنوا بمحمد ورحبوا برسالته على العين والرأس لما نجوا فقط من هذه الرزايا المدلهمة بل كانوا شاركوا المسلمين في حظوظهم وامتيازاتهم الدنياوية لكن ابت نفوسهم ان ترد هذا المنهل واعتصموا بايمان آبائهم ولم يعيروا جانباً من الالتفات لخطبة الجمعة المذيلة بدعاء التهديد والارهاب ينادى بها على المنابر في سائر اطراف مملكة آل عثمان كقول الخطيب على منبره اللهم رمل نساءهم

ويتم اطفالهم وخرب كنائسهم وكسر صلبانهم واجعلهم واموالهم غنيمة للمسلمين الخ. أليس من البين والجلي انه اذا وجد يهودي او مسيحي كأن من كان جزءاً في كتابه يأمره بانتظار نبي من جزيرة العرب اسمه احمد لكان بكل سرور اندمج في سلك الصحابة والتابعين ويفوز بسعادة الدارين. ولست بمبالغ ان قلت ان الترغيبات التي اقترنت بالاسلام من نعيم الدنيا ومجدها لجدير بها لولا عناية الله ومخافته ان تغري اهل الكتاب لا ان يحذفوا منه خبر محمد بل يختلقوه فيه ويحشروه في كل فصل من فصوله. فعدم ادخال اليهود والمسيحيين خبر محمد في اسفارهم وقد بلغ محمد وخلفاؤه ما بلغوا من السلطان والملك لاعظم دليل عند من وهبهم الله العدل والانصاف على امانة اهل الكتاب في حفظهم كتابهم على اصله بدون زيادة ولا نقصان.

ولو فرضنا ان طائفة من طوائف النصارى او اليهود اضمرت السوء لمحمد حسداً وحقداً وحذفت خبره من الكتاب لا لدفع غُرْم ولا لجلب غُنْم بل على سبيل المكيدة لظهرت مكيدتهم للطوائف الاخرى وبادروا الى اصلاح التحريف وردوا الكتاب الى اصله. وغني عن البيان ما بين النصارى واليهود من العداوة القديمة وما بين طوائف النصارى من الاختلاف المذهبي في دقائق الدين مما لا يتصور

معه جمع كلمتهم والتأليف بين آرائهم على تغيير كتابهم.ولو فرضنا انه امكن ذلك بين يهود ونصارى جزيرة العرب فلا يمكن تعميمه في كل جهات المعمور وكانت تقع تلك الفئة الباغية تحت سخط ورجز الجمهور في كل مكان .

وعدا ذلك فانه نبغ في العالم مؤرخون عظام بين النصارى واليهود والمسلمين في عصر محمد وقبله وبعده وسجلوا في مؤلفاتهم حوادث الزمان وباطلاعنا على تواريخهم لم نر اثراً في تاريخ احد منهم يدل على تواطؤ النصارى واليهود على حذف شيء من الاسفار المقدسة يتعلق بمحمد ولا بغير محمد .

وان فرضنا انه وجد بين النصارى او اليهود طائفة انتزعت مخافة الله من قلوبهم والحياء من الناس وهم جماعة بحيث لم يعودوا يبالون بعذاب الله ولا بملام الناس وشرعوا يحذفون خبر محمد من التوراة والانجيل فانهم يجدون ذلك ضرباً من المحال بسبب ان الديانة المسيحية وكتبها قبل الهجرة كانت قد انتشرت انتشاراً عظيماً حتى ان سكان آسيا الصغرى وسوريا واليونان ومصر والحبشة وشمالي افريقيا وايطاليا قد اعترفت بالمسيح،بل واكثر من ذلك فان كثيرين في جزيرة العرب وبلاد فارس والارمن والقوقاز والهند وفرنسا

واسبانيا والبرتغال وانكلترا والمانيا قد قبلوا المسيحية ايضاً ولهذه البلاد لغات مختلفة ترجم الكتاب الى كثير منها فترجم الى الطليانية والارمنية والاشورية والقبطية والكوشية والقوطية والقوقازية وعدا هذه كانت التوراة موجودة في الاصل العبراني والعهد الجديد موجوداً في الاصل اليوناني وترجمت التوراة كلها الى اليونانية وسميت الترجمة السبعينية وترجم كثير منها الى الآرامية وذلك قبل ميلاد المسيح

ولا يخفى على احد ان اليهود متفرقون في انحاء العالم وبالاكثر في الجهات المشار اليها وهم منقسمون الى طوائف مختلفة وكذلك المسيحيون منقسمون الى طوائف كثيرة متضادة فلا تقدر احدى طوائف اليهود او النصارى ان تقدم على هذا المشروع خشية من بأس الطوائف الاخرى ان تشهر ما اجترمته بين الورى وتنادي عليها بالويلات بدون رحمة. وعلى ما تقدم مهما يكن المرء احمق او مختل العقل فلا يبلغ منه الحمق والخلل حداً يتصور له معه امكانية اتفاق اليهود والنصارى هؤلاء مع اختلاف طوائفهم واولئك مع اختلاف طوائفهم وتوحيد رأيهم على تغيير اسفارهم الالهية. وان فرضنا المستحيل وقلنا بل اتفقوا كلهم وغيروا كتابهم وجردوا صحائفه من

السيرة المحمدية فماذا عسانا نقول عن النسخ التي اكتشفت بعد عصر محمد ويرجع تاريخها الى ما قبله. فمن يا ترى غير هذه ايضاً وهي تحت الارض مخفية مع الآثار القديمة هل انضمت جماعة الجن الى حزب المتواطئين؟ ثم للمسيحيين مؤلفات دينية تفوت الحصر مشتملة على اقتباسات في مواضيع مختلفة من الكتاب المقدس فهل راجع المتواطئون هذه المؤلفات ايضاً ونقحوها من سيرة النبي العربي .

والاغرب من ذلك كله انه بينما يزعم المسلمون اننا غيرنا كتابنا وحذفنا منه البينات على رسالة نبيهم يحاول علماؤهم الراسخون ان يثبتوا وجود هذه البينات في كتابنا اليوم. فان صدق علماؤكم وكان في الكتاب بينات على ذكر محمد فلماذا اذاً تتهموننا باننا حذفناها؟ أليس من عزم الامور ان تستقروا على رأي واحد؟

ومن امثلة بيناتهم التي يوردونها في الكتاب على البشارة بنبيهم. ماوعد به المسيح تلاميذه من ارسال الفارقليط كما جاء في بشارة يوحنا ١٦:٧ لا يسلم المسيحيون ان الفارقليط هو محمد الا ان ابقاء هذه الآية في قلب الانجيل لليوم دليل على انها لم تحذف منه. ثم نقول لو كان المسيحيون يريدون ان يحذفوا الآيات الدالة على نبوة محمد من كتابهم لكان الاولى بهم ان يحذفوا هذه الآية لانها هي الآية الوحيدة

التي نبه اليها القرآن وعينها بالحصر وقال انها تشير الى نبوة محمد حيث يقول «واذ قال عيسى ابن مريم يابني اسرائيل اني رسول الله اليكم مصدقاً لما بين يدي من التوراة ومبشراً برسول يأتي من بعدي اسمه احمد» سورة (الصف آية ٦) وكما ان محمداً ادعى انه الفارقليط الذي وعد المسيح بارساله ادعى من قبله هذه الدعوى عينها ماني الفارسي كما يعلم ذوو الاطلاع و بنى دعواه على آية المسيح المشار اليها وتبعه بعض المسيحيين ولما اتضح على توالي الايام انه دجال واضمحلت شيعته لم يحذف المسيحيون هذه الآية التي استعان بها على ضلالته وهاك هي موجودة في الانجيل الى اليوم

ثم ان اليهود اطلعوا على آيات كثيرة في توراتهم تدل على المسيح دلالة واضحة واحتج بها المسيحيون عليهم احتجاجا لم يجدوا معه سبيلا الى التخلص من الالتزام بالحق وعداوتهم للمسيح اشهر من نار على علم وما حملهم ذلك كله على تحريف آية واحدة من الآيات الدالة على المسيح مع كونها تلصق بهم اعظم جريمة وتقضي عليهم قضاء مريعاً فلو كان اليهود حرفوا التوراة في شأن محمد لكان الاولى بهم ان يحرفوها في شأن المسيح ويحذفوا منها هذه البينات الراهنات (سفر التكوين ٤٩: ١٠ وسفر التثنية ١٨: ١٥ و ١٨ وسفر المزامير ٢٢: ١٤ — ١٨ وسفر اشعياء

١٤:٧و٩:٦و٧و١١:١ــ ١٠ و٥٢:١٣ الخ وص ٥٣ كله وسفر دانيال ٨:١٣ و١٤ و٩:٢٤ــ٢٧ وسفر ميخا ٥:٢ وسفر زكريا١٢ : ١٠) قابل هذه النصوص الجلية بما ورد في الانجيل (بشارة لوقا ٢٤:٢٥ــ٢٧)

وفي التوراة آيات تتعلق بمسألة اخرى يود اليهود لو لم تكن موجودة فيها وهي تلك التي تشهر بفظائعهم وجرائمهم المتناهية في القبح فلو كانوا حرفوا توراتهم بخصوص محمد فما كان اجدر بهم ان يحذفوا كل ما يشين سمعتهم ويلصق بهم شر الفعال التي بين الورى

امرهم الله ان يحافظوا على شريعة التوراة (سفر يشوع ١ : ٧)وان لا ينقصوا منها ولا يزيدوا عليها (سفر التثنية ٤:٢ و١٢:٣٢) فعملاً بالوصية حافظ اليهود على توراتهم وخوفاً من ان تسقط منها كلمة او حرف احصوا كلمات كل سفر من اسفارها بل احصوها حروفاً وقيدوا الاحصاآت في كتبهم الدينية ليرجعوا اليها عند اللزوم. وليكن معلوما ان نسخة التوراة المتداولة بين اليهود هي عين النسخة المتداولة بين النصارى وكلتاهما تطبعان في مطبعة واحدة

ولئلا يظن بعضهم انه ربما غير اليهود توراتهم قبل المسيح ونحن اخذناها عنهم مغيرة فصارت نسختهم ونسختنا واحدة اقول ان القرآن كفانا مؤونة هذا الاعتراض لانه يشهد بان المسيح جاء مصدقاً

لما معهم من التوراة ثم انه لا المسيح ولا رسله اتهموا اليهود بتهمة التحريف. وها كم صحائف الانجيل راجعوها تجدوها بيضاء نقية من هذه التهمة في حين انها شهرت بخطاياهم في غير هذه المسئلة بل يشهد الانجيل للتوراة بانها موحى بها من الله وانها باقية على اصلها ويحرض المسيحيين على قراءتها والعمل بها. ومن ذلك الآيات الآتية في الانجيل (متى ٥: ١٧ و ١٨ و ٢٢: ٣١ و ٣٢ وبشارة مرقس ٧: ٦ — ١٠ وبشارة لوقا ١١: ٢٩ — ٣٢ و ٢٤: ٢٥ — ٢٧ وبشارة يوحنا ٥: ٣٩ و ٤٥ — ٤٧ ورسالة بولس الرسول الثانية الى تيموثاوس ٣: ١٦) من هذه الآيات البينة يتضح انه في عصر المسيح ورسله قبلت التوراة لديهم كتاباً موحىً به من الله ليس بها مساس من مظنة التحريف والتغيير لانه لو حرفها اليهود لكان المسيح وبخهم علانية على هذا الشر العظيم ولأشار بلاشك الى مواضع التحريف واصلحها لتبقى صالحة للاستعمال في كنيسته.

وهذه النظرية ذاتها تثبت عدم ضياع التوراة وعدم تحريفها عند خراب اورشليم في زمن بختنصر والاسر البابلي ولو حدث شيء لكان المسيح بين الحقيقة

ان بعض كتاب المسلمين يدعون انه في وسعهم ان يثبتوا وقوع التحريف عمداً في التوراة ويعينوا الآيات المحرفة ومنها على

ما يدعون الآية الواردة في سفر التثنية ٢٧:٤ ففي النسخة السامرية مكتوب «جبل جرزيم» وفي العبرانية «جبل عيبال» ولكن الحقيقة هي انه ليست النسخة العبرانية وحدها المكتوب فيها جبل عيبال بل في كل التراجم القديمة كالترجمة السبعينية واللاتينية الدارجة والسريانية والباشطا والارمنية والحبشية .

وعليه فالعبارة الاصلية «جبل عيبال» كما في الاصل العبراني لا «جبل جرزيم» كما في النسخة السامرية التي حرفها السامريون لرغبتهم الخصوصية في الجبل الذي سموه بهذا الاسم. ومع كونهم حرفوا نسختهم في هذه الكلمة انحصر التحريف فيها ولم يتعد الى النسخ الاخرى المعتمدة عند طوائف اليهود وطوائف النصارى. ويحتمل وجه آخر في هذه المسألة ربما ظن الكاتب الذي نقل النسخة السامرية عن العبرانية ان الكاتب الاول كتب جبل عيبال سهواً عوض جبل جرزيم لمناسبة ماورد في عدد ١٢ من ذلك الاصحاح ما مؤداه ان بعضاً من الاسباط الاثني عشر يقفون على جبل جرزيم ويباركون الشعب والبعض الآخر يقفون على جبل عيبال وينطقون باللعنات على من يرتكب تلك المعاصي المذكورة هنالك ويقول الشعب آمين. فمن المحتمل ان كاتب النسخة السامرية ظن المقصود جبل البركات لا جبل اللعنات

وعلى كل حال فان السامريين لم يقدروا ان يعمموا هذا الخطأ او التحريف الا في دائرتهم الخصوصية (إن صح انه تحريف ! !)

ولو كان اليهود هم الذين حرفوا نسختهم لا السامريون لكان الاولى بهم ان يحرفوا عدد ١٢ لا عدد ٤

ثم اننا كنا قد اشرنا في ما تقدم الى الخلاف الموجود بين النسخة السامرية والنسخة العبرانية والترجمة السبعينية من حيثية اعمار بعض البطارقة الاولين في اصحاحي ٥ و١٠ من سفر التكوين وفي الغالب يجب ان يحمل هذا الخلاف على محمل الخطإ لان الارقام قابلة الخطإ حيث يسهل ان يحل بعضها محل الآخر ومن البين ان اختلاف النسخ في هذه الارقام لا يمس جوهر الكتاب في شيء.

وحاول بعض كتاب المسلمين ان يثبتوا وجود اختلاف كثير بين اسفار الكتاب المقدس وزعموا ان هذا الاختلاف دليل على تحريفه غير ان الكتّاب المطلعين ذوي العقول الراجحة والافكار النيرة يسلمون انه ان كتب كاتبان او اكثر عن واقعة حال وكتب كل منهم بمعزل عن الآخر تأتي كتاباتهم مختلفة اختلافاً ظاهرياً ولكن ان اتفقت اتفاقاً تاماً يستدل من اتفاقهم على انهم متواطئون.

اما البسطاء فيشتبه عليهم ظاهر الاختلاف بين سفر وآخر

ويعثرون في صحة الاسفار اما المطلعون فيعلمون اصله ويحلونه حلاً جميلاً وشبه الاختلاف بين اسفار الكتاب المقدس اعظم دليل على امانة اهله والا لكانوا ازالوه منه لكي لا يبقى عرضة لانتقاد المنتقدين ومن امثلة شبه الاختلاف ما ورد عن نسب المسيح في بشارة متى ص ١ وبشارة لوقا ص ٣ وما ورد عن موت يهوذا في بشارة متى ٢٧: ٥ وسفر الاعمال ١:١٨ و١٩ فلو كان استباح اهل الكتاب التحريف لكانوا وفقوا بين هذه المواضع من كتابهم .

ويزعم قوم من المسلمين ان الانجيل محرف لقول بعض النصارى ان الآيات الآتية غير موجودة في النسخ القديمة وهي (بشارة مرقس ١٦:٩ الى ٢٠ وبشارة يوحنا ٥:٣و٤ و٧:٥٣—٨:١١ ورسالة يوحنا الاولى ٥:٧) ولو ان هذه الآيات لم تكن موجودة في المتن في النسخ الاكثر اقدمية الا انها موجودة على الهامش فظنها الناسخ من الاصل فادمجها فيه بسلامة نية وسواء اصاب في ظنه او اخطأ فان هذه الآيات من اولها الى آخرها وجودها وعدمه لا يؤثران في جوهر الكتاب ولا في اقل عقيدة من عقائد الكنيسة لان الحقائق الاساسية التي تضمَّنتها مستوفاة باكثر تفصيل في مواضع اخرى من الكتاب .

وبالنسبة لهذه المسألة يوجد فرق عظيم بين الكتاب والقرآن

فان المطلعين من المسلمين يعلمون ان فريقاً من الشيعة اثبتوا ان عمر بن الخطاب الخليفة الثاني وعثمان بن عفان الخليفة الثالث غيرا جملة آيات من القرآن بسوء النية والقصد ليخفيا عن المسلمين حقيقتين هما من الاهمية بمكان الاولى هي يجب ان يكون عليٌ صاحب الخلافة بعد محمد والحقيقة الثانية يجب ان تحصر الامامة في ذريته ويدعي فريق آخر انه اسقط من القرآن سورة بجملتها يقال لها سورة النورين للغاية المشار اليها. اما نحن فلا يهمنا التحري عما اذا كانت هـذه الدعوى قرينة الصواب او مختلقة ولكن تهم اهل السنة من المسلمين لانه ان كانت سورة النورين من القرآن حقيقة يكون ما اشقاهم واسوأ حظهم لانها تنذرهم بسوء العاقبة كما في قوله «ان لهم في جهنم مقاماً عنه لا يعدلون» وكتب ميرزا محسن بكشمير في مؤلف له سنة ١٢٩٢ هجرية يسمى (داستاني مذاهب سورة النورين) وذكر ان بعض الشيعيين يؤكدون بان عثمان عند ما احرق المصاحف القديمة وأمن على نفسه مناقشة الحساب عمد الى النسخة التي كانت بين يديه وشطب منها كل ما كان من مصلحة علي ابن ابي طالب وذريته من السيادة والامامة وقال ان بعضاً من العلويين ينكرون القرآن المتداول اليوم ولا يسلمون بانه هو الذي نزل من الله على محمد كما يعتقد المسلمون بل يقولون انه

اختلقه ابو بكر وعمر وعثمان. نعم ان لدى العلماء المحققين من الادلة ما يكفي لدحض هذه الدعاوي الباطلة غير انهم لا يسعهم الا التسليم بان هذه التهم الشائنة صوبها نفس المسلمين الى القرآن. والذي يهمنا من المسألة ان هذه التهم في اعتبارهم مخلة بجوهر الخلاص لكل فرد من المسلمين ان كان في الاسلام خلاص في حين ان الدعاوي المزعومة على كتابنا المقدس محصورة في آيات قليلة وهي التي سبقت الاشارة اليها ان حذفت من الكتاب أو زيدت عليه لا تخل بشيء من عقائد الدين والخلاص على الاطلاق (لأنها عرضية لا جوهرية).

ويدعي بعض المسلمين عدا ما تقدم ذكره انه قد ضاع من بين دفتي الكتاب المقدس اسفار كانت معدودة منه يوماً ما كسفر ياشر (كما في سفر يشوع ١٠:١٣) وكتاب حروب الرب (كما في سفر العدد ٢١:١٤)فنقول دحضاً لهذا الاعتراض ان السفرين المذكورين لم يندرجا قط في سلسلة اسفار التوراة وان كانت اشارت اليهما التوراة وحكمهما حكم الاسفار التي اشار اليها القرآن وهي ليست منه كصحف ابرهيم مثلاً .

واعترض بعضهم بان الكتاب المقدس عند الكنيسة الرومانية يتضمن اسفاراً معدومة منه عند كنيسة البروتستانت ورداً على هذا

نقول: اما من جهة اسفار العهد الجديدفهي موجودة بذاتها عند عموم المسيحيين من بروتستانت وكاثوليك وارثوذكس واما من جهة اسفار العهد القديم فقد زادت عليها الكنيسة الكاثوليكية اسفاراً لم تكن مدرجة من ضمن التوراة عند المسيحيين الاولين ولا عند اليهود فضلاً عن كونها لا توجد في الاصل العبراني. نحن معاشر البروتستانت نعتمد اسفار العهد القديم حسبما هي مدرجة في قانون اليهود وتثبتت لنا من المسيح ورسله.ولكن ان فرضنا ان هذه الاسفار المزيدة موحى بها فانها بجملتها لا تؤثر على اية عقيدة من عقائد الديانة المسيحية.واما الفروق المذهبية بين كنيسة البروتستانت وغيرها فلم تنتج عن زيادة هذه الاسفار على العهد القديم ولا عن اختلاف في الكتب كما ان مذاهب الاسلام لم تنتج عن اختلاف في القرآن بين مذهب وآخر

قد تكلمنا عن نسخ اسفار العهد القديم والجديد في اللغات الاصلية وتكلمنا عن التراجم القديمة في جملة اللغات التي لم تبق الى اليوم. وهنا نتكلم بالايجاز عن الادلة التي اقامها لنا كتبة المسيحيين الاولين على الموضوع الذي نحن بصدده.فنقول ان بين ايدينا مؤلفات مسيحية كثيرة يختلف تاريخها من القرن الاول للميلاد الى ما بعد الهجرة في

لغات مختلفة يونانية ولاتينية وسريانية وقبطية وارمنية اقدمها رسالة اكليمندس الى كورنثوس سنة ٩٣ الى ٩٥ ورسائل اغناطيوس السبع سنة ١٠٩ الى ١١٦ ورسالة بوليكاربوس سنة ١١٠ تقريباً ورسالة نسبت خطأً الى برنابا سنة ١٠٠ الى ١٣٠ كتبت جميع هذه باليونانية. ثم قام كتاب كثيرون بعد هؤلاء وكتبوا ما عنَّ لهم في لغات مختلفة. واولئك اجمعون كأنهم اليوم احياء بين ظهرانينا يشهدون بان ايماننا اليوم كايمان الكنيسة في عصورهم الاولى. وعدا ذلك اقتبسوا آيات كثيرة من اسفار العهد القديم والعهد الجديد منها ما هو بالمعنى ومنها ما هو باللفظ وجميع ما اقتبسوه مطابق لكتابنا المقدس المتداول اليوم. وهذا دليل قوي على ان الكتاب المقدس لم يحرف لا قبل الهجرة ولا بعدها ولو فرضنا انه قامت جمعية في عصر محمد او بعده وضمت بين احضانها اخبث من على وجه الارض وتعاونوا على تحريف الكتاب المقدس يحول دونها جبال من الصعوبات لا يستطيعون الى تذليلها سبيلاً. اذ عليهم اولاً ان يجوبوا اقطار الارض المنتشرة فيها المسيحية واليهودية من قارة اسيا واوروبا وافريقيا ويزوروا كل مجمع لليهود وكل كنيسة ومكتبة وبيت يهودي ومسيحي ويجمعوا كل النسخ في كل اللغات ما بين عبرانية ويونانية ولاتينية وقبطية وارمنية وحبشية وعربية

وغيرها وعليهم ان يحتالوا على السامريين ويستكشفوا خبايا اسفارهم المتوغلة في القدم وتراجمها المتأخرة في لغتهم الخاصة ويسلبوها منهم وعليهم ايضاً ان يحرفوا الترجوم الآرامي اليهودي وبعدما ينتهون من جمع نسخ الكتاب المقدس من كل العالم عليهم ان يتفقوا على ما هم شارعون في حذفه ويحذفوه. ويبقى عليهم بعد ذلك كله ان يجمعوا مصنفات اليهود والنصارى الدينية في كل اللغات من كل اقطار الارض توصلاً الى اخفاء المقتبسات المتضمنة فيها لئلا تنكشف حيلتهم ويذهب تعبهم باطلاً. وعليهم في ختام مشروعهم ان يكون لهم سلطان فائق الطبيعة حتى يتأتى لهم ان يمحوا من ذاكرة المسيحيين واليهود الذين على وجه الارض ما حفظوه غيباً من توراتهم وانجيلهم الاصليين لكي لا يفطنوا الى التوراة والانجيل المحرفين. اظن ما من عاقل يتصور جواز هذه المستحيلات فمن باب اولى لا يتصورها اخواننا الراسخون في العلم مع ان القرآن صرح في سورة آل عمران بقوله «من اهل الكتاب امة قائمة يتلون آيات الله آناء الليل وهم يسجدون» فمن ذلك نستنتج ثلاثة امور (١) انه كان يوجد بعض الاتقياء الذين لم تسمح لهم ذمتهم بتحريف الكتاب (٢) ان الكتاب كان موجوداً بين ايديهم (٣) انه كان معروفاً عندهم وهم يتلونه .

ولا يمكن لذي عقل ان يتصور امكانية اتفاق اليهود والمسيحيين على ارتكاب هذا الاثم الفظيع الموجب للمذمة في الدنيا وغضب الله في الآخرة لأنه لا يوجد سبب يدعو الى هذا الاتفاق .

ولنفرض ان جماعة اقوياء من المسلمين في وقتنا او قبل ظهور مطابع الحروف والحجر عزموا ان يحرفوا القرآن وكل الكتب الاسلامية ألا يهزأ بهذا الفكر حال كون القرآن لم يترجم الى لغات متعددة كالكتاب المقدس في عصر محمد ؟

ولنفرض انه لو تيسر لهم ان يجمعوا نسخ القرآن المنتشرة في اقطار المعمور ويحرفوها فليسوا هم بقادرين على جمع الكتب الدينية الاسلامية ولا التفاسير الكثيرة للقرآن. ولو فرضنا انهم قدروا على ذلك ايضاً الا يظهر تحريفهم من الكتب التاريخية كابن هشام والواقدي والغازي وفتوح مصر وفتوح العجم او على الاقل ابن الطبري وابن الاثير ؟ لا يمكن لاي عاقل ان يتصور امكانية ذلك حتى لو كانت كل هذه الكتب في لغة واحدة .

فبالاحرى لا يمكن تحريف الكتاب المقدس في عصر محمد او بعده لانتشار الاقتباسات الكثيرة ولتعدد تراجمه .

ولو سلمنا جدلاً بامكان تحريف الكتاب المقدس بغض النظر

عن كل هذه الصعوبات انما كان يظهر هذا التحريف من الكتب التي اكتشفت حديثاً وقد كنا نعرف اسماءها ولم نرَ مسمياتها وهي في اللغات اليونانية والقبطية والارمنية والسريانية منها(١)قانون الرسل (سنة ١٣١ — سنة ١٦٠ ب . م (٢) كتاب محاباة ارستيدس(سنة ١٣٨ — سنة ١٤٧ ب . م) كتاب اتفاق البشيرين لستاتيانوس (سنة ١٦٠ — سنة ١٧٠ ب . م) وهذه الكتب قد ضاعت من قبل محمد بمدة طويلة واكتشفت في هذه الايام الاخيرة فلا يتأتى تحريفها في حياته او بعد موته وهي تشهد بوحدة الايمان المسيحي في العصور الاولى وفي هذا العصر كما هو مثبت في الكتاب المقدس المنتشر اليوم في كل العالم.فترى من هذه الادلة الساطعة والحجج الدامغة ان التوراة باقية على حالها كما كانت في زمن المسيح والانجيل باق على حاله كما كان في زمن رسله الاطهار (الحواريين)

ومن الحقائق التي تدحض الرأي الشائع بين المسلمين بتحريف الكتاب المقدس هو انه لما فتح عمرو بن العاص مصر وفتح ابو عبيدة بن الجراح وخالد بن الوليد الشام وسعد بن ابي وقاص العراق وقعت بين ايديهم اشهر مكاتب العالم في ذلك العصر واخص بالذكر مكتبة اسكندرية وقيصرية وكان في هذه المكاتب عدد وفير من نسخ

الكتاب المقدس والمؤلفات المسيحية القديمة وما كان أيسر عليهم ان يحفظوا هذه المكاتب أو على الاقل الكتب المقدسة التي جاء القرآن مهيمناً عليها وتكون لهم في مستقبل الايام حكماً يحكمون بها عما اذا كان ما يستحدث من النسخ محرفاً أو هي طبق الاصل ولكنهم احرقوها، احرقوا التوراة والزبور والانجيل التي قال القرآن انها كلام الله وخبر احراق هذه المكاتب ورد في تاريخ ابي الفرج . وكشف الظنون

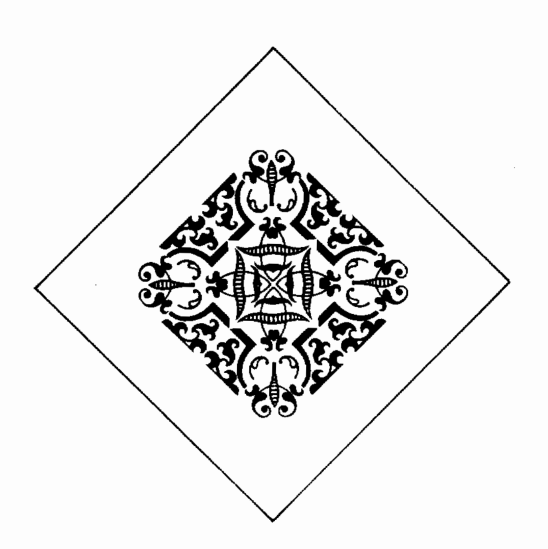
لو حفظ المسلمون نسخ الكتاب التي وقعت بين ايديهم لامكنهم منع احتمال تحريفه في الاعصر الاخيرة لكنهم لم يبالوا بوصية قرآنهم ولا قضوا حق هيمنته اما المسيحيون فقد استحفظوا على ما وقع في ايديهم من هذه الكتب المقدسة القديمة التي كتبت قبل الهجرة بقرون عديدة وسلمت من ايدي المسلمين في الاسكندرية وغيرها وها كم هي اليوم مذخورة في مكتبة رومية وبطرسبرج وباريس ولندن وغيرها من مكاتب اوربا. ويمكن لسياح المسلمين ونزلائهم في اوربا ان يزوروا هذه المكاتب ويتحروا حقيقة دعوانا وقد اخذت صورة بعض النسخ القديمة بواسطة آلة التصوير الشمسي ونشرت بين الناس لكي يراها من ليس في وسعه ان يزور

هذه المكاتب من اهل الاقاليم القاصية الذين يهمهم الاطلاع عليها. ومن مقابلة هذه النسخ الاصلية القديمة بعضها على بعض حصلنا على النسخة اليونانية الاصلية للعهد الجديد والنسخة العبرانية للعهد القديم وهما مطابقتان للنسخ القديمة المتفرقة في العالم ومن النسختين الاصليتين ترجمنا الكتاب المقدس الى اكثر من اربعمائة لغة أي اكثر لغات العالم التي تصلح للترجمة

ومما سبق قد اقمنا الادلة القاطعة الدالة على عدم تحريف الكتاب المقدس على الاطلاق لا قبل عصر محمد ولا بعده وان العلماء المحققين من المسلمين السالفين والمتأخرين على هذا الرأي أي عدم التحريف. وقد اثبتنا ايضاً بطلان وقوع نسخ في الكتاب المقدس لا في اخباره التي رواها ولا في مبادئه الادبية ولا عقائده الدينية وقد بينا ان الكتاب المقدس اليوم هو بعينه كتاب العصور الاولى المتقدمة على زمن محمد بمئات من السنين وشهد له القرآن بانه كلام الله وكتابه في اكثر من مائة وعشرين موضعاً الى ان قال انه جاء مهيمناً عليه

وعلى ما تقدم يجب على كل مسلم مؤمن بالقرآن إيماناً حقيقياً

ان لا يدع روح التعصب الذميم يحول بينه وبين الاعتقاد بصحة الكتاب المقدس واتخاذه لنفسه نوراً وهدى في سبيل الحياة (انظر سورة غافر آية ٥٦) وحتى تتوفق الى الهداية به يجب ان تقرأه بانتباه طالباً من الله باخلاص واشتياق ان ينير ذهنك ويفتح قلبك لتفهم تعليمه وتهتدي الى الصراط المستقيم صراط الذين انعم الله عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين — آمين



المسابقة الاولى
لسلسلة كتاب ميزان الحق

أيها الاخ العزيز

انّ الكتاب الذى بين يديك هو للمجتهدين والبالغين في ادراك قضايا الايمان ، فنقدم لك امكانية امتحان لنفسك بواسطة الاسئلة التالية • وان جاوبت على عشرة منها بصواب ، فنرسل لك الجزء الثاني من سلسلة ميزان الحق مع كتب أخرى للمطالعة وللتعمق في أصول الدين •

أسئلة الفصل الاول

١ ـ ما هي الايات القرآنية الدالة على انتشار التوراة والانجيل زمن محمد ؟

٢ ـ ما هي البراهين من القرآن على أنّ التوراة والانجيل موحى بهما ومنزلان من عنده تعالى ؟

٣ ـ ما الذى أعطاه القرآن من الاسماء والالقاب للتوراة والانجيل ؟

٤ ـ ما هي أقوى الادلة التي تجدها في القرآن على صحة التوراة والانجيل حسب رأيك ؟

أسئلة الفصل الثاني

١ ـ لم تكون آراء العلماء عن النسخ خطرا على القرآن لا على الكتاب المقدس؟

٢ ـ ما هو موقف المسيحية تجاه فرائض الطقوس اليهودية وكيف أكملها المسيح ولم ينسخها؟

٣ ـ كيف تطور فهم معنى الختان من التوراة الى الانجيل؟

٤ ـ أذكر الايات من الانجيل الدالة على أبدية عصمة وثبات كلمة الله.

أسئلة الفصل الثالث

١ ـ كيف نعرف أنّ أسفار العهدين المنتشرة اليوم هي بذاتها التي كانت في عصر محمد؟

٢ ـ لم يكون الطعن في الكتاب المقدس طعنا في القرآن؟

٣ ـ ما هي الترجمة السبعينية؟ وفي أى لغة كان الكتاب المقدس مترجما في الحبشة لما وصل المسلمون اليها؟

٤ ـ ماذا يعني الوحي في الانجيل؟

٥ ـ لماذا الانجيل في العهد الجديد واحد وليس أربعة؟

٦ ـ ضمن أى مدة كتبت كل أسفار العهد الجديد؟

أسئلة الفصل الرابع

١ ــ لماذا لم يسمح النشر العالمي للكتاب المقدس بالتحريف ؟

٢ ــ ماذا تكون دينونة الذين يحرفون كتاب الله؟

٣ ــ كيف يبرهن تعدد الفرق المختلفة في اليهودية والمسيحية على صحة الكتاب المقدس وانسجامه؟

٤ ــ لماذا تكون آثار الحفريات سندا لعصمة التوراة والانجيل ؟

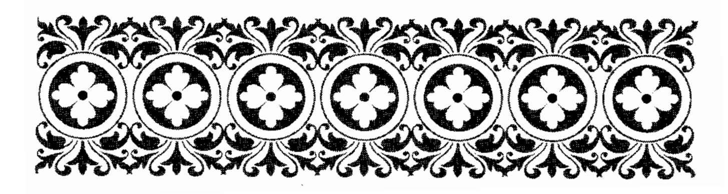
٥ ــ ماذا كان موقف المسيح تجاه التوراة اليهودية الموجودة في أوانه؟

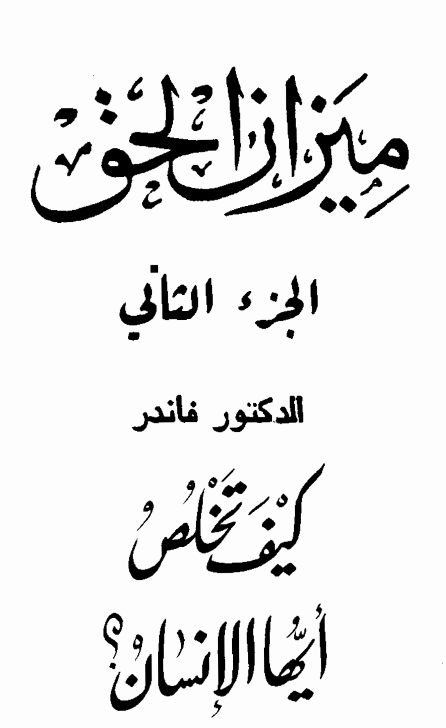
٦ ــ كيف أنّ اقتباسات الاباء في الايمان من الكتاب المقدس تثبّت صحته؟

٧ ــ لماذا لا يمكن أن يتصور عاقل تحريف الكتاب المقدس المنتشر بين الامم والمترجم الى لغات عديدة؟

أرسل أجوبتك بخط واضح وعنوان كامل الى :

THE GOOD WAY · P.O.BOX 66 دار الهداية
CH-8486 RIKON (SUISSE)





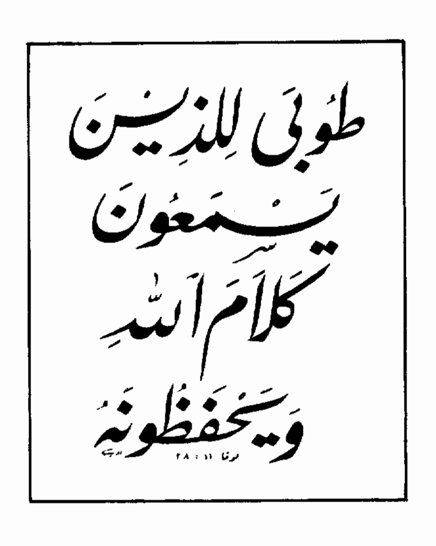
ميزان الحق

الجزء الثاني

الدكتور فاندر

كيف تخلص أيها الإنسان؟

GOOD WAY · RIKON/SWITZERLAND



THE GOOD WAY · P.O. BOX 66 دار الهداية
CH-8486 RIKON (SUISSE)

الباب الثاني

الغرض من هذا الباب ان نبين تعاليم الكتاب المقدس الاساسية وان نبين ايضاً ان هذه التعاليم توافق الشروط الضرورية للوحي الحقيقي كما بينا ذلك في مقدمتنا

—*—

الفصل الاول

بيان مختصر لمشتملات التوراة

يتألف الكتاب المقدس من قسمين اسفار العهد القديم واسفار العهد الجديد ويطلق على القسم الاول اسم التوراة والاخير اسم الانجيل.وذلك لان القسم الاول يبتدئ بشريعة موسى والثاني يبتدئ بالانجيل اي البشائر الاربع .

وكنا قد بينا في ما تقدم ان اليهود قسموا اسفار العهد القديم الى ثلاثة اقسام رئيسية التوراة (الشريعة) والانبياء والصحف وتسمى الاخيرة بالمزامير لانه يبتدئ بها . وكتبت اسفار العهد القديم جميعها باللغة العبرانية ما عدا اصحاحات قليلة فانها كتبت بالآرامية . اما اسفار العهد الجديد فلغتها الاصلية اليونانية وحفظت اليهود توراتها باللغة

الاصلية بكل دقة وعناية الى الوقت الحاضر واخذتها عنهم النصارى من بدء تاريخ الديانة المسيحية بامر المسيح نفسه (متى ٥:١٧ و٢١:٤٢ و٢٦:٥٤ ومرقس ١٢:٢٤ ولوقا ٢٤:٢٧ و٤٥ ويوحنا ٥:٣٩ الخ الخ) ولهذا فاسفار التوراة التي نستعملها اليوم هي ذات الاسفار التي كانت بايدي اليهود في بلاد فلسطين في عصر المسيح وفي كل مكان وزمان.

يتضمن العهد القديم الوحي الالهي الذي كتبه الانبياء والمرسلون الى زمن المسيح واكثر الاسفار متوجة باسماء كتبتها ما عدا القليل منها فانه يعرف كاتبوها من التقاليد القديمة ومع ذلك فان شهادة المسيح لها وتصديقه عليها كما صرح القرآن لا يدع سبيلاً للارتياب فيها. وقد قسم العهد القديم في العصور السالفة الى اثنين وعشرين سفراً على عدد حروف الهجاء العبرانية وتقسم في الوقت الحاضر الى اربعة وعشرين سفراً بفصل راعوث عن سفر القضاة وفصل مراثي ارميا عن سفر نبوته واعتبارهما سفرين كلٌّ على حدته. وقد جرت عادة اكثرهم ان يقسموا هذه الاسفار كل سفر الى سفرين اول وثان وهي صموئيل والملوك واخبار الايام ويقسم سفر الانبياء الاثني عشر الى اثني عشر سفراً صغيراً فبلغت الاسفار بموجب هذا التقسيم الاخير تسعة وثلاثين سفراً وهو التقسيم الذي اعتمد عليه المسيحيون واظن ان

مسألة التقسيم لا يعلق عليها احد كبير اهمية مثل ما يكون لها مساس بالمتن الاصلي كما قد يتصور الاغبياء

فتوراة موسى اواسفار شريعة موسى خمسة التكوين والخروج واللاويون والعدد والتثنية. في هذه الاسفار مدون تاريخ خلق العالم والانسان وكيف عصى آدم ربه وسقط في الخطية وجلب الموت على نفسه وكيف ان الله الكلي الرحمة والجود وعد ان يرسل مخلصاً الى العالم يولد من نسل المرأة (سفر التكوين ٣:١٥) ولما توغل العالم في المعاصي والفجور وكل ضروب الشدة والقساوة اهلك الله بني آدم اجمعين ما عدا نوح واهل بيته.الا انه من بعد الطوفان عادت ذرية نوح الى فعل الشر وسقطت في عبادة الاوثان بالتدريج الى ان لم يبق بينهم من يعبد الاله الحق الا ابرهيم فاختاره الله واتخذه خليلاً لاجل انه آمن به.وعند ذلك وعده بان المخلص الآتي يتناسل من ابنه اسحق وكان لاسحق ابنان اصطفى الله منهما يعقوب وسماه اسرائيل وجدد معه عهده ووعده الذي وعد به ابرهيم وهو ان بنسله تتبارك جميع امم الارض.وفي سبيل انجاز ذلك الوعد الكريم ارسل الله الانبياء من ذريته دون الشعوب الاخرى كما يعترف بذلك القرآن «ولقد آتينا بني اسرائيل الكتاب والحكم والنبوة» (سورة الجاثية ١٥) وذلك حتى

تكون نبواتهم فصل الخطاب في تعريف المخلص الآتي وتقديمه للعالم.

وكانت الحالة تقتضي قبل انجاز الوعد ان يتدرب بنو اسرائيل على الشؤون الدينية ويتخرجوا فيها حتى يصلحوا ان يكونوا فيما بعد اساتذة المسكونة وكذا قضت التدبيرات الالهية وكانت الخطوة الاولى ان نزل الاسباط الى مصر وهم نفر قليل فما مضى عليهم اربعمائة سنة حتى صاروا شعباً عظيماً يعد بمئات الالوف فخشي فراعنة مصر عاقبة نموهم السريع واتخذوا الوسائل الى ابادتهم وسخروهم في الاعمال الصعبة المضنية للجسم فاخرجهم الله على يد موسى سنة ١٣٢٠ ق. م أو سنة ١٣١٤ بموجب الحساب اليهودي.واظهر لهم الله مجده على جبل سيناء وأسلم اليهم الوصايا العشر وغيرها مما هو مدون في التوراة.ومن ضمن غايات شريعة موسى انارة اذهان الشعب ليفقهوا موضوعاً جليل الاهمية كان مجهولاً في ذلك العصر ولا يزال مجهولاً الى وقتنا الحاضر عند الجانب الاعظم من سكان المعمور ولا يعرفه الا اليهود والنصارى الا وهو قداسة الله. ومن غايات الشريعة ايضاً فرز اليهود عن الامم واعتزالهم عنهم في كل شؤون الدين والدنيا وكانت الحكمة في ذلك الاحتفاظ على الاعلانات الالهية من ان يشوبها شيء من رجاسات الامم وعاداتهم فيختلط الحق بالباطل فاقتضت الحكمة الالهية اعتزال

امة اسرائيل لتبقى شرائعهم على حدتها الى ان يأتي المسيح روح النبوة والشرع وخلاصة الوعود والعهود. وحينئذ لا تكون ضرورة لبقاء الحجاب الحاضر بين اليهود والامم بل يجب ازالته لانه يكون قد جاء مشتهى كل الامم الذي له تخضع شعوب الارض .

وبعد ان انقضت اربعون سنة على بني اسرائيل بين حط وترحال في برية سيناء المعروفة اليوم بارض التيه ادخلهم ارض كنعان او ارض الميعاد وفي القرآن الارض المقدسة التي كتبها الله لهم وفي سفر يشوع ذكر فتح بني اسرائيل لارض كنعان وابادة كثير من شعوبها الوثنية جزاء لهم على توغلهم في كل معصية من ذلك انهم كانوا يحرقون اطفالهم ضحايا لاوثانهم وينغمسون في الفسق والفجور تكريماً لمعبوداتهم المشهورة بتلك القبائح اما شعب اسرائيل فقد ملكوا الارض انجازاً لوعده تعالى الى خليله ابرهيم .

وفي سفر القضاة وراعوث وسفري صموئيل والملوك واخبار الايام نجد تاريخ الوقائع الرئيسية التي وقعت لشعب اسرائيل من ذلك الحين الى السبي البابلي . وحدث مراراً كثيرة في غضون المدة التي اقاموها في ارض كنعان ان سقطوا في وثنية بقايا الشعوب الاصليين فجازى الله شعبه بان سلط عليهم الوثنيين فقهروهم وكدروا صفو حياتهم

الا انه كلما تابوا اليه ورجعوا الى عبادته تعالى نصرهم على اعدائهم نصراً باهراً على ايدي افراد اصطفاهم من بنيهم .

وبعد انتهاء حكم ملكهم الاول المدعو شاول وفي القرآن طالوت (بقرة آية ٢٤٨) مسح الله داود ملكاً عليهم وكان ذلك حوالي سنة ١٠٢٠ ق.م وخلفه ابنه سليمان وحكم من سنة ٩٨٠ الى سنة ٩٣٨ ق.م وبعد نهاية حكمه ثار على خلفه رحبعام عشرة اسباط وخرجوا من طاعته وشيدوا لهم مملكة برأسها هي مملكة اسرائيل وملكوا عليهم يربعام بن نباط وبقي السبطان على ولائهم لبيت داود وشيدوا مملكة اخرى هي مملكة يهوذا ولم تلبث مملكة اسرائيل حتى سقطت في العبادة الوثنية وبعد قليل اقتفت آثارها يهوذا. فدفعهم الله الى ايدي اعدائهم وقاصهم هذه المرة قصاصاً اشد صرامة من القصاصات التي الفوها وبدأ بقصاص مملكة اسرائيل ليعطي يهوذا فرصة للاعتبار والتوبة فسلط عليها الاشوريين فغزوها واسروها في فارس ومديان سنة ٧٣٠ ق. م والى هنا انقرضت مملكة اسرائيل اما يهوذا فما اعتبرت بما دهم اختها من شديد العقوبة بل سارت على منهاجها الى ان خضعت لملوك بابل سنة ٦٠٦ ق.م وظلت تحت نيرهم سبعين سنة اي الى سنة ٥٣٦ ق.م وفي سنة ٥٨٧ هدم بختنصر ملك بابل هيكل سليمان واسر رؤساءهم الى بابل.

وفي سفر عزرا تفصيل رجوع اليهود الى ارضهم وذلك انه لما انقضت عليهم سبعون سنة العبودية التي تنبأ عنها ارميا النبي انقذهم الله بان حول قلب كورش ملك فارس بعد ما انضمت بابل وكثير من الاراضي تحت سلطانه الى العطف عليهم ومؤاساتهم فرخص لهم ان يرجعوا الى بلادهم وتتلو ذلك قصة تجديد الهيكل وترميم اورشليم كما هي مشروحة في سفري عزرا ونحميا

ولكن لما رفض اليهود المخلص الموعودين به هم وآباؤهم تنبأ عليهم المسيح كما ذكر تلاميذه بعقاب هائل لم يروا مثله في تاريخهم السالف وهو قلب مدينتهم المحبوبة وهيكلهم العظيم رأساً على عقب. واتماماً لهذه النبوة ونبوات موسى خرب الرومان مدينتهم وهيكلهم سنة ٧٠ م ومن ذلك الوقت الى الآن تفرقوا في الارض طولاً وعرضاً بلا بلاد ولا ملك وكابدوا من الضيقات ولا زالوا يكابدون ما ليس له مثيل

وعلى ما تقدم يمكننا ان نلخص من التوراة ان مقصند الله في معاملته بني اسرائيل هذه المعاملة وتسجيل وقائعهم وتواريخهم الهامة بين اسفار الوحي ثلاثة اشياء (الاول) ان يظهر لهم ولاهل العصور المقبلة ان القلب البشري مائل الى العصيان والتمرد بالرغم عن نعم الله

وبركاته وهدايته المتوالية بواسطة ارسال الرسل والانبياء جيلاً بعد جيل معلمين ومنذرين وكل ذلك لم يمنع الانسان من المروق عن عبادة الله الحي ولي نعمته وخالقه الى عبادة الاصنام البكم (الثاني) لكي يعلم بني اسرائيل ان العتق من نير الخطية وسلطان الشهوات الجسدية لا يمكن ان ينتج عفواً عن مجرد معرفة وصايا الله ولا عن الاحتفاظ على الرسوم والطقوس الدينية بل لابد من عامل قوي عسى أن تتولد فيهم احساسات الشوق الى المخلص الموعودين به في توراة موسى واسفار الانبياء بالتدريج ويشعرون بشديد الحاجة اليه (الثالث) حتى يطلع الامم جيلاً فجيلاً على معاملة الله لبني اسرائيل واعلاناته السامية لهم عن قداسته وعدله ورحمته اما عدله فبواسطة ما اوقعه عليهم من القصاص الصارم على خطاياهم واما رحمته فبواسطة ما احسن اليهم وبارك فيهم وغفر لهم الى غير ذلك لكي يتخذوا لانفسهم عبرة من ذلك ويعلموا ان اصنامهم لا شيء وان اله اسرائيل الاله الحق خالق السموات والارض ويعبدونه ويخدمونه ويستنيرون بنور انجيل الخلاص يسوع المسيح مخلص العالم الذي اخبرت عنه التوراة الى ان حصرت نسبه في ذرية داود وعينت مولده في بيت لحم بارض يهوذا وعدا الاسفار التي ذكرناها في بيان تاريخ اسرائيل حسبما تقدم

يوجداسفار اخرى تشتمل على تعليمات في تمييزما هو مرضي ومقبول عند الله كما وانها تشتمل ايضاً على صلوات وتسابيح وشكر لله العلي العظيم ونبوات عن حوادث المستقبل تم منها الى اليوم عدد عديد ومن هذه الاسفار سفر ايوب والمزامير والامثال واشعياء وارمياء وحزقيال ودانيال والاثني عشر سفراً الصغيرة. وكل من هؤلاء الانبياء ولو انه كتب سفره لاهل عصره من بني اسرائيل محذراً ومعلماً الا انه من الجهة الاخرى قصد اعداد العصور المستقبلة لقبول مخلص العالم الذي نبه بمجيئه ذاتُ الله عز وجل ابرهيم خليله واسحق ويعقوب وموسى.

فمن هذه الاسفار كان ممكناً لخائفي الله واتقيائه من بني اسرائيل ان يعرفوا النقط الرئيسية في وصف المخلص مثل ان يعرفوا وقت مجيئه والبلدة التي يولد فيها ونسبه وسبطه واخلاقه ولاهوته واعمال رحمته واحسانه والآلام التي كانت تنتظره في سبيل خلاص العالم من اتضاع وهوان وآلام وصلب وموت وقبر وانه سيقوم بدون ان يلحق جسده فساد وان يعرفوا طبيعة ذلك الخلاص العظيم الذي جاء ليهبه للعالم .

هذا واعلم ان الاسفار المقدسة من اولها الى آخرها تعلم وحدانية الله وجوهر ايمان اليهود قائم على هذه الآية الذهبية «اسمع يا اسرائيل

الرب الهنا رب واحد» تث٦: ٤ وايد المسيح هذا الايمان وانزله المنزلة الاولى (انظر مرقس ١٢: ٢٩) الا انه لاجل استثمار هذه العقيدة الجوهرية وتشخيصها في اعمالنا وسيرتنا اليومية اقتضت الضرورة ان يعلن الله نفسه للجنسِ البشري بحالة يمكن معها ان يكون معروفاً ومحبوباً. والا فمجرد معرفة وحدانية الله لا تقدم ولا تؤخر في حياة الفضيلة ولا تختلف عن عقائد بعضهم بوحدة الوجود وان ابليس يعرف ان الله واحد وهو كما هو غني عن البيان اخس واخبث من بني آدم وهو يوحده . ولكن لا يحبه (رسالة يعقوب ٢: ١٩) .

وعلى ما تقدم وتحقيقاً لنبوات الكتاب عندما آن الاوان جاء من هو وحده كلمة الله (الانجيل بشارة يوحنا ١: ١) ليعلن الله لنا ويهب حياة ابديه لكل من يؤمن به ايماناً حقيقياً على وفق نطقه الكريم (يوحنا ١٧: ٣) .

غير ان جمهور اليهود عثروا في المسيح عند مجيئه بسبب انهم كانوا قوماً عالميين في اذهانهم واميالهم فلم تكن تهمهم مسألة الخلاص من الخطية بل حصروا اهتمامهم وهوى قلوبهم في مخاص يخلصهم من نير السلطة الرومانية ولم يهمهم ان يكونوا اغنياء في الايمان وسلام الله بل همهم ان يكونوا حكاماً وولاة يسودون على البلاد والعباد ويغنمون

الغنائم ويملأ ون الخزائن ذهباً وفضة اسوة بدولة الرومان والفرس فمن كانت هـذه مطامعهم وآمالهم فلا عجب ان تغمض ابصارهم وتعمى قلوبهم عن نبوات الانبياء الصريحة المشيرة الى المسيح كمخاص من الخطية يأتي الى الارض مجرداً عن زخارف العالم خالياً من ابهة الملك وجلال السلطان محتقراً مخذولاً من الناس لا يصيح ولا يسمع احد في الشوارع صوته ولكنه يعصب القلوب المنكسرة ويعتق اسرى ابليس والخطية .

فلم يمنع الناس في الماضي والحاضر عن قبول المسيح عدم الدليل ولا غموض النبوات عن الاشارة اليه بل تمنعهم محبة العالم وخلوهم من محبة الله والديانة الروحية. اما ذوي العقول الروحية بين اليهود فقد عرفوا وآمنوا به وتبعوه وبعد صعوده الى السماء تفرقوا في اطراف المسكونة يشيعون بين الامم اخبار مخلصهم المحبوب كما امرهم .

وكتب الانجيل رسل المسيح (الحواريون) وتلامذتهم بالهام الروح القدس الذي وعد المسيح ان يرسله على اثر صعوده ويتضمن الانجيل اخباراً عن تعليم المسيح ومعجزاته وتطبيق شخصه المبارك وصفاته ووقائعه على نبوات العهد القديم بشأن المسيا المنتظر ويتضمن شرح طريق الخلاص بما مضمونه ان المسيح مات على الصليب ليقدم

نفسه كفارة عن خطايا العالم وانه قام في اليوم الثالث ومكث على الارض بعدقيامته اربعين يوماً يتردد في غضونها على تلاميذه يعلمهم ويشرح لهم الكتب ويمكنهم من مشاهدته ولمسه ليؤدوا للعالم عنه شهادة عين.وفي ختام المدة قلدهم مهمة الرسالة التبشيرية الى كل الخليقة في كل الارض وامرهم قبل الشروع في الخدمة ان يمكثوا في اورشليم حتى يلبسوا قوة من الاعالي بمعنى ان يحل عليهم الروح القدس ليقدرهم ويذكرهم ويلهب قلوبهم شوقاً وغيرة ليؤدوا عنه الشهادة الى اقصاء الارض.ثم صعد الى السماء امام عيونهم تاركاً لهم الوعد برجوعه ثانية وظلوا يودعونه بابصارهم حتى حجبه عنهم سحاب السماء وعند ذلك ظهر لهم ملاكان من السماء واخبراهم انه سيأتي هكذا كما رأوه منطلقاً الى السماء على وفق سابق وعده لهم (يوحنا ١٤:٣ واعمال ١:٩—١١) .

واعلم ان كثيراً من اقوال المسيح واعماله دونها تلاميذه في زمن حياته على الارض ولما صعد الى السماء اخذوا يبشرون بالانجيل شفاهياً ثم كتبوها فيما بعد في اربع بشائر معنونة هكذا انجيل المسيح كما كتبه متى وكما كتبه مرقس ولوقا ويوحنا وتمت هذه البشائر قبل ختام القرن الاول للميلاد.ومن بين البشيرين الاربعة رسولان وهما متى ويوحنا اما

مرقس فهو تلميذ بطرس الرسول وكتب انجيل المسيح كما اخذه عن معلمه وعن آخرين وعدا ذلك نجد في بشارته فصولاً يجب ان تكون قد كتبت قبل صعود المسيح. واما لوقا فهو زميل وتلميذ بولس الرسول كتب في بشارته الامور المتيقنة لا عند واحد بل عند كثيرين من الذين عاينوا الوقائع والاخبار التي كتبها (انظر بشارة لوقا ١:١—٤) .

ولنا في رسالتي بطرس ورسالة يعقوب ويهوذا الحقائق التي دونها عن المسيح خاصة تلاميذه وكذا كتب يوحنا اعز صديق واحب تلميذ للمسيح ثلاث رسائل وكتب بولس جملة رسائل منها رسالتي تسالونيكي كتبهما اولاً حوالي السنة الثانية والثالثة والعشرين بعد الصعود يشرح فيهما طريق الخلاص بيسوع المسيح وماذا يترتب على دعوتهم المقدسة من الواجبات المرضية لله. وورد في الرسالة الاولى لاهل (كورنثوس ١٥:٣و٤) ما اقتبسه المسيحيون الاولون في اقدم صيغة من قانون ايمانهم «ان المسيح مات من اجل خطايانا حسب الكتب وانه دفن وانه قام في اليوم الثالث حسب الكتب» ومن هنا يتبين لنا ان اقدم المسيحيين اعتقدوا ان جوهر الكتب اي اسفار العهد القديم والجديد انما هو الكفارة التي قدمها المسيح عن خطايانا

بموته على الصليب وقبول تلك الكفارة عند الله بدليل انه اقامه من الاموات. ومن جملة اسفار العهد الجديد سفر اعمال الرسل وفيه خبر حلول الروح القدس وهو (الفارقليط) بعدالصعود بعشرة ايام وكيفية شروع الرسل في تبشير الامم والرسالة الى العبرانيين وفيها شرح العلاقة بين شريعة موسى وانجيل المسيح. وسفر الرؤيا ويتضمن نبوة الجهاد الذي سيقع بين الكنيسة والعالم وانتصار الكنيسة اخيراً (وفي اصحاح ٩ منه مسائل يهم المسلمين الاطلاع عليها) والحاصل ان هذا السفر يشرح لنا كثيراً من الوسائل التي يتخذها الشيطان لتجريب المسيحيين وتعذيبهم على رجاء ان يفصلهم عن مخلصهم واهم هذه الوسائل ظهور المسيح الدجال الذي يبذل عنايته في مقاومة الخلاص الذي بالنعمة. اما المسيحيون الحقيقيون فيخرجون من اتون التجارب كالذهب الممحص. وآخر الكل يأتي المسيح على سحاب السماء بقوة ومجد عظيم ليؤسس في الارض الجديدة والسماء الجديدة ملكوته الدائم «ولن يدخلها شيءٌ دنس ولا مايصنع رجساً وكذباً الا المكتوبين في سفر حياة الخروف» (سفر الرؤيا ٢١:٢٧) .

وبالاجمال تتفق اسفار العهد الجديد مع اسفار العهد القديم في تعيين طريق الخلاص الذي به تتبارك كل الامم (تكوين٢٨:١٤) ألا

وهو الايمان بنسل المرأة الموعود به (تكوين ٣:١٥) الذي ولد من العذراء مريم (بشارة لوقا ١:٧ و١٦ وانظر القرآن سورة الانبياء آية ٩١ وسورة التحريم آية ١٢) ليخلص شعبه من خطاياهم (بشارة متى ١:٢١) الذي بذل حياته فدية عن كثيرين (سفر اشعياء ٥٣:١٠ و١١ وبشارة متى ٢٠:٢٨) وقام لاجل تبريرنا (سفر المزامير ١٦:٩—١١ وسفر الاعمال ٢:٢٢—٣٦ ورسالة رومية ٤:٢٥) والذي به وحده يقدر الانسان ان يبلغ الى معرفة الله الحقيقية (بشارة يوحنا ١٤:٦) وينال الخلاص الابدي (سفر الاعمال ٤:١٢) .

ومن هذا نعلم ان الوعد الذي وعد به الله منذ الوف من السنين آدم وابرهيم واسحق ويعقوب وداود قد انجزه وصار ممكناً للانسان ان يعتق من عبودية الخطية والشيطان وتعتق الارض وتتغير حالتها الى حالة السعادة والكمال اعظم بكثير مما كان قبل سقوط آدم في الخطية .

فاسفار العهد القديم والجديد معاً انما هي اعلان واحد من لدن الله اما العهد القديم فيشرح لنا كيف دخلت الخطية الى العالم وكيف وعد الله بالخلاص منها واما العهد الجديد فيشرح كيف اكمل الله ذلك الوعد وكيف قدم المسيح حياته كفارة عن خطايا العالم (الرسالة الاولى

ليوحنا ٢:٢) «ليهب الخلاص لكل من يقبل اليه اقبالاً حقيقياً» (بشارة متى ١١:٢٨ ويوحنا ٦:٣٧) .

اما من جهة الانبياء والرسل فنؤمن انهم مفوضون من عند الله لتعليم وتبشير العالم فليسوا هم ملوكاً ولا ولاة بل منذرين ينذرون الناس ان يتوبوا عن خطاياهم ويرجعوا الى الله الحي وانهم ليسوا بمعصومين من الخطية وانه لم يعش احد معصوماً من الخطية سوى المسيح ولنا الادلة الكافية على عصمته منها شهادات الانبياء (سفر اشعياء ٥٣:٩ وقابل يوحنا ٨:٤٦) وشهادات تلاميذه (الرسالة الاولى لبطرس ٢:٢٢ والرسالة الاولى ليوحنا ٣:٥ ورسالة العبرانيين ٤:١٥) ويشهد له نفس الذين صلبوه (بشارة لوقا ٢٣:٤ و١٤ و٤٧) .

والقرآن مع نسبته الخطايا للانبياء الآخرين لم ينسب واحدة ليسوع بل يشهد له بانه مطاهر عنها قال في سورة (مريم آية ١٨) على لسان الملك الذي بشر امه به «قال انما انا رسول ربك لاهب لك غلاماً زكياً» قال البيضاوي وغيره اي طاهراً من الذنوب او نامياً على الخير اي مترقياً من سن الى سن على الخير والصلاح . وقد روى البخاري ومسلم وغيرهما وقالوا ان هذا الحديث متفق عليه وهو قوله صلعم «كل بني آدم يطعن الشيطان في جنبيه باصبعيه حين يولد غير

عيسى بن مريم ذهب يطعن فطعن في الحجاب» اي المشيمة (انظر مشكاة المصابيح باب بدء الخلق وذكر الانبياء في آخر الفصل الاول)

مع ان محمداً في قرآنه وحديثه ينسب خطايا كثيرة لسوى المسيح من الانبياء والرسل انظر سورة طه آية ١٢١ والبقرة آية ٣٥ و٣٦ والمعارج ١٩ والانعام آية ٧٦ الخ وابرهيم آية ٤١ والقصص آية ١٥ و١٦ والشعراء آية ١٩ — ٢١ والأعراف آية ١٥٠ ويوسف آية ٢٤ وص آية ٢٤ و٢٥ و٣٤ و٣٥ والصافات آية ١٣٩ — ١٤٤ والفتح آية ٢ وهود آية ٤٤ — ٤٧ والانشراح آية ٢ و٣ والأحزاب آية ١ والزمر آية ٦٥ والمائدة آية ١٧ وعبس آية ١ — ٦ والأنعام آية ٥٢ والنساء آية ١٠٦ ومحمد ٢١ وغيرها من الآيات القرآنية. وفي الحديث كثير من ذلك الحديث الصحيح قوله «كل بني آدم خطاء وخير الخطائين التوابون» وفي البخاري ومسلم حديث يرويه ابو هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال «لم يكذب ابرهيم الا ثلاث كذبات اثنتين منهن في ذات الله الخ» وقد قال محمد احاديث متعددة تفيد استغفاره وتوبته من ذنوبه منها قوله «اني لاستغفر الله واتوب اليه في اليوم سبعين مرة» وقوله «توبوا الى ربكم فوالله اني لاتوب الى الله عز وجل مائة مرة في اليوم» وقال قتادة انه قال عقب نزول قوله «لقد كدت تركن اليهم شيئاً

قليلاً » «اللهم لا تكلني الى نفسي طرفة عين» الى آخر الاحاديث

وانا لا نؤمن بعصمة الانبياء والرسل في اعمالهم العمومية لكننا نؤمن انهم معصومون في تبليغ رسالة الله من ان يزيدوا عليها او ينقصوا منها او يلحقوا بها اقل تحريف والعاصم لهم هو الروح القدس (انظر بشارة متى ١٠:٢٠ ومرقس ١٣:١١ ويوحنا ١٤:٢٦ والرسالة الثانية لتيموثاوس ٣:١٦ والرسالة الثانية لبطرس ١:٢١) .

ونحن معاشر المسيحيين وان كنا نؤمن بان الروح القدس الهم الانبياء والرسل ان يكتبوا ما كتبوا في اسفار العهد القديم والجديد فاننا لا نؤمن بان تلك الاسفار كانت مكتوبة في اللوح المحفوظ من قبل خلق العالم ثم املاها الروح القدس على الرسل والانبياء حين كتبوها حاشا وكلا فان الله يتنزه ويتعالى عن ان يستخدم النبي كآلة صماء فاقدة الحس والعقل والارادة والمعرفة الى غير ذلك بل يستخدم معرفته واختباره وعلمه وعقله وقلبه وروحه وجسمه فيتكلم بالوحي وكأنه يتكلم من نفسه وعليه نجد في الكتاب المقدس العنصر الانساني كما نجد العنصر الالهي (مواهب الانسان مع الوحي) .

وفي الكتاب اسرار تفوق مداركنا البشرية قد استنتج بعضهم منها انها مخالفة للعقل والحقيقة ليست كذلك بل لما كانت عقولنا هبة

من الله فلا يمكن ان يكون اعلانه اي وحيه الالهي مخالفاً لها بل بما ان عقولنا محدودة والله غير محدود فمن الضروري ان نعجز عن ادراك ذات الله فان اتانا رجل بكتاب وادعى انه رسول الله يحمل الينا كتاباً منه تعالى ورأينا ان هذا الكتاب يعلن الله بحيث يحيط به العقل لعلمنا ان دعواه باطلة فلا تبرح هذه الحقيقة من بالنا وها اننا نزيدها عندما نبحث في الفصل التالي ما اوحاه الله لنا عن حد ذاته وصفاته تعالى.

الفصل الثاني

في صفات الله كما هي معلنة في الكتاب المقدس

يعلمنا الكتاب المقدس بقسميه ان الخلق يدل على وجود خالقه وان ضمير الانسان وعقله يشهدان بوجوده تعالى (سفر المزامير ١٩: ١—٤ وسفر الاعمال ١٧: ٢٤ — ٢٩) واما كون الله واجب الوجود فدل عليه الكتاب حينما ينسب الى الذين ينكرونه الجهل الاختياري والسفه التعمدي (سفر المزامير ١٤: ١ و٥٣: ١ ورو ١: ١٩—٢٣) وفي الكتاب ان الله واحد (سفر التثنية ٤: ٣٥ و٣٩ و٦: ٤ واشعياء ٤٤: ٨ و٤٥: ٥ و٤٦: ٩ وبشارة مرقس ١٢: ٢٩ ويوحنا ١٧: ٣ والرسالة الاولى الى كورنثوس ٨: ٤ وافسس ٤: ٦) وانه روح (بشارة يوحنا ٤: ٢٤) وغير

منظور (بشارة يوحنا ١:١٨والرسالة الاولى الى تيموثاوس٦:١٥و١٦) وغير محدود ازلي غير متغير (سفر المزامير ٩٠:٢ و١٠٢:٢٤—٢٧ ورسالة يعقوب ١:١٧) ومحيط بكل مكان وبكل علم (سفر المزامير ١٣٩:١—١٢ وارميا ٢٣:٢٣ و٢٤ واعمال الرسل ١٧:٢٧ و٢٨)وكلي القدرة والحكمة (سفر التكوين ١٧:١ وايوب ١٢:٧—١٠ و١٣ ومزامير ١٠٤:٢٤ واشعياء ٤٠:١٢ — ١٨ والرسالة الاولى ليوحنا ٣:٢٠)

وكما ان الله موصوف في الكتاب بالاوصاف المتقدمة فهو موصوف بالقداسة (سفر الرؤيا ١٩:٢و٢١:٨ وسفر صموئيل الاول ٢:٢ ومزامير ٢٢:٣ و٤٥:١٧ واشعياء ٦:٣ وسفر الرؤيا ٤:٨) وانه بار وعادل (سفر العدد٢٣:١٩ والتثنية٣٢:٤ ومزامير ٣٣:٤و٥واشعياء ٢٦:٧و٤٥:٢١ والرسالة الى رومية ٢:٥—١١ والرسالة الاولى ليوحنا ١:٩ وسفر الرؤيا ١٥:٣ و١٦:٥—٧) ورؤوف رحيم طويل الأناة (سفر الخروج ٣٤:٦ ومزامير ٩:٨—١٠ وسفر مراثي ارميا ٣:٢٢ و٢٣ وحزقيال٣٣:١١ وبشارة متى ٥:٤٥ ويوحنا٣:١٦ ورسالة يوحنا الاولى ٤:١٦) وخالق وضابط كل شيء (سفر التكوين ١:١ وسفر صموئيل الاول ٢:٦ و٧ ومزامير ٣٣:٦و٣٧:٢٣—٢٥و١٠٤وبشارة

متى ٦ : ٣١ و٣٢ و١٠ : ٢٩ — ٣١ ورسالة رومية ١١ : ٣٦ وسفر الرؤيا ٤ : ١١)

هذه بعض الصفات المجيدة التي ينسبها الكتاب الى الاله الحقيقي واما بقية صفاته فمجموعة في وصفه بالكامل في طبيعته ومعرفته وهدايته وسائر اعماله (سفر التثنية ٣٢ : ٤ وسفر صموئيل الثاني ٢٢ : ٣١ وايوب ٣٦ : ٤ و٣٧ : ١٦ ومزامير ١٨ : ٣٠ و١٩ : ٧ وبشارة متى ٥ : ٤٨)

فمن اطلع على هذه الصفات وحكم ذمته وعقله يسلم انها جديرة بالله الخالق الرحيم ويجزم ان مجرد العلم والعقل لا يبلغان بصاحبهما الى انشائها بمعزل عن الالهام الالهي بدليل ان الفلاسفة القدماء كارسطو وافلاطون الذين استنفدوا العقل والعمل في البحث عن الله تعالى لم يهتدوا الى معرفته حسب الاوصاف المنسوبة اليه في الكتاب المقدس التي مر بيانها فما ادركوا حقيقة وحدانيته ادراكاً جلياً ولا ذاتيته ولا قداسته وعلى الخصوص الصفة الاخيرة اي القداسة فانها وردت في الكتاب المقدس بحالة لا مثال لها في كتب الاديان جميعها قديمها وجديدها

ان الاتقياء المخلصين المجدين في معرفة الله تعالى وعمل مرضاته تماماً اذا قرأوا الكتاب المقدس يفهمونه وتصل كلمته تعالى الى قلوبهم

وتضيء بصائرهم وافهامهم بنور روحي (مزامير ١١٩:١٠٥ و ١٣٥) فيقدرون ان يجدوا الله (سفر التثنية ٤:٢٩ وارميا ٢٩:١٣ وبشارة يوحنا ٧:١٧) ويعرفون ارادته وتنسكب في قلوبهم مخافته ومحبته بروحه القدوس (الرسالة الى رومية ٥:٥) ويقبلون نعمة الله التي تقدرهم على طاعته تعالى وتتجدد قلوبهم ويولدون ميلاداً ثانياً روحياً (بشارة يوحنا ١:١٢و١٣و٣:٥و٦) ويصيرون بواسطة ايمانهم بيسوع المسيح خليقة جديدة (٢ كورنثوس ٥:١٧) يحبون البر ويبغضون الاثم يهربون من الشر ويلتصقون بالخير وذلك لان الكتاب المقدس يصف الله بالقداسة والعدل فهو يقاص الذين يقسون قلوبهم كما قسى فرعون قلبه . وهو اله عادل شديد العقاب ولكنه يعامل الذين يتوبون اليه ويرجعون عن خطاياهم ويخدمونه في جدة الحياة كآب رؤوف رحيم كثير الوفاء والاحسان. ترى مما تقدم ان طالب الحقيقة اذا راجع الآيات التي اشرنا اليها في هذا الفصل ودرسها مستعيناً بالصلاة يتبين له ان شروط الوحي متوفرة في الكتاب المقدس وان شاء الله سنبين ذلك باكثر جلاء في الفصول الآتية :—

وسيظهر من اسفار العهد الجديد ان معرفة الله الحقيقية يحصل عليها الانسان بتعليم روح الله القدوس المستعد على الدوام ان يعيننا

ويرشدنا وان الله معلن تمام الاعلان في المسيح يسوع وعلى ذلك قوله: «من رآني فقد رأى الآب» (يوحنا ١٤:٩) بل معلن فيه دون سواه لانه «كلمة الله»

الفصل الثالث

في حالة الانسان الاصلية وحالته بعد السقوط واحتياجه الى الخلاص من الخطية والموت الابدي

من رام الاطلاع على حالته الحقيقية الواقعة كما هي في اعتبار الله القدوس يطلع عليها جزئياً على صفحة ضميره ولكنه يعرفها تمام المعرفة من الكتاب المقدس لانه كلام من هو بكل شيء عليم «ليست خليقة غير ظاهرة قدامه بل كل شيء عريان ومكشوف» (الرسالة الى العبرانيين ٤:١٣) لا يعلم الله ما عملناه فقط بل وما سنعمله وما يخطر على بالنا كل ايام حياتنا وهو الذي يقدر ان يخبرنا عن غايته التي قصدها من خلقه ايانا وحفظه لنا بقيد الحياة وعلى اي شيء تتوقف سعادتنا بالمستقبل. ان الفلاسفة كتبوا في الالهيات افكارهم وخواطرهم عن هذه المواضيع ولكن العقل السليم يجزم بانه ان كان الله قد اعلن ارادته لنا بواسطة الرسل والانبياء يكون اعلانه اجدر بثقتنا من الآراء

الفلسفية والاقيسة البشرية المحدودة والغير المعصومة. ولذلك فمن اراد ان يعرف لاية غاية خلقنا الله وكيف سقطنا الى حالة الخطية والتعاسة يجب ان يرجع الى كلام الله حتى يقف على الحقيقة. وهنا نتوسل بكل لطف واحترام الى القارئ المسلم العزيز ان يلقي كلاً من التشيع والتحامل جانباً اثناء اطلاعه على الكتاب المقدس اي التوراة والزبور والانجيل التي يشهد لها القرآن اعظم شهادة تليق بكلام الله. اقرأ في الكتاب بما يليق بمقام صاحبه من التوقير والاحترام بعزم ماض ونية خالصة داعياً الله ان يمنحك فهماً وهدى روحيين حتى يتيسر لك ان تفهم ما تقرأه وتنفتح بصيرة قلبك وتشاهد حالة نفسك الداخلية تلك الحالة التعيسة الشقية عند ذلك تنال الخلاص الدائم والحياة الابدية والبركة والسعادة اللانهائية. في سفر التكوين ١: ٢٦—٢: ٢٥ وسفر الجامعة ٧: ٢٩ نجد ان الله خلق الانسان في حالة الاستقامة والقداسة والسعادة وهذه تبين ان الله خلق الانسان على صورته وشبهه تعالى اي ان عقل ذلك الانسان المخلوق المحدود وخصوصاً روحه كانت قبل سقوطه تشابه الخالق الغير المحدود بنوع ماوبها جعل الله تعالى نفسه معروفاً لدى الانسان وكان الانسان حينئذ معصوماً من الخطية بل من خطور الافكار الشريرة على قلبه وعقله كما من كل الشهوات

الجسدية والنفسية والروحية وكان جسمه غير معرض لمرض ما او للموت. وحيث انه عرف الله واحبه ورغب في ان يخدمه فلذلك كان سعيداً وقنوعاً وكان رئيس كل المخلوقات التي على وجه الارض ونعلم من سفر التكوين ان الله اعدّ له مسكناً جميلاً مباركاً هو جنة عدن (سفر التكوين ٢:٨) وكانت واقعة غالباً على السهل الذي بنيت عليه بابل فيما بين النهرين ومدن اخرى فيما بعد .

فكل امرئ يعلم بشهادة ضميره ووجدانه انه فقد تلك الحياة السعيدة حياة العصمة والهناء واصبح مكبلاً في قيود الخطية والتعاسة ثم ان تاريخ الامم البائدة التي اكتسحها الله عن وجه الارض بسبب خطاياهم والشقاء الحاضر المخيم على وجه البسيطة من ألم وموت يحصد الكبار والصغار لاعظم دليل على ان الانسان لم يبق على الحالة التي فطره الله عليها وكان تعالى يريد ان يبقى الانسان ونسله عليها الى الابد. وعلاوة على ذلك نجد ان الكتاب المقدس يخبرنا بمقدار ما بلغ اليه الانسان من الشرور والمعاصي وخصوصاً في اعتبار الله القدوس (سفر التكوين ٨:٢١ ومزامير ١٤٣:٢ ورسالة رومية ٣:١٠—٢٠ و٢٣ ويوحنا الاولى ١:٨)

ومن يتأمل في حالة قلبه اقل تأمل وافتكر برهة في الاميال

الفاسدة والاهواء المشوشة التي تنبع على الدوام من قلبه كما ينبع الماء من العين لا يبقى عنده مجال للريب في أنه بالحقيقة خاطئ في نظره تعالى كما هو موصوف في الآيات المشار اليها. وتشهد عليه ذمته وضميره انه ليس هو خاطئاً فقط بل ان الخطية والفساد استحوذا على قلبه حتى لم يبق في مقدرته وسيلة للتخلص من نير الخطية وشعر ان هذه حالته منذ حداثة سنه بل منذ ولادته وحينئذ يتبين له ان طبيعته الادبية فاسدة. الا ان للناس مذاهب في اميالهم نحو الرذيلة فبعضهم ميالون لمحبة المال و بعضهم للبخل و بعضهم لمحبة الشهرة وآخرون قساة القلوب وآخرون متكبرون وغيرهم فاقدو الشعور و بعضهم ملحدون و بعضهم زنادقة وغيرهم منافقون والبعض ميالون لاكثر من هذه. وعلمنا علم اليقين بالاختبار والمشاهدة انه لا يوجد انسان على وجه الارض خال من الخطية حتى ان خير الاخيار واكثر الناس تقوى يعترفون بانهم طالما عملوا اعمالاً لم يكن يجوز لهم ان يعملوها ولم يعملوا اعمالا كان يجب عليهم ان يعملوها. وبالجملة فان حياة العالم كله في العصور الغابرة والحاضرة دليل محسوس على صدق كلام الله المسطور في الكتاب المقدس وان كثيرين من الوثنيين لما سمعوا شهادة الكتاب عن الانسان وقابلوا بينها و بين واقعة الحال في انفسهم و بين

ذواتهم شعروا ان هذه رسالة منه تعالى تصف حالتهم الروحية البائسة قائلين ان صاحب هذا الكتاب انما هو الذي خلقنا .

وقد اختبر بعضهم تغييراً في حالة قلوبهم بحيث اصبحوا يبغضون الخطية ويحبون الصلاح الا ان هذا التغيير يجب ان ينسب الى الميلاد الثاني الذي شرحه المسيح في بشارة يوحنا ٣:٣و٥ الذي لا يمكن ان يحصل عليه احد إلا بواسطة الايمان به .

وقد رأينا ان التوراة تفيد ان آدم عندما خلقه الله لم يكن يميل بطبيعته الأولى الى الخطية وبالنتيجة كان خالصاً من حالة الشقاوة المستولية اليوم على ذريته . ثم ان البحث العقلي يؤيد ذلك لانه من المعلوم ان الخطية هي مخالفة لمرضاة الله وان الخطية هي التعدي على الشريعة الادبية التي توافق ذاته تعالى وتصدر عنها فليس من المعقول ان نقول ان ارادته تعالى هي التعدي على ذاته تعالى وحيث ان بني آدم غرقوا في بحار الخطية والشقاوة وغدوا سبايا النفس الامارة بالسوء فيلائم حالتهم ان يبحثوا حتى يعلموا من اين دهمتهم هذه المصيبة الدهماء.

ونجد الجواب على هذا السؤال في اسفار الكتاب المقدس حيث نقرأ ان الخطية ونتائجها المحزنة دخلت الى العالم بسبب عداوة ابليس وغوايته لجنسنا من الجهة الواحدة وبسبب حرية ارادة الانسان

وابتغائه ان يعمل مرضاته دون مرضاة الله من الجهة الاخرى حيث خدع ابليس حواء التي خدعت آدم فعصى آدم ربه حراً مختاراً. ومن تلك الساعة ارتد آدم عن الله وحاد عن جادة الحق وانقطعت الصلة بينه وبين من هو ينبوع الحياة والسعادة الحقيقية (انظر سفر التكوين ص ٣ قابل يوحنا ٨:٤٤ ورسالة رومية ٥:١٢ و١٩ ورسالة تيموثاوس الاولى ٢:١٣ و١٤)

قيل لِمَ لَمْ يمنع الله دخول الخطية الى العالم ولماذا سمح لابليس ان يجرب الانسان وينتصر عليه او لماذا لا يزال يترك له الحبل على الغارب في تجربة البشر الى الآن؟ فالجواب مفصل في كتاب «طريق الحياة» ونكتفي هنا بالقول ان الله سبحانه وتعالى لم يكشف لنا غايته من ذلك تماماً وليس في طاقة البشر ايجاد جواب شاف من كل وجه لهذا السؤال الصعب غير اننا نقول ليس من الضروري ان نضع اعمال الله تحت بحثنا انما الضروري ان نعترف بسوء حالتنا ونبحث عن كيفية النجاة. وغاية ما في الامر ان نعرف ما عرفه ابرهيم وهو ان ديان الارض كلها لا بد ان يكون عادلاً في كل اعماله (سفر التكوين ١٨:٢٥)

غير ان بعض الحكماء اكدوا لنا بان وجود التجارب في الحياة الدنيا والشقاوة والآلام الناتجة عن الخطية هي درس لتدريب النفس

على حياة الفضيلة بواسطة مقاومة التجارب والانتصار عليها بنعمة الله، وبواسطة اختبارنا نتائج الخطية المحزنة. أنعم الله على الانسان بحرية الارادة ليختار لنفسه ما شاء من الحق او الباطل، الطاعة او المعصية، الحرية او العبودية لابليس، وقد أعلن الله إرادته ومحبته لنا وهدانا الى طريق الحق الا انه تركنا نختار مانريد ولم يلزمنا بالرغم منا ان نختاره تعالى دون سواه، قصد الله ان نحبه لكن لا اكراه في المحبة كما لا اكراه في الدين المسيحي الحق بعد أن تبين الرشد من الغي .

وعلمنا الله في كتابه انه لم يكن طبق ارادته تعالى ان نخضع لسلطان ابليس ونرزح تحت نير الخطية بل ارادته ان نتحرر ونعتق من هذه العبودية الصارمة ونتطهر من شوائب الخطايا والعيوب ونرجع الى الحالة التي خلقنا عليها حالة الطهارة والقداسة التي فقدها آدم لكي نصير ورثاء السعادة الابدية. وان الكتاب بقسميه واختبار الجنس البشري يثبتان ان الانسان لا يقدر ان يحظى بالسعادة الحقيقية مالم يتب عن اعماله الشريرة ويرجع بايمان حقيقي الى الله ويتحرر من سلطان الخطية ويفوز بالغفران لانه بدون نقاوة القلب لا يمكن ان نشاهد الله ببصائرنا القلبية (بشارة متى ٥:٨ والرسالة الى العبرانيين ١٢:١٤) ان التقي الحقيقي يجب ان يكون قديساً لان الله قدوس (لاويين ١٩:٢

وبشارة متى ٥:٤٨ والرسالة الثانية الى اهل كورنثوس٦:١٤—٧:١
ورسالة بطرس الاولى ٢:٩ و١٠ ورسالة يوحنا الاولى ٣:١—٨)

هذا هو تعليم الكتاب المقدس لان الضمير والعقل يشهدان ان الانسان خلق صالحاً على صورة الله وشبهه ثم سقط وان لا وسيلة لارجاعه الا بواسطة اعادة خلقه على صورة القداسة التي سقط منها ليكون اهلاً لسكناه مع الاله القدوس ورؤية وجهه تعالى .

فان كنا نقابل بين تعاليم الكتاب المقدس وكتب الاديان الاخرى من حيث المبادئ المذكورة هنا نجد فرقاً عظيماً لان تلك الكتب لا تفيدنا شيئاً بخصوص مقصد الله في خلقه الانسان ولا تشير اقل اشارة الى وجوب تطهير القلب وتقديس الروح وكل ما جاء فيها بهذا الصدد فهو محصور ضمن اعمال الوضوء والغسل التي لا تصل الا الى الجسد والمغفرة في تلك الكتب تلتمس من باب الانابة على الحج والاضحية والصدقات. يا اخوان لا ننكر ان الوضوء والغسل لازمان لتنظيف الابدان ولكن اين هي الابدان من القلوب ؟ قال المسيح زاجراً ولائماً فرقة من اليهود تصوروا ان الغسل يقربهم الى الله «ويل لكم ايها الكتبة والفريسيون المراؤون لانكم تنقون خارج الكأس والصحفة وهما من داخل مملوآن اختطافاً ودعارة ايها الفريسي

الاعمى نقِّ اولاً داخل الكاس والصحفة لكي يكون خارجهما ايضاً نقياً (بشارة متى ٢٣:٢٥ و٢٦) وكذلك الاعمال الصالحة وفي جملتها الصدقات يجب ان تكون ناتجة عن محبتنا لله وامتثالاً لمشيئته واظهاراً لممنونيتنا وتشكراتنا على سابق مغفرته ورحمته وليس لكي نستعطفه تعالى ونحمله على ان يغفر لنا فان مثل هذه الاحساسات تقلب العمل الصالح الى عمل رديء لان الديان العادل لا يقبل الرشوة لاجل أن يغفر للمذنب ذنبه فقيمة الاعمال الصالحة تقاس على البواعث التي تبعث اليها والله عليم بتلك البواعث ولا تخفى عليه خافية .

ولاجل أن نعلم مشيئة الله ونستعين على الانقياد اليها علمنا كثيراً من اسفار العهد القديم والجديد ما يجب علينا ان نعمله وما يجب ان نجتنبه وعدا ذلك فانه لخص الشريعة الادبية في وصايا مختصرة وردت في اجزاء مختلفة من التوراة ففي اسفار موسى نجد الوصايا العشر (سفر الخروج ٢٠:١—١٧ وسفر التثنية ٥:٦—٢١) وفي أواخر اسفار العهد القديم نجد خلاصة اخرى للشريعة الادبية .

وردت في سفر ميخا النبي وهاك هي «قد اخبرك ايها الانسان ما هو صالح وماذا يطلبه منك الا ان تصنع الحق وتحب الرحمة وتسلك متواضعاً مع الهك» (ميخا ٦:٨)

ينتقد بعضهم على المسيحيين ان ليس لهم شريعة مؤلفة من اوامر ومحظورات وفاتهم ان الشريعة التي اشرنا اليها في اسفار العهد القديم لا تزال نافذة المفعول على المسيحيين على انه لنا في الانجيل شريعة عظيمة نطق بها المسيح في موعظته على الجبل (راجع بشارة متى ص ٥ و٦ و٧) وعدا ذلك فانه جمع واجباتنا في آيتين وجمعهما في واحدة (بشارة مرقس ١٢: ٢٨ — ٣١ وبشارة لوقا ٦: ٣١) فمما تقدم نرى المسيح وضع مبادئ عمومية جامعة للارشاد الى ما ينبغي عمله في كل ظروف الحياة مع ان غيره من واضعي الشرائع عينوا ارشاداً مخصوصاً لكل عارض يحدث لهم. ومن يقرأ (اصحاح ١٢ كله و١٤: ١ — ٨ من الرسالة الى رومية واصحاح ١٣ من رسالة كورنثوس الاولى و٤: ١ — ٢١ من رسالة افسس وكولوسي ٣: — ٤) ير سمو وقداسة المبادئ المحتمة على المسيحيين ان يسلكوا فيها. لم نؤمر بغسل ايدينا قبل الصلاة بل امرنا ان نغسل قلوبنا ولا ان نحج مرة في العمر بل نكون على الدوام حجاجاً متغربين في الارض لانه ليس لنا فيها مدينة باقية بل نكون قاصدين المدينة السماوية وكل ما قطعنا مرحلة من طريق الحج الى السماء زدنا تمثلاً واقتداء بقداسة الله وعلينا ان لا نصلي خمس مرات أو سبعاً في اليوم بل نصلي في كل حين وبدون انقطاع (١ تسالونيكي

١٧:٥) اي نصرف حياتنا بجملتها في شركة مستديمة مع الله. ولا ان نقدم ذبائح حيوانية كما كان يقدم اليهود بل نقدم ذواتنا ذبائح حية مقدسة مرضية عند الله (رسالة رومية ١٢: ١و٢ ورسالة بطرس الاولى ٢: ٥)

مما تقدم نرى ان شريعة العهد الجديد ابلغ واسمى من شريعة العهد القديم وهي توافق تمام الموافقة صفات الله الجلالية والكمالية لانها توصي بنقاوة القلب وبالتالي تؤدي الى قداسة الحياة. وغني عن البيان انه بدون هذه الوصايا الروحية يضيع لب الدين ولا يبقى منه سوى قشور الرسوم الخارجية التي لا تبرر الانسان. ان وصايا الانجيل اعلى في روحانيتها وكمالها من وصايا كل الاديان لانها مدبرة بطريقة خصوصية تغير طبيعة القلب الفاسدة الى طبيعة مقدسة تفيض اعمالاً صالحة مدى العمر. وعليه يجب ان نقبل وصايا الدين المسيحي لا كاقوال بشرية مثل بقية الاديان (الا الدين اليهودي) بل كما هي بالحقيقة وصايا الله نفسه. وان اردت قولاً جامعاً لوصايا الانجيل فانظر الى ما قاله المسيح في هذا المعنى وتأمل فيه بعين مجردة من الغرض قال «تحب الرب الهك من كل قلبك ومن كل نفسك ومن كل فكرك هذه هي الوصية الاولى والعظمى والثانية مثلها تحب قريبك

كنفسك بهاتين الوصيتين يتعلق الناموس كله والانبياء (بشارة متى ٢٢:٣٧—٣٩) وهذه الاقوال مقتبسة بتوسع من اسفار العهد القديم (انظر سفر التثنية ٦:٥و١٠:١٢و٣٠:٦ ولاويين١٩:١٨) فترى تعليم اسفار العهد القديم والعهد الجديد واحداً من حيث الواجبات التي يكلفنا بها الله والطريق الذي ينبغي لنا ان نسير فيه لانه في العهدين يريد الله منا ان تمتلئ قلوبنا بمحبته تعالى لانه احبنا اولاً حتى نصرف سائر قوانا الجسدية والروحية والنفسية والعقلية كل يوم وكل ساعة في خدمة الله ومرضاته. وكما اننا نبتغي الخير لانفسنا ونسعى لمصالحنا يجب أن نعمل مثل ذلك لجيراننا وان كانوا اعداءنا لان الاعداء في اعتبار الله لم يخرجوا عن كونهم جيراننا واقرباءنا واخواننا واياهم قصد المسيح لما اوصى ان تحب قريبك كنفسك (انظر بشارة لوقا ١٠:٢٥—٣٧) بمثل هذه الفضيلة نطيع قانون المسيح الذهبي القائل: «كل ما تريدون ان يفعل الناس بكم افعلوا هكذا انتم ايضاً بهم» (بشارة متى ٧:١٢) وعلى قدر ما في هذه الوصايا من توثيق رابطة المحبة بين الانسان وخالقه وبينه وبين بني جنسه يتنقى القلب من الدنس وتعتق النفس من محبة الذات وتؤدي بطبيعة الحال الى سعادة الدارين.

وكذلك توافق هذه الوصايا الناموس الطبيعي الذي نقشته يد

الخالق على صحائف القلوب والضمائر . فان كنت تقابل بين ناموس ضميرك وشريعة قلبك وبين ما تتلوه عليك من وصايا المسيح وموسى تعلم وتجزم ان تعليم الكتاب المقدس صادر من الخالق عز وجل وتتحقق انه موحى به منه تعالى كما تتحقق الشمس في رابعة النهار. فليكن معلوماً لك ان الذين لا يقبلون تعليم الكتاب المقدس يدانون بموجبه في اليوم الاخير وذلك لانه منقوش على قلوبهم وضمائرهم. ولهذا السبب عينه كتب الله شريعته الادبية على القلوب حتى لا يكون عذر لمن عصى.حتى ان الوثنيين والملحدين مسئولون عن حفظ الناموس الادبي حسب طبيعتهم لان الناموس مكتوب على قلوبهم. ويعرفون الى درجة ما انهم خالفوا هذا الناموس الطبيعي وانهم واقعون تحت طائلة العقاب ومحتاجون لمخلص .

ولقائل يقول:ان كان الناموس مكتوباً على القلوب ويكشف لنا احتياجنا الى مخلص فما الداعي الى الكتاب المقدس.فاجيب ان الداعي اليه تحصيل شهادة ثانية تؤيد شهادة الضمير مع ان في الكتاب المقدس بياناً اوفى ونوراً اعظم وثقة ارسخ لكي نتشجع في جهادنا الروحي طالبين منه تعالى العون في كل احوال الحياة .

وفي الكتاب شهادة يا حبذا لو فطن اليها الناس وهي ان معرفة

الحق لا تبررنا بل بالحري تزيد مسئوليتنا ما لم نكن سالكين بموجب الحق الذي عرفناه (بشارة متى٧:٢١—٢٧ ولوقا١٠:٢٥—٢٨ ويوحنا ١٣:١٧ ورسالة رومية ٢:١٣) وفيه ايضاً ان العدالة الالهية لا ترتضي ان تمس الطاعة الكاملة شائبة من شوائب النقص بمعنى انه لا يرتضي الا بالكمال في اخلاقنا واعمالنا (بشارة متى ٥:٤٨) فان اطاع الانسان الوصايا جميعها ما عدا وصية واحدة يعد مجرماً (رسالة يعقوب٢:١٠ و١١ ورسالة غلاطية٣:١٠—١٢) وكذلك الحال بالنسبة الى القوانين المدنية مثال ذلك ان قانون البلاد يمنع القتل والسرقة فان كنت لم تقتل ولكن سرقت ولو مرة واحدة في العمل وضبطت لا يشفع لك عند القاضي كونك لم تقتل بل يعاقبك على سرقتك. لم يذكر عن آدم الا خطية واحدة ومع ذلك جلبت الويل والموت. فتأمل ما اشنع عواقب الخطية الواحدة. من اجل ذلك لا تؤمل انك تفوز بغفران الله عن معصية واحدة مقابل طاعات كثيرة فمن رام مرضاة الله بعمله عليه ان يحفظ وصاياه جميعها بالضبط والدقة ومتى تعدى على اقل وصية يدرج اسمه في قائمة العصاة ويحال الى الدينونة .

ولكن هل وجد على سطح كرتنا الارضية انسان اطاع الله كل حياته طاعة كاملة؟ ومن ذا الذي احب الله من كل قلبه وفكره و نفسه

واحب قريبه كنفسه (بشارة متى ٢٢:٣٧ و٣٩) ومن ذا الذي قضى عمره ولم يرتكب معصية ولا زلة ما ولا فرطت من فمه كلمة سوء ولا جال على خاطره فكر خبيث ولا شهوة ردية (انظر سفر ايوب٤:١٨و١٩و٢٥:٤—٦ ومز١٤٣:٢ ورو٣:٢٠) ولم يوجد انسان عاش ومات ولم يعمل خطية قط الا سيدنا يسوع المسيح .

واذ قد علمت ان كل الجنس البشري (ما عدا يسوع) مذنب بشهادة ضميرك وشهادة كلمة الله المعلنة في الكتاب المقدس ألا يجب علينا ان نعترف بخطايانا بقلب منسحق متخشع امام خالقنا قائلين: «أيا رب الارباب البار القدوس ان الطهارة التي انت تريدها ليست فينا ولذا نحن يا رب نستحق غضبك والموت الابدي فطهرنا ؟ »

اما كون الله يعاقب الخطاة على خطاياهم فقضية مسلمة. اولاً لان التجارب والاختبارات تؤيد ذلك . ثانياً لان شهادة الضمير تؤيده ايضاً. ثالثاً لان كلمة الله تصرح بهذه الحقيقة كما في هذه الآيات (حزقيال ١٨:٢٠ وبشارة متى ٢ :٣٦ و٢٥:٤١ ورسالة رومية ١:١٨ و٢:٨ و٩ ورسالة كولوسي٣:٢٥ورسالة تسالونيكي الثانية١:٩) يتصور بعضهم ان الله يغفر للمذنبين ذنوبهم بدون ان يعاقبهم استناداً على كونه رحيماً ورحمته غير متناهية الا ان هذا محال ادبياً الا بتدبير طريقة لتكريم

شريعته ووفاء مطاليبها واما ان غفر الذنوب بدون ان يقضي حق حرمة شريعته فلا يكون عادلاً وحقاً ان رحمته ومحبته غير محدودتين ولكن لا تنس ان عدله وقداسته غير محدودتين كذلك فيستحيل عليه ان ينظر بعين الرضى الى فاعل الشر

وعدا ذلك فان الخطية بطبيعة الحال لعنة وقصاص لفاعلها ولا يمكن ان يكون سعيداً لا في هذه الدار ولا في الدار الآتية لان الانسان الشهواني مثلاً لا يعرف للسعادة الحقيقية معنى حتى هنا لان الخطية تنزل طبيعة الانسان الى الحضيض فيصير قاسياً جباناً محباً للذات دنيئاً نذلاً متباعداً عن حضرة الله القدوس مصدر السعادة وينبوع السلام والسرور قال المسيح «ان كل من يعمل الخطية هو عبد للخطية» (بشارة يوحنا ٨:٣٤) واعظم قصاص يقع على الخاطئ بقاؤه في حالة الخطية وذلك نصيب الذين اصروا على تفضيل الظلمة على النور والشر على الخير وابليس على الله (بشارة يوحنا ٣:١٩ وسفر الرؤيا ١٢:١١)

ولاحظ ايضاً انه من رحمة الله ومحبته ان لا يترك الانسان يخطئ بلا عقاب لانه ان علم الانسان انه ان اخطأ لا يعاقب يتهور في الخطية ويغوص في بحر الفساد الى ما لا قرار له فتسوء حاله وتبلغ

تعاسته جداً لا يوصف وتكون حياته ويلاً لنفسه وقومه فاين هذه النتائج المحزنة المدمرة من رحمة الله ومحبته

ويتضح ان التعدي على شريعة الله موجب للعقوبة والا فلماذا انزل الله الشريعة الادبية ولماذا كتبت في الاسفار الالهية ولماذا كتبها على قلوب البشر؟ لا يقدر ذو عقل سليم يتصور ان عبيد الله العصاة والطائعين متساوون عند الله ويعاملهم معاملة واحدة

وحيث ان كل الجنس البشري اخطأ ما عدا واحداً فوجب علينا جميعاً القصاص ولا قدرة فينا نحن معاشر الخطاة ان نرضي الله او ان نكفر عن خطايانا وننال غفرانه تعالى ونحصل على المصالحة معه ثم اننا لا نحتاج فقط الى نجاة من القصاص بل بالاكثر نحتاج ايضاً الى واسطة نخلص بها من قوة الخطية ومحبتها فالقصاص حسن ونافع للخاطئ وفي الغالب يقوده الى التوبة فلذلك الخطية موجبة للقصاص دائماً. فنحتاج الى طريقة بها نخلص من نتائج الخطية الابدية التي تحول بيننا وبين الله وتنفينا من حضرته المقدسة وتسقطنا من محبته وعنايته الابوية وتحفظنا من ان نكون على صورة ابليس عقلاً وقلباً واذا لم نحصل هذا الخلاص نخير لنا ان لا نوجد. فكيف اذاً نجد طريقة الخلاص؟اذا كان الانسان في حالته الساقطة الحالية لا يمكنه

ان يتم شريعة الله فمن اين له ان يكفر عما مضى ويصالح الله تعالى. حقاً ان اعماله الحسنة لا تستوجب اقل مكافأة فضلاً عن كونها غير مقبولة بالمرة. كيف يقبل الله شيئاً من يد مدنسة ومن قلب فاسد؟ وليس فقط اعمال الانسان ولكن حتى كلماته وافكاره مدنسة بالخطية فكيف يمكن لنا مع عدم اتمامنا الواجب لله وللقريب اننا باعمالنا الحسنة نستحق مغفرة خطايانا؟ وذلك محال. ولو فرضنا انه وجد رجل لم يخطئ قط فلا يكون الا انه قام بالواجب وليس للقائم بالواجب فضل (بشارة لوقا ١٧:١٠) ولا يمكنه ان يشفع بواجبه لنفسه او لغيره. ويعلمنا الكتاب المقدس ان شريعة الله تكلفنا ان نكرس له تعالى حياتنا بجملتها تكريساً تاماً (متى ٢٢:٣٦—٤٠) وعليه فان اخطأنا الى الله يوماً ما فليس في وسعنا ان نعوض ما فاتنا في المستقبل.

ويظن بعضهم بحماقة وجهل انهم عبدوا الله اكثر مما فرض عليهم وهذا منتهى الغباوة كما هو غني عن البيان وبالرغم عن دعاويهم الباطلة عند ما يخلون الى انفسهم لا يقدرون ان يقنعوا ضمائرهم انهم مبررون في عين الله وكثيراً ما تبكتهم قلوبهم بآلام مرة وتخيفهم من هول العقاب بعد الموت حتى يقضوا الجانب الاوفر من حياتهم معذبين في خوف الموت ويموتوا في عذاب شديد. ولنضرب لك مثلاً وهو

ما حكاه ابن خلكان في كتابه وفيات الاعيان عن ابي عمران ابرهيم بن يزيد «لما حضرته الوفاة جزع جزعاً شديداً. فقال واي خطر اعظم مما انا فيه انا اتوقع رسولاً يرد علي من ربي اما بالجنة او بالنار والله لوددت انها تلجلج في حلقي الى يوم القيامة» وبالطبع كان ذلك من خوفه مما بعد الموت .

وكذلك لا تكفي التوبة لمحو خطايانا نعم ان توبتنا عن خطايانا ضرورية الا انها لا تكفر عن ما مضى من آثامنا. فلذلك التوبة ليست كافية لخلاصنا . ويجب ان نلاحظ ان المتعدي على الشريعة البشرية لا تمحو التوبة عنه ما جناه فهل اذا قال قاتل او لص للقاضي انه تاب عن فعلته فهل يعدل القاضي اذا اطلقه حراً. لا شك ان ذلك مخالف للعدل لدى افكارنا الطبيعية. وحيث ان هذا الفكر عن العدل هو جزء من الناموس الادبي الذي نقشه الله على صفحات قلوبنا فلا بد ان يكون صحيحاً: ويوجد كثيرون تقست قلوبهم لدرجة لا يمكنهم معها التوبة اذا ارادوا

ها قد رأينا انه لا يمكن خلاص انفسنا باعمالنا ولا بعقوبتنا على الخطية ولا من نتائجها الاخرى. وبالاحرى لا يمكننا ان نتخلص من محبة وقوة الخطية ونحصل على المصالحة مع الله بواسطة استحقاق فينا.

فاذا لم يوجد مخاص يكفر عن خطايانا نبقى الى الابد منفيين من حضرة الله ولا يمكن لنا ابداً ان نحصل على السعادة الابدية التي يرغبها كل البشر .

وقد بينا انه اذا وجد مخاص يمكنه ان يكفر عن الخطايا ويحرر اسرى الخطية ويجعلهم طاهرين في عين الله العادل القدوس فذلك المخاص لا يكون مجرد انسان مولوداً مثل البشر وارثاً طبيعة آدم الفاسدة خاطئاً كغيره.فلا يمكن لخاطئ ان يخاص خطاة وحيث ان كل البشر خطاة فليس منهم من يقدر ان يكفر عن البقية. وجاء في الزبور ان «الاخ لن يفدي الانسان فداء ولا يعطي الله كفارة عنه» (مز ٤٩:٧) حتى وليس من يقدر ان يخاص اخاه من موت الجسد فكم بالاحرى لا يمكن لشخص ان يفدي الآخر من الموت الابدي .

ومع ذلك إذا وجد مخاص فيجب ان يكون انساناً والا فلا يصح ان يكون نائباً عنا وواحداً منا ولا رئيساً للبشر ولا يمكننا ان نقتنع بإخلاصه ونفهم محبته لنا . ويجب ان يكون ارقى من الذين يخاصهم في طبيعته وقدره وفي الوقت نفسه يشاركهم في طبيعتهم. ويجب ان يكون خالياً من الخطية ويتم شريعة الله تماماً. فان لم يوجد مثل هذا المخاص فقد هلك كل العالم ولا رجاء لهم ولا يمكنهم الوصول الى

السعادة والقداسة التي يشتاق اليها كل مخلوق .

ولكن هل يوجد مثل هذا المخلص؟ اذا رجعنا الى الكتاب المقدس نرى انه موجود. فالعهد القديم يتضمن الوعد بمجيئه والجديد يخبرنا كيف جاء. فقد شهد الانبياء والرسل بانه المخلص الوحيد الحقيقي من الخطية وقد قدم لله كفارة كاملة وشفاعة تامة عن خطايا كل العالم (١ يوحنا ٢:١ و٢) ولذلك فهو قادر ان يحصل على غفران خطايانا .

هذا المخلص هو الرب يسوع المسيح الذي بواسطة قدرته وقداسته وبطاعته حتى الموت قد حمل خطية العالم وصار شفيع كل الناس فقد كفر عنا وصالح الانسان مع الله القدوس البار ونال الخلاص الابدي لكل المؤمنين الحقيقيين به . اذاً فهو يقدم لكل العالم مغفرة الخطايا والفرح الابدي .

فلهذا نشترك مع الرسول بقلوب ملأى بالشكر في قوله «وملك الدهور الذي لا يفنى ولا يرى الاله الحكيم وحده له الكرامة والمجد الى دهر الدهور (١تيموثاوس ١٧:١)

لان الله المحب المحيي ارحم الراحمين من محبته ورحمته الغير متناهيتين قدم لنا نحن الخطاة فداء عظيماً وخلاصاً مجيداً بالرب يسوع المسيح . آمين .

الفصل الرابع

في الطريق الذي عمله يسوع المسيح لخلاص كل الناس

والآن بالاتكال على هداية وبركة القدير نتقدم لشرح كيفية الخلاص الذي صنعه الرب يسوع لبني البشر وذلك بناء على ما ورد في اسفار العهد القديم والعهد الجديد مع العلم بان كثيراً من طرق الله العجيبة تخفى عن عقولنا المحدودة حيث اننا لا نقدر أن نعلم شيئاً من المقاصد الالهية الا ما شاء ان يعلنه لنا وبما انه منحنا عقولاً للفحص والتحري فيجب ان نستعملها في ما يعود بالمجد لذاته العلية. واذ انعم علينا باعلان طريق الخلاص فيسره تعالى ان نتأمل في اعلانه باحترام الى ان نفهم ما استطعنا فهمه بحسب عقولنا القاصرة (١تس٥:٢١) ولا يتوقف خلاصنا على مقدار ذكائنا بل على حقيقة ايماننا بمخلص العالم

ان الله تقدس اسمه من فيض محبته وكثرة رحمته تعطف علينا فاعد خلاصاً للخطاة بواسطة ربنا يسوع المسيح كما هو واضح في اسفار العهد الجديد ومن امثلة ذلك ما ورد في (لوقا١٩:١٠ ويو٣:١٦ و٢كو ٥:١٩ و٢١ و١تي ١:١٥ و١ بط ٢:٢١—٢٤ وايو٢:١٢ و٤:٩ و١٠) اما كون الخلاص قد تهيأ بهذه الكيفية فهو حقيقة راهنة. فيلزمنا

الآن ان نجتهد لنفهم طريقة الوصول الى الخلاص بالمسيح وكيف صح ان تسند اليه تلك الالقاب العالية في هذه الآيات وغيرها مما يؤكد لنا سمو طبيعته وانه متوفرة فيه الشروط المذكورة في خاتمة الفصل الثالث

وتخبرنا الكتب المقدسة ان الله بحسب محبته الغير المحدودة ورحمته الغير المتناهية قصد من الازمنة الازلية ان يصنع هذا الخلاص (انظر افسس ٣:٢ و١ بط ١:١٨—٢١ ورؤ ١٣:٨) لذلك انبأ من قبل على ألسنة انبيائه في العهد القديم مبيناً السبط والبيت الذي يخرج منه المخلص وزمان ظهوره والكيفية التي يباشر بها خدمته بين الناس كما انه انبأ برتبته وطبيعته وجميع متعلقات عمله الفدائي العظيم حتى انه منذ العصور الاولى اي من قبل ظهوره بمئات من السنين علم بعضهم بهذه المواعيد المباركة وآمنوا بها وانتظروا بفرح واشتياق ذلك المخلص العظيم. ومنهم آدم ابو الجنس البشري فانه علم من الله بقدوم المخلص وانه سيكون قديراً بحيث يستطيع ان يسحق رأس الحية بمعنى انه يستطيع ان يظفر بابليس ويعتق الانسان من نير عبوديته ومن الخطية (انظر تك ٣:١٤ و١٥) وقد رأينا في الفصول الماضية ان الله وعد ابرهيم انه بنسله تتبارك جميع قبائل الارض (تك ٢٢:١٨) وتشهد

اسفار العهد الجديد ان ذلك النسل انما هو المسيح (غل٣:١٦) ثم انبأ على لسان موسى ان ذلك المخاص يكون نبياً عظيماً يقوم من وسط اسرائيل (تك ١٧:١٩ و٢١ و٢٨:١٤) وانه يعلم الشعب طريق الله وارادته (تث ١٨:١٥ و١٨ و١٩) واما كون هذا النبي العظيم هو المسيح فقد صار امراً معلوماً بشهادة ذلك الصوت الصادر من السماء يأمر الناس بالاستماع اليه (مت ١٧:٥ ومر ٩:٧) وهذا على وفق قول الله لموسى ان الانسان الذي لا يسمع لما يتكلم به ذلك النبي فهو تحت طائلة قصاص صارم بالضبط

ثم جاء داود وتنبأ عن هذا المخاص وانه سيأتي من ذريته ويدوم ملكه الى ما لا نهاية (٢صم ٧:١٦ ومز ٨٩:٣ و٤ و٢٧ و٢٨ و٢٩ و٣٥ و٣٦ و٣٧ واش٩:٦و٧ و١١:١ وار ٢٣:٥ و٦ و٣٣:١٥ و١٦ و١٧و٢٠ و٢١ و٢٥ و٢٦ قابل ذلك بما ورد في يو ١٢:٣٤)

وجاء في تك ٤٩:١٠ ان المملكة لا تزول من سبط يهوذا حتى يأتي شيلون وهذا الاسم من القاب المسيح .

ولد يسوع من نسل داود (مت ١:١ واع ٢:٣٠ و١٣:٢٢ و٢٣ ورو ١:٣) قبل التاريخ المسيحي المعروف بنحو اربع سنوات فيجب الاشارة هنا الى ان المؤرخين اخطأوا في تعيين الوقت الذي ولد فيه

المسيح بالضبط اذ اخذوا ذلك عن راهب يدعى ديونسيوس الصغير كان معاصراً للملك جوستينيان وهذا الراهب اخر سهواً تاريخ ميلاد المسيح بضع سنوات غير انه لا بأس من ان نعتمد على هذا التاريخ المتداول فنقول ان هيرودس الملك العظيم مات قبل التاريخ المسيحي باربع سنوات وكان يسوع حينئذ لا يتجاوز عمره السنتين كما يظهر من مراجعة (مت ٢: ١٣) وعند ذلك انقسمت مملكة اليهود اربعة اقسام ملك على احدها المعروف باليهودية ارخيلاوس ابن هيرودس وفي السنة السادسة للميلاد خلعته الحكومة الرومانية ونفته من البلاد واصبحت اليهودية ولاية رومانية بعد ان كانت مملكة مستقلة وان كانت خاضعة للرومان ومن ذلك الزمن الى العصر الحاضر لم يكن لليهود ملك خاص وكان ذلك اتماماً لنبوة يعقوب بزوال قضيب الملك من يهوذا وان اليهود انفسهم اول المعترفين بذلك لانهم كانوا يصرخون عند صليب المسيح قائلين «ليس لنا ملك الا قيصر» (يو ١٩: ١٥) وهذا دليل صريح على اتيان المسيح ذلك الزمن .

ثم ان المكان الذي كان ينبغي ان يولد فيه المسيح سبق الانبياء به على لسان النبي ميخا (مي ٥: ٢) ومما هو جدير بالالتفات في هذه النبوة الاشارة اللطيفة الى سمو مقام المسيح عن بني البشر اذ قيل عنه

«ومخارجه منذ القديم منذ ايام الازل» وقد ولد المسيح حيث انبأ هذا النبي (مت ٢: ١ و٥ و٦) واما انه يولد من عذراء فقد دل عليه (تك ٣: ١٥) زاده دلالة (اش ٧: ١٤) وتم بالفعل كما في مت ١: ١٨ — ٢٥ ولو ١: ٢٦ — ٣٨ وصادق عليه القرآن كما في سورة الانبياء آية ٩١ وسورة التحريم آية ١٢ ومن جهة تعليمه واتضاعه وآلامه وموته وايضاً الكفارة التي كان قاصداً ان يقدمها لفداء بني البشر كل ذلك سبق التخبير به قبل زمنه على السنة الانبياء ونخص بالذكر منهم اشعياء النبي كما ترى في اش ٤٢: ١ — ٩ و٦١: ١ — ٣ (قابل ذلك مع لو ٤: ١٧ — ٢١ واش ٥٢: ١٣ — ١٥ وص٥٣ ومز ٢٢) وكذلك الوقت الذي كان مزمعاً ان يموت فيه قد تنبأ عنه دانيال النبي وبينه بوضوح كما ترى في (دا ٩: ٢٤ — ٢٦) فانه يحسب من وقت خروج امر ارتحشستا ملك الفرس بتجديد اورشليم وبنائها الى المسيح سبعة اسابيع واثنان وستون اسبوعاً وصدر ذلك الامر في السنة السابعة من حكم ارتحشستا (عز ٧: ١ — ٧) اي سنة ٤٥٨ ق م فان حسبنا تلك الاسابيع اليوم بسنة واضفنا اليها الاسبوع الاخير الذي قيل ان المسيح يقطع فيه وجدنا اتماماً عجيباً لنبوة دانيال اذ تبلغ تلك المدة ٤٩٠ سنة وهي توافق سنة ٣٢م وقد مات المسيح حوالي ذلك الوقت وعلى الارجح سنة ٢٩

او ٣٠ م والخراب المنذر به ان يلحق مدينة اورشليم وهيكلها (دا ٩: ٢٥و٢٦و٢٧)وقع عليها بعد موت المسيح بنحو اربعين سنة اي سنة ٧٠م حينما هدمها تيطس القائد الروماني كما هو مدون في تاريخ يوسيفوس وغيره من المؤرخين الذين اصبحت اخبارهم مصدقة لما انبأ به المسيح (مت ٢٤: ٢١—٢٨ ومر ١٣: ١—٢٣ ولو ٢١: ٥—٢٤) والضيقة التي كابدها اليهود في تلك الايام (مر ١٣: ٢٤) لا زالوا يكابدونها اليوم فانهم متفرقون على وجه الارض يذوقون اصناف العذاب والمسلمون انفسهم مشاهدون لما يحل بهم من النكبات ليس في بلادهم فقط بل وفي غيرها كروسيا ولم تتم بعد «ازمنة الامم» منذ استيلائهم على اورشليم الى الآن (لو ٢١: ٢٤) اذ هم يمتلكون الى الآن اورشليم.

وفي اسفار الانبياء شيء كثير من النبوات عن هذه الامور مثل قيامة المسيح وصعوده الى السماء وجلوسه عن يمين الله ومن امثلة ذلك ما ورد في (مز ١٦: ١٠) بالمقابلة مع ما ورد في اع ٢: ٢٢— ٣٦ ومز ١١٠: ١ ودا ٧: ١٣ و١٤ وتنبأ دانيال ايضاً بان مملكة المسيح ستتأسس في ايام سيادة المملكة الرابعة اي المملكة الرومانية (دا ٧: ٢٣) كما زالت المملكة الرومانية وتمت فيها نبوة دانيال (انظر دا ٢: ٣٤و٣٥و٤٤و٤٥و٧: ٧ و٩و١٣و١٤و٢٣ و٢٧) اما الممالك الاربع المشار

اليهـا فهي مملكة بابل والفرس واليونان والرومان (دا ٢:٣٧—٤٥ و٨:٢٠ و٢١)

ولما بلغ المسيح ثلاثين سنة من عمره (لو ٣:٢٣) اخذ يكرز بالبشارة كما يوضحه لنا الانجيل ويجول يصنع خيراً فعمل معجزات باهرة شفى مرضى،اخرج شياطين،وهب البصر للعميان،والسمع للصم، طهر البرص وجعل العرج يمشون،وجاءذلك موافقاً لما تنبأت به عنه انبياء العهد القديم (انظر اش ٣٢:١—٥و٣٥:٣—٦و٤٢:١—٧و٦١: ١ و٢ بالمقابلة مع مت١١:٤ و٥و١٢:١٧—٢١ و٢١:١٤)(انظر سورة آل عمران آية ٤٣) ومع انه كان له هذا السلطان العظيم الذي به فعل المعجزات الباهرة لم يعمل معجزة واحدة لفائدته الشخصية ولا انتقم من اعدائه بل عاش فقيراً وضيعاً (مت ٨:٢٠) ولم يسع في طلب المجد والشرف الزائل قط.ولما ارادالشعب ان يتوجوه ملكاً عليهم (يو ٦:١٥) لم يقبل منهم ذلك وبالجملة كانت اعماله بلا لوم وبدت حياته المقدسة تظهر لكل ذي عينين الى ان قال مرة لمقاوميه من منكم يبكتني على خطية (يو٨:٤٦) وكل ماقالته عنه الانبياءالقدماء من حيث مجيئه الاول وحياته قد تم .

واختار المسيح من بين اليهود اثني عشر رسولاً هم الذين دربهم

وعلمهم الحق واوصاهم ان يعلموا الآخرين والاساس الذي بنى عليه تعليمه هو كونه ابن الله.وقال ما معناه ان تلك البنوة هي بمثابة الصخرة التي سيبني عليها كنيسته (مت ١٦ : ١٣—١٨) ولما عرف الرسل انه ابن الله وانه المسيح المنتظر اخذ يعلمهم درساً آخر عظيم الاهمية الا وهو انه ينبغي له ان يصلب ويقوم من بين الاموات لخلاص الجبلة البشرية (مت ١٦ : ٢١ ومر ٨ : ٣١ ولو ٩ : ٢٢). وكلما دنت ساعة آلامه زادهم ايضاحاً بانبائهم عن موته والكيفية التي يموت بها (لو ١٨ : ٣١—٣٤) وقال لهم مرة بانه سيحتمل تلك الآلام ليس مرغماً بل بارادته حباً ببني البشر حتى يمنحهم حياة ابدية (يو ٦ : ٥١ و١٠ : ١١—١٨) اذا قبلوا هبة الله (رو ٦ : ٢٣) اي ان المسيح من اجل محبته الفائقة لبني آدم ورغبته في خلاصهم من خطاياهم سمح لليهود ان يقبضوا عليه ويسخروا به ويلكموه ويسلموه ليد الحاكم الروماني بيلاطس والي اليهودية للجلد والصلب (مت ٢٦ : ٤٧—٢٧ : ٥٦ ومر ١٤ : ٤٣—ص ١٥ : ١—٤١ ولو ٢٢ : ٤٧—ص ٢٣ : ٤٩ ويو ١٨ : ١—ص ١٩ : ٣٧) ويوافق ذلك ما تنبأ به داود في مز ٢٢ واش ٥٢ : ١٣ — ص ٥٣ : ١٢ منذ مئات من السنين

وحكم بيلاطس على المسيح بالموت كمجرم مع انه شهد له انه بار (مت ٢٧ : ٢٤) وجرت العادة عند اليهود في ذلك الزمان ان

يطرحوا جثث القتلى المجرمين في موضع يدعى وادي ابن هنوم خارج اسوار اورشليم للحريق او طعاماً للوحوش الا انهم لما صلبوا المسيح اخذ جسده تلميذ متخفٍّ يدعى يوسف من الرامة رجل غني بموجب اذن من الوالي ودفنه في قبره الجديد الذي كان اعده لنفسه (مت ٢٧ ٥٧—٦١ ومر ١٥: ٤٢—٤٧ ولو ٢٣: ٥٠—٥٦ ويو ١٩: ٣٧—٤٢) وكان ذلك على وفق نبوة اشعياء بالضبط (اش ٥٣: ٩) حيث يصرح بانه وان يكن اليهود قصدوا ان يدفنوه مع الاشرار لانهم احصوه من جملتهم غير انه عند موته دفنه ذلك الرجل الغني في قبر على حدته وعلى ذلك قوله «وجعل مع الاشرار قبره ومع غني عند موته»

وكان قد تنبأ المسيح عن نفسه انه يقوم من الموت في اليوم الثالث (مت ١٦: ٢١ و١٧: ٢٣ و٢٠: ١٩ ولو ٩: ٢٢ و١٨: ٣٣ و٢٤: ٧ و٤٦) وقد كان كما قال (مت ٢٨: ١—١٠ ومر ١٦: ١—٨ ولو ٢٤: ١—٤٣ ويو ص ٢٠ و١ كو ١٥: ٤) وهذا يوافق نبوة داود في مز ١٦: ٩ و١٠ وظهر بعد قيامته مراراً كثيرة لتلاميذه مدة اربعين يوماً (اع ١: ٣) وعلمهم ان جميع ما حدث له لم يحدث اتفاقاً بل حسب مقاصد الله الازلية التي اعلنها لانبيائه القديسين منذ الدهر وعلمهم ما الغرض من آلامه وموته وقيامته (لو ٢٤: ٢٧ و٤٤—٤٩) ثم فوض اليهم ان يتلمذوا

له جميع الامم (مت٢٨: ١٨—٢٠واع ١: ٨) و بعدهذا صعد الى السماء بمرأى منهم لو ٢٤: ٥٠و٥١ واع ١: ٩متقلداً الملك الى ما لا نهاية كما انبأ دانيال (٧: ١٣و١٤و٢٧) وليملأ الارض من معرفة الرب كما كتب اشعياء (١١: ١—٩ وقد ترك لهم وعداً برجوعه منتصراً انظر مت ٢٤: ٣٠و٣١و٢٥: ١٣—٤٦ ومر ١٣: ٢٦ ولو ٢١: ٢٧ ويو ١٤: ١—٣ واع ١: ٢ و١١ ورؤيا ١: ٧و٢٠: ١١—ص٢١: ٨)

وحيث انه قد تم في شخص المسيح جيع ما انبأت به الانبياء من قديم الزمان من جهة مجيئه الاول وعمله وموته كفارة عن خطايا العالم الى غير ذلك فيكون بالحقيقة مخلص العالم الذي علق عليه ابرهيم رجاءه (يو ٨: ٥٦) وشهد له جميع الانبياء.وعدا ذلك لا يبرح من بالك ان اتمام هذه النبوات برهان قاطع على ان اسفار العهد القديم موحى بها من الله لانه من ذا الذي يعلم بالحوادث قبل وقوعها بمئات من السنين الا علام الغيوب ؟ ولا تدع الشك يخالج صدرك وتقول ربما وفقت النصارى بين نبوات التوراة واخبار اتمامها في الانجيل لان ذلك ضرب من المحال بدليل ان اسفار التوراة محفوظة بايدي اليهود و بلغتهم الى اليوم كما هي عند النصارى.واعلم ان اليهود ولو انهم رفضوا المسيح لم يتجاسروا ان يمسوا جملة او كلمة واحدة من تلك النبوات

العديدة المشيرة اليه التي تدينهم في اليوم الاخير على قساوتهم وعدم ايمانهم.

ومما تقدم علمنا ان طبيعة المسيح وعظمته ظاهرة بوضوح حتى في اسفار العهد القديم (انظر مز ٢:٧ ومز ٤٥:٦ ومز ٧٢ ومز ١١٠:١ واش ٦:١ — ١٠ مع يو ١٢:٤٠ و٤١ واش ٩:٦ و٧ وص ٢٥:٧ — ٩ وص ٤٠:١٠ و١١ وار ٣٣:١٦ وي ٥:٢ ومل ٣:١ وص ٤:٢ الخ) وبناء على ما جاء في سفر ميخا وهو قوله «مخارجه منذ القديم منذ ايام الازل» (مي ٥:٢) يكون حقاً ما قاله المسيح عن نفسه «قبل ان يكون ابرهيم انا كائن» (يو ٨:٥٨) ولاحظ هنا انه اسند الى نفسه هذه الصفة «كائن» وهي من اخص واشهر اسماء الله (خر ٣:١٤) ومن هنا نعلم انه هو بنفسه الذي دعا ابرهيم من بابل وانزل التوراة على موسى وبعث الانبياء والرسل. وعليه فلا تحسب ان الانجيل يرفع مقام المسيح اكثر مما ترفعه التوراة بل كلا العهدين يتفقان على عظمة ذاته وسمو صفاته راجع هذه الشواهد (مت ٣:١٦ و١٧ و١٦:١٥—١٧ و١٧:١—٨ و٢٦:٦٣ و٦٤ و٢٨:١٨ ولو ١:٣٢ و٣٥ ويو ١:١—٣ و٩—١٨ و٥:١٧—٢٩ و٨:٢٣—٢٩ و٤٢ و٥٦—٥٨ و٩:٣٥— ٣٧ و١٠: ٢٧—٣٨ و١٤:٩—١١ و١٦:١٢ — ١٥ و٢٨ و١٧:٥ و٢١ وكو ١:١٢ —٢٣ وفي ٢:٥—١١ وعب ١ ورؤ ١:٥—١٨ و٢١:٦—٨ و٢٢:١٣ و١٦)

وعلى ما تقدم اذا رفض اخواننا المسلمون دعوتنا اياهم ان يقبلوا المسيح مخلصاً لهم (يو ٥: ٤٠) يكون من الاسباب الداعية لهم الى الرفض عدم تصديقهم ذات كلامه الذي قاله عن نفسه والذي قالته عنه الانبياء السالفون .

ثم يجب ان لا ننسى انه من المحال ان يخلص المسيح العالم من الخطية ومن بغضهم لله لو كان مجرد مخلوق من مخلوقات الله ولو كان رئيس الملائكة لان الخلاص يتوقف على الثقة الكاملة فيه وقد استحق هو هذه الثقة بما اعلنه عن حقيقة شخصه وما شهدت به له اسفار العهد القديم والجديد .

فليس الاعتقاد بلاهوت المسيح اذاً فساداً لحق النصرانية بل هو جوهر الدين الحق. لانه لو فرضنا ان المسيح بسموه كان مخلوقاً لا يمكن ان يتخذ صلاحه وآلامه من اجلنا دليلاً على محبة الله لنا بل بعكس ذلك تخالجنا الشكوك في محبة الله العظيم ونعمته لانه اسلم افضل مخلوقاته واكرمها ليقاسي هكذا آلاماً واحزاناً. ولكننا ان قبلنا تعليم الكتاب المقدس واعترفنا ان «الله كان في المسيح مصالحاً العالم لنفسه» (٢كو ٥: ١٩) واقتنعنا انه هو والله واحد (يو ١٠: ٣٠) حينئذ يتيسر لنا ان نفهم الى حدٍ ما حقيقة تعليم الثالوث ومحبة الله العظيم لنا

واعتنائه بنا[١]. فحينئذ نرى ان البشارة وجوهر الكتاب المقدس كله متضمن في هذه الآية (يو ٣:١٦) التي تحتج الى قلوبنا وضمائرنا احتجاجاً لا يقاوم فتجذبنا الى محبته وتخصيص ذواتنا لخدمته لانه احبنا اولاً (١ يو ٤:٩)

غير ان تسمية المسيح في هاتين الآيتين بابن الله كان حجر عثرة في طريق كثير من المسلمين فتصدعت قلوبهم وانصرفت عن النظر الى محبة الله المعلنة فيهما. وذلك لانهم ظنوا ان هذه التسمية مخالفة على خط مستقيم لما ورد عندهم في القرآن في سورة الاخلاص. والحقيقة هي انهم اساءوا فهم ما عناه الانجيل بهذه التسمية. فاننا معشر المسيحيين ننكر بملء افواهنا ان الله اتخذ ولداً بالمعنى الذي انكره القرآن اي انه لم يتخذ صاحبة ولا ولداً. ومَن من النصارى يتجاسر ان يجدف على الله بهذا المقدار حتى ينسب اليه تعالى التناسل الحيواني كما زعم الوثنيون والجاهلية من العرب الذين جعلوا لله بنات تعالى الله عن زعمهم. ومع ذلك قد تسمى المسيح في الانجيل ابن الله لا ولده والفرق بين الابن والولد ظاهر لان كلمة ابن كثيراً ما تستعار لمعنى مجازي واما كلمة ولد فلم تستعمل الا بحسب وضعها .

---

(١) انظر الفصل الآتي

واعلم ان الكتبة المسيحيين الذين كانوا قبل الهجرة بمئات سنين قد انكروا كل الانكار قول الوثنيين المذكور وبينوا المعنى الحقيقي المتضمن في كون المسيح ابن الله فان كاتباً من اوائل القرن الرابع اي قبل الهجرة باكثر من ثلثمائة سنة اسمه لاكتنتوس قال ان سمع احد هذه العبارة «ابن الله» فلا يخطرنّ على باله هذا التصور المتناهي في الفظاعة اي ان الله انتج ولداً بزواجه واتحاده بانثى فان فعلاً كهذا لا ينطبق الا على ذوي الاجساد الحيوانية ولكن الله روح غير محدود وهو واحد فبمن يتحد ؟ فهذه البنوة خاصة لا عامة ازلية لا حادثة تدل على وحدة الجوهر بين الآب والابن .

على ان المسيح لم يتسم بابن الله فقط بل تسمى بكلمة الله ايضاً كما في يوحنا ١:١و١٤ ورؤ ١٩:١٣ (قابل لقب كلمة الحياة ١يوحنا١:١) والاسمان كلاهما يؤديان ذات المعنى الا ان الاسم الاول استعمل اكثر لسببين (١) لافادة البسطاء وهم الاكثر الذين لا يقدرون ان يفهموا الاسم الثاني «كلمة الحياة» (٢) لتنبيه افهامنا الى شخصية او اقنومية ذلك الكائن المسمى بابن الله والى المحبة العظيمة بين اقانيم اللاهوت (قابل يو ١٥:٩ و١٠ مع ١٧:٢٣ و٢٦)

ومع هذا كله فانه لا الاسم الاول ولا الثاني كاف لايقافنا على

كنه مسماهما بل اللغة كلها عاجزة عن التعبير عن ذات ذلك الكائن العجيب الا اننا لسنا مخطئين اذا استعملنا للدلالة عليه ذينك الاسمين اللذين دونهما الكتبة الاطهار بالهام روح الله القدوس. لان العلاقة بين اقنوم وآخر من اللاهوت فوق عقولنا كما ان البحر العظيم لا يمكن ان ينحصر في اناء. ولكن قليل من مائه يطلعنا على طبيعته ومثل ذلك تسمية المسيح «بابن الله «وكلمة الله» نستدل منها حسبما يستطاع على طبيعته الالهية ووحدانيته مع الآب (يو ١٠:٣٠)

وعليه فبالايمان فقط بما قاله المسيح في هذا الصدد نقدر أن نفهم تعليم الكفارة وطريق الخلاص بالمسيح الذي قال «ليس احد يأتي الى الآب الا بي» (يو ١٤:٦ بالمقابله مع اع ٤:١٢)

ثم ان العهدين القديم والجديد لا يتفقان كلاهما على وصف المسيح بالاوصاف الالهية فقط بل يتجاوزان ذلك الحد حتى انهما يدلان على لاهوته بالقول الجلي الصريح فيسميانه «الله» ومن امثلة ذلك ما ورد في (مز ٤٥:٦ و٧ واش ٩:٦ ويو ٢٠:٢٨ و٢٩ ورو ٩:٥ وعب ١:٨ و١ يو ٥:٢٠)

من يقابل في هذه الآيات وامثالها باهتمام مشفوع بالصلاة يدرك ان تلك الالقاب الرفيعة العظيمة نسبت الى المسيح لا عن

سبيل المبالغة ولا المجاملة بل لاظهار حقيقة جوهرية ينبغي لبني البشر معرفتها. ولا يخفى على المسلم المطلع ان القرآن ايضاً قد يتفق مع التوراة والانجيل في تسمية المسيح «كلمة الله» وان اذن الله نفيض الشرح في هذا الصدد في كلامنا على الثالوث الاقدس .

وهنا نرجو القارئ الكريم ان يطرح التعصب الذي يغشى بصيرة الطالب فيعميه عن معرفة الحق جانباً لماذا لا يصدق المسلم شهادة التوراة والانجيل والقرآن وكلها تتفق على نقط هامة ومن بينها موضوعنا ان المسيح «كلمة الله» وان الله واحد .

اعلم ان «كلمة الله» اسم لمسمى او علم لاقنوم الهي كان من البدء اي من الازل عند الله وبه خُلق كل شيء (يو ١:١—٣) وقد صار انساناً وظهر بين الناس كواحد منهم (يو ١:١٤ وفي ٢:٥—١١) وكان يأكل ويشرب وينام ويستيقظ وشاطر الناس في احزانهم وافراحهم واختبر تجاربهم لكنه لم يخطئ بل لم يعرف خطيئة (عب ٤:١٥) قابل ٢٦:٧ و١ بط ٢:٢١—٢٥) فهو انسان تام ذو جسد ونفس وروح وذلك باجماع البشائر الاربع وبشهادته هو عن نفسه مراراً كثيرة انه «ابن الانسان» وهذا اللقب عدا دلالته على ناسوته يذكرنا بما تنبئ عنه في (تك ٣:١٥ ودا ٧:١٣) وفوق ذلك يذكرنا انه مخلص

الجبلة البشرية والوسيط الوحيد بين الله والناس وانه الانسان الكامل المعصوم من الخطيئة ·

كانسان صلى الى الله ابيه وصام الى غير ذلك مما لا يدع مجالاً للريب في ناسوته لكنه كما هو انسان تام هو اله تام ايضاً واكد لاهوته اذ دعا الله اباه مخبراً بانقياده له كابن ينقاد لابيه وانه مرسل منه كابن مرسل من ابيه قال «لاني قد نزلت من السماء ليس لاعمل مشيئتي بل مشيئة الذي ارسلني» (يو ٦:٣٨) وقال «الآب الذي ارسلني هو اعطاني وصية ماذا اقول وبماذا اتكلم» (يو ١٢:٤٩) وقال «ابي اعظم مني» (يو ١٤:٢٨) ومع ذلك دفع ما عساه يخطر على بال احد من ان لله شركاء باقوال قاطعة جازمة تفيد وحدانية الله (مر ١٢:٢٩ ويو ١٧:٣) ووحدانيته هو مع الله (يو ١٠:٣٠ و١٧:٢١) .

هذا المدعو «كلمة الله» «وابن الله» «وابن الانسان» «والرب يسوع المسيح» قيل عنه في التوراة «لكن احزاننا حملها واوجاعنا تحملها... مجروح لاجل معاصينا مسحوق لاجل آثامنا تأديب سلامنا عليه وبحبره شفينا» (اش ٥٣:٤و٥).وان كان بالطبيعة «كلمة الله» غير انه لم يبال بسمو طبيعته الالهية متخلياً عن مجده الاسنى الذي كان له عند ابيه قبل كون العالم (يو١٧:٥) «آخذاً صورة عبد صائراً في شبه

الناس واذ وجد في الهيئة كانسان وضع نفسه واطاع حتى الموت موت الصليب لذلك رفعه الله ايضاً واعطاه اسماً فوق كل اسم لكي تجثو باسم يسوع كل ركبة ممن في السماء ومن على الارض ومن تحت الارض ويعترف كل لسان ان يسوع المسيح هو رب لمجد الله الآب» (في٢:٧—١١) .

وان سأل سائل كيف يمكن ان تتحد الطبيعة الالهية بالطبيعة البشرية نقول«كيف يمكن ان تتحد في الانسان الروح بالجسد والباقي بالفاني فمهما يريده الله كلي القدرة الخالق العظيم الضابط الكل يكون» وعدا ما ذكر يعلمنا الانجيل ان العلاقة بين ناسوت المسيح ولاهوته علاقة الاتحاد فقط بحيث لم تتحول الطبيعة الواحدة الى الاخرى ولا امتزجت او اختلطت بها.حقاً ان علاقة كهذه تفوق عقولنا المحدودة ولا نعرفها الا من وحي الله في كلامه المقدس . وكان هذا الاتحاد في ناسوت ولاهوت المسيح لاتمام مقاصد الله الازلية بان يغمر الانسان بفيض نعمته منقذاً اياه من الهلاك والخطية وعبودية ابليس ويصالحه مع الله تعالى ويؤهله للتمتع بالسعادة الدائمة في حضرته.واذ فدانا يسوع بدمه من كل امة وقبيلة وشعب ولسان (رؤ ٥:٩) صار لنا اثناء حياة تضحيته التي عاشها على الارض مثال الكمال والطهارة

والقداسة كي نقتدي به ونتبع آثار خطواته (يو١٣: ١٥و١ بط٢: ٢١)

وقد يعترض بعضهم بقوله ألم يكن مستطاعاً لله ان يخلص الانسان من عذاب جهنم باجراء سلطانه المطلق ويعلن رحمته لمن يرحمهم بدون طريق الخلاص المعلنة في الانجيل أليس هو الذي يقول لما يشاؤه كن فيكون؛فالاجابة عن ذلك نقول ان هذا السؤال ناتج من سؤ فهم حالة الطبيعة البشرية واعوازها الروحية ومن عدم معرفة قداسة الله .

ان الخطية فضلاً عن كونها مضادة ومكروهة لطبيعة الله هي متلفة لطبيعة الانسان الاصلية الروحية التي كانت على صورة الله(تك ١: ٢٦و٢٧) والخطية تمنع بتاتاً امكانية تمتع الانسان بالسعادة الابدية الا اذا نجا منها . من السهل أن يذهب أهل النار الى الجنة بامر الله ولكن كيف يطهر القلب والعقل والضمير من ذلك البرص الخبيث الذي يزداد سريانه يوماً فيوماً.حقاً ان الخطيئة شر من البرص لانها برص الروح. الموت ينقذ الانسان من برص الجسد ولكنه لا ينقذه من برص الروح فمن اين تكون سعادة في الدار الاخرى لمن روحه برصاء اليس بالاحرى ان تشويه صورته وفساد هيئته يثير فيه عوامل الحزن والحسد حتى يبغض نفسه ويبغضه الآخرون وبالاحرى جداً

يبغضه كلي القداسة الذي يكره ويمقت الخطية .

واعلم ان شريعة موسى كانت تمنع الابرص بجسده أن يدخل محلة اسرائيل (لا١٣: ٤٥ و٤٦) أو يعاشر رفقاءه فكم بالاولى ممنوع من هو ابرص الروح والقلب ان يدخل فردوس النعيم ويتمتع بلقاء الله القدوس رب الارباب قال الكتاب « لن يدخلها شيء دنس ولا ما يصنع رجساً وكذباً الا المكتوبين في سفر حياة الخروف (رؤ ٢١ : ٢٧) وحتى برص الجسد يعجز المريض به ان يشفي نفسه منه وتعجز الاطباء ايضاً عن ذلك. أما المسيح فشفى كثيرين من المرضى به وهو قادر أن يطهر برص الروح ايضاً الا انه ما طهر قط ابرص بالرغم عن ارادته وكذلك لا يطهر ابرص الخطية بالقوة او بغير ارادته ان الرجل الذي لم يشبع من الانغماس في حمأة الفجور في هذه الحياة قدفسدت روحه واظلم ذهنه حتى لقد يصبح منتهى السعادة في اعتباره ان تكون الابدية اوقيانوس فجور يسبح فيه الى ما لا نهاية فمثل هذا مضروب بالبرص الروحي وان يسوع المسيح وحده هو القادر أن يطهر هذا البرص لكنه لا يفعله بغير ارادة المريض ولا يشفى منه الا اذا تاب توبة صادقة وآمن بالمسيح ايماناً صحيحاً وصرخ مع داود «قلباً نقياً اخلق في يا الله وروحاً مستقيماً جدد في داخلي» (مز ٥١ :١٠) فان

تطهير البرص الروحي عبارة عن تجديد القلب والروح من محبة الخطية ويعيدها الى جمال القداسة التي اتلفتها الخطية. وكيف يكون ذلك؟ يتم الله دائماً عمله بوسائط. وقد أخبرنا الكتاب المقدس عن الواسطة التي اختارها الله لاتمام غرضه بان شاء أن يعلن ذاته في شخص يسوع المسيح «كلمة الله» ويظهر محبته للناس بان يحمل آلامهم ويشاركهم في احزانهم بواسطة طبيعة المسيح البشرية التي مات بها على الصليب للتكفير عن خطاياهم حتى يجتذب قلوبهم اليه ويسبيهم بمحبته الفائقة كي يكرهوا الخطية ويثيروا عليها حرباً عواناً وحتى يتم لهم النصر الباهر. هذا ما يدعوه الكتاب بالطبيعة الجديدة التي تتولد في كل مؤمن حقيقي بيسوع هذا هو القلب النقي والروح المستقيم الذي لج في طلبه داود كما ذكرنا وعلى هذا المنهج يخلق الله الخاطىء من جديد وعلى ذلك قوله «ان كان احد في المسيح فهو خليقة جديدة» (٢كو٥:١٧)

لا نقدر نقول ان لا طريقة عند الله غير هذه لخلاص الجبلة البشرية من الخطية الا انه من المؤكد الذي لا شك فيه ان هذه هي الطريقة الوحيدة التي شاء الله ان يستعملها وشاء ان يعلنها في كتابه المقدس (مت١:٢١ويو١٤:٦) ولا يمكن وجود طريقة تجمع بين عدله ورحمته الا هذه .

وبما انه لم يفهم بعضهم تعليم الكفارة (رو٥: ١١) فيحسن بنا هنا ان نشرحه بايضاح مع ملاحظة الايجاز على قدر الامكان . نعني بالكفارة المصالحة بين الله والانسان. من المعلوم انه قد سقط الانسان من الحالة التي خلقه الله عليها وباجرامه بخطية آدم أولاً وبخطيته الفعلية ثانياً فقد الحياة الابدية ونفي من جنة عدن (تك٣: ٣) واعلم ان الحياة الابدية متضمنة في معرفة الله بواسطة المسيح (يو١٧: ٢) فلاجل اعادة تلك الحياة للذين فقدوها عليهم أن يقبلوها من الله واهب الحياة يسوع وعلى ذلك قوله «فيه كانت الحياة والحياة كانت نور الناس (يو١: ٤ و٥: ٢٦ وكو٣: ٤ و١يو٥: ١٢) وتعطى الحياة بالمسيح وحده لا سواه (اع ٤: ١٢) وكيفية ذلك كما نعلم من الانجيل انه يتحد بالمؤمنين وهم يتحدون به بالايمان كما تتحد أغصان الشجرة باصلها والاصل بالاغصان (يو ١٥ : ١—٦) وعلى هذا المنوال تجري فيهم طبيعته القدوسة وسجاياه الكاملة. وشبه ذلك الاتحاد بالاشتراك في جسده ودمه (يو٦: ٤٠ و٤٧ و٤٨ و٥١—٥٨ و٦٣) وكأنه اذ تسربل طبيعة البشر كانسان صار رأساً جديداً للجنس البشري أو بعبارة الكتاب آدم الثاني وروحاً محيياً ونائباً عن البشر (يو ١: ١٤ و١كو١٥: ٢٢ و٤٥) فالذين يتحدون به بالايمان (غل٢: ٢٠) يأخذون سلطاناً ان

يصيروا اولاد الله (يو ١: ١٢و ١يو٣: ١—٣و ٤: ٩) بفاعلية الميلاد الثاني الصادر من السماء بروح الله القدوس (يو٣: ٣و ٥) فنموت مع المسيح عن الخطية ونحيا به من جديد للبر (رو٦: ١—١١)

ولاجلما يخلص الانسان من الموت الابدي الذي تسبب عن الخطية كنتيجة طبيعية وعقوبة شرعية (تك٣: ٣وحز١٨: ٢٠ ورو ٦: ٢٣) يجب انه كما عصى وصية الله عن اختيار (تك٣) يطيعها تماماً باختياره ايضاً. واذ صار ذلك المسمى «كلمة الله» انساناً كاملا فقد تمم الوصية لانه أطاع حتى الموت موت الصليب (في٢: ٧و٨قابل رو٥: ١٩) وبموته الثمين عنا وهو لم يعمل خطية قط قدم حياته فدية عن كثيرين (اش ٥٣: ٥و٦ ومت٢٠: ٢٨ ورو٣: ١٥ و٤: ١٥ و٥: ٨—١١ و١بط ٢: ٢٤) يصح أن يقال ان المسيح حمل قصاص خطايانا (اش ٥٣: ٨) ولكنه لم يكن مذنباً لاننا نعلم انه ليس فيه خطية البتة (١يو٣: ٥) بل يصح أن يقال ايضاً وهو عين الواقع ان كل ما احتمله من الآلام كان بسبب خطايانا وبواسطة آلامه كل الذين يؤمنون به ايماناً حقيقياً يخلصون من الخطية ومن نتيجتها النهائية المزعجة التي هي البعد عن حضرة الله او الموت الابدي. فاذا كان المسيح مجرد انسان

كانت طاعته حتى الموت غير كافيـة لتخليص أحد غير نفسـه وما كان قادراً أن يمنح حياة روحية للغير .

واما اذا كان إلهاً كما هو انسان فيقدر ان يخلص ويمنح حياة ابدية لجميع الذين يؤمنون به (يو ٥:٢٦) ان الله لايموت ويستحيل ان يموت ولكن «كلمة الله» اذ صار انسانا جاز بحسب طبيعته البشرية ان يذوق الموت من اجل كل واحد (عب ٢:٩) وقد مات من اجلنا (رو ٤:٢٥ و٢٢٥و٦:١٠) وقام ثانياً منتصراً على الموت وكاسراً شـوكته (٢تي ١:١٠) بل وواهباً الحياة لـكل من يتحد به بالايمان (يو٣:١٦ و١١ : ٢٥ و٢٦)

وقد قلنا ان الله يكره الخطية حتماً لانه قدوس بالطبيعة ونحن لا سبيل لنا ان نغلب الخطية المكروهة منه الا باعلان محبته تعالى في المسيح يسوع الذي نحبه لانه احبنا اولاً (يو٣ : ١٦ و١يو ٤:١٩) وبهذه المحبة الحاضرة نستطيع أن نحبه و نعيش طبقاً لارادته بمساعدة نعمة روحه القدوس وهكذا نكون صالحين الى حد ما في هـذه الحياة وصالحين تماماً بعد الموت (٢كو ٥ : ١٤)

فبموت المسيح على الصليب نتحصل على فائدتين الاولى الخلاص من الموت الابدي والثانية النعمة التي بها نكره الخطية و ننتصر عليها

(رو٦:٥—١١ وغل ٢:٢٠ و٦:١٤ وكو٣:١—١٧ وايو١ : ٧) لانه قد افتدانا من عبودية الخطية (مت ٢٠:٢٨ و١كو١:٣٠ واف ١ : ٧ و١بط١:١٨—٢١) وقدم الكفارة الوافية الحقيقية عن الخطية(عب ٢:١٧ و١يو٢:٢ و٤ : ١٠) وتلك الكفارة هي التي كانت ترمز اليها ذبائح وقرابين العهد القديم .

وان ضميرنا الذي يبكتنا على خطايانا ويهددنا من حين الى آخر بغضب الله لهو دليل قاطع على عظم حاجتنا الى المصالحة مع الله واذ كنا في حد ذواتنا عاجزين عن تقديم الكفارة المرضية الكاملة قد كفانا الله مؤونة ذلك وقدمها هو عز وجل على حسابنا في شخص يسوع المسيح الذي هو انسان كامل كما هو اله كامل. ونعلم من موت المسيح مقدار فظاعة الخطية وسؤعاقبتها لانها أدت الى اعظم جرم تقشعر من هوله الابدان الى قتل ابن الله الوحيد وان محبة الذات والارادة كانت المحرك لآدم الى المعصية التي انتجت هذا الجرم العظيم. فيلزم تضحية الذات التي هي اصل الخطية وهذا ما فعله يسوع بموته على الصليب لانه ضحى ذاته وضحى مشيئته لحياة العالم. واعلم ان استحقاق موته الموجب للتكفير عن خطايانا لا يترتب على آلامه بالجسد وان كان بالغاً الحد بل على ذبيحة محبته غير المحدودة. تلك المحبة التي جعلت

القدوس يموت بمحض اختياره عن الاثيم الفاجر (يو١٠:١٧و١٨) فهو نائبنا الذي وفى عنا مطالب العدل الالهي القاضي علينا بحكم الموت (حز١٨ : ٢٠) .

فماهية ذبيحة المسيح هي في تسليمه نفسه بارادة حرة وتقديمه طاعة كاملة حتى الموت اكثر منها في حقيقة الموت ذاته .

وبالجملة تألم المسيح الى الحد الذي في وسعه أن يحتمله في ناسوته المتحد باللاهوت فلم يتألم في جسده فقط بل في ذهنه وروحه لان حزنه على خطايا الناس كسر قلبه المحب (يو ١٩ : ٣٤). واذ كان واحداً مع ابيه فقد استه ومحبته للناس قادتاه أن يشعر بفظاعة خطايانا اذ شاركنا في البشرية وأحس بهول اللعنة التي ينبغي ان تصدر من الله القدوس ضد الخطية ولهذا ذاق الموت من اجل كل واحد (عب٢:٩) بطريقة خاصة لا يمكن يعلمها إلا من كان قدوساً مز٢٢:١ ومت٢٧:٤٦ ومر ١٥:٣٤ وبهذه الكيفية اظهر الله محبته وعدله ورحمته مرة واحدة .

الذي مات على الصليب بناسوته كان الهاً تاماً كما كان انساناً تاماً وبما انه حمل خطايانا ومات عنا نحن الاثمة فالذين يتحدون معه بالايمان كاتحاد الاغصان بالكرمة (يو١٥ :٤و٥) ينالون غفران خطاياهم ويعتقون من خوف الموت (عب٢ : ١٤و١٥) لان شوكة الموت هي الخطية

(١كو١٥:٥٦) التي تلقي في قلوب غير المغفور لهم الرعب العظيم من غضب الله المخيف.واما كون ذبيحة المسيح حازت القبول عند الله فيدل عليه قيامته من الاموات وصعوده للسموات (رو١:٤ولو٢٢: ٥١) ليظهر امامه لاجلنا نيابة عنا (عب٩:٢٤) وعودته الى المجد الذي كان له عند أبيه قبل كون العالم (يو١٧:٥)

ولنشرح الآن بعض البركات الناتجة عن الكفارة التي قدمها يسوع اولاً : ان الله اكراماً له يغفر خطايا وتعديات المؤمنين به الحقيقيين (رو٥:٥—٢١ واف١:٣—٧ وعب١٠:١—١٥ و١يو١:٧) ثم لاجل المسيح يمنحهم نعمته الخصوصية ونور هدايته السماوية حتى يدركوا حالتهم الداخلية ويعرفوا معرفة عميقة الاله الحق ويملأ قلوبهم بمحبة من احبهم اولا بحيث يقدرون ان يحفظوا وصاياه ويثبتوا في حالة نقاوة القلب ويعرفون الحق(يو٨:٣١ ورو٥:٥ و٨:٥ و١كو ١:٤و٥ و٢كو٤:٦ واف١:١٥—٢٣ وفي٤:١٣ وكو٢:٣ وتي٢:١١— ١٤ وعب٩:١١—١٤) ومن فوائد الفداء ايضاً العتق من عبودية الشيطان ومن محبة الخطية والفوز بميراث السعادة الدائمة (رو٨:١٢— ١٧و٢تي١:٩و١٠وعب٢:١٤و١٥و١بط٢:٣ - ٩)

وحيث ان الخلاص مقدم في المسيح للخطاة فهو امر ثمين وعظيم

يطهر به الناس من نجاسات الخطية حينئذ يفتح الله لهم خزائن بركاته واحساناته فينير اذهانهم ويقدس قلوبهم وفي الختام يأخذهم الى فردوس نعيمه ليتمتعوا بالحياة الابدية. فقد ظهر الآن كالشمس في رائعة النهار ان تعليم الانجيل لمشبع لاشواق القلب مغن لطلبات النفس كما بينا في المقدمة وعليه يكون الكتاب المقدس كلام الله أوحي به لسعادة البشر.

فان سمع احد بشارة الخلاص ورفضها يكون ولا شك سبب رفضه عدم رغبته في التوبة عن الخطية وعدم معرفته حالة قلبه الاثيمة في اعتبار الله وان كان احد لا يكترث بالخطر الذي يسرع به للهلاك الابدي فهيهات يسعى في معالجة برصه الروحي بالدواء الذي وضعه طبيبنا العظيم

اما الانسان الحريص المحاذر من حالة قلبه الاثيمة يعلم ما للخطية من البغض في نظر الله القدوس ويشعر بهول الخطر الذي ينذره بالهلاك الابدي بسبب خطاياه. وبما انه غير قادر ان يكفر عنها من عند نفسه يبادر أن يسمع بشارة الخلاص الذي اقتناه المسيح بدمه الكريم من أجله ومن اجل كل الذين يؤمنون به . ان خبراً كهذا يلذ سمعه في اذنيه اكثر من اية بشارة أخرى على وجه الارض بشارة الخلاص المجاني بلسانٌ يشفي القلوب المكسورة من ثقل حمل الخطايا ومرهم

يعصب جروح النفس المزمنة. اذا احب المرء الخطية وكان متفانياً في حب الشهوات الجسدية لا شك انه يبغض النور المعلن في الانجيل كما يبغض الخفاش نور الشمس ويهرب من اشعتها الجميلة اللامعة الى مغائر الظلمة فمثل هذا جدير به ان يطرح في الظلمة الخارجية التي احبها اكثر من النور (يو ٣: ١٩—٢١).

ويستحيل عليه ان يفهم كثيراً أو قليلاً من الامور الروحية حتى انه يرى الانجيل كأنه جهالة وحماقة كما رآه هكذا قدماء اليونان (١ كو ١: ١٨—٢٥ و٢: ١٤) في حين ان الرجل الراغب في معرفة الحق بجدّ وعملَ ارادة الله تقع في نفسه بشارة الخلاص واعلان محبة الله موقع القبول والاستحسان وتفيض كينبوع حي يروي قلبه الظمآن في سفره في صحراء الحياة الدنيا.

ترى في طريق الخلاص قد اعلن الله محبة ورحمة مقترنة بعدل وقداسة بكل وضوح. اما محبته الفائقة فقد ظهرت ببذله ابنه الوحيد بهاء مجده ورسم جوهره لكي لا يهلك كل من يؤمن به بل تكون له الحياة الابدية. فهذا التعليم الذي لا يقدر بثمن يكشف لنا الحجاب عن صفات الله الجليلة التي اعظمها المحبة حتى اذا حملنا بتيار محبته نجتنب الخطية اذ هي مكروهة لديه لانه قدوس ونحفظ وصاياه سالكين في

طريق الايمان في المسيح المؤدي للحياة الابدية .

ومن يتأمل في احوال الخليقة يظهر له ما يشبه طريق الخلاص فان الله فطر كثيراً من خلقه على تضحية الذات على مذبح المحبة الطبيعية مما يصح ان يتخذ مثالاً لآلام المسيح لاجلنا. ترى الاب يخاطر بحياته ويعاني الشدائد ويذوق المرارة لاجل قوت عياله وكسوتهم وترى الطبيب الامين يعرض نفسه للخطر والموت لخلاص حياة العليل حتى الطيور فانك ترى الدجاجة تحضن فراخها وان سطا عدو على فراخها تحاربه وتحمل الاذى عنها والعصفور يقع في مواضع الخطر ليلتقط الحب لفراخه الصغار ويقاسي عناء لا مزيد عليه في دفع الشر عنها. فلماذا لا يكون معقولاً أن فاطر المحبة الطبيعية هو محب اعظم من كل ذلك فانه اعلن محبته على منهج الضحايا فبذل ابنه الوحيد الذي هو واحد معه ليموت على الصليب في سبيل خلاص الانسان المسكين ولكن «من لا يحب لا يعرف الله لان الله محبة» (١ يو ٤:٨)

وعليه فالايمان بالمسيح الذي احبنا واسلم نفسه لاجلنا هو الدواء الوحيد الذي وصفه الله العليم الحكيم لبرص الخطية فكل من يثق في حكمة الله وعامه فليستعمل هذا الدواء وحينئذ يعلم بالاختبار ان كان المسيح مخلصاً ام لا لان الشفاء من المرض دليل قاطع على حسن

الدواء وجودة تأثيره ومتى برئ الخاطئ من مرضه وعلم بالتحقيق ان المسيح مخلص يشكر فضله ويعلم ان الكتاب المقدس حق.

الفصل الخامس

في التعليم باله واحد في ثلاثة اقانيم

ما قيل في الفصل المتقدم عن طريق الخلاص بالمسيح لا يقبل عند الطالب كل القبول حتى يطلع على عقيدة التثليث التي طالما كانت حجر عثرة في طريق اخواننا المسلمين الراغبين في البحث وذلك لانهم لا يفهمون معنى هذا التثليث ولذا عدوه مناقضاً للتوحيد والحقيقة خلاف ذلك لان التعليم بوحدانية الله من الاساسات الجوهرية التي ترجع اليها عقيدة التثليث فان جميع المسيحيين لا يؤمنون بثلاثة آلهة بل باله واحد .

من يطلع على تفسير جلال الدين على (سورة المائدة آية ٧٦) وتفسير البيضاوي ويحيي على (سورة النساء آية ١٥٦) يرى ان اولئك المفسرين تصوروا ان النصارى يعتقدون ان الثالوث هو ثلاثة آلهة الآب والام والابن وحسبوا مريم العذراء الهاً وانها احد الآلهة الثلاثة المذكورين. لا ننكر ان بعضاً من جهلة النصارى في عصر محمد

اكرموا مريم الى حد العبادة بل اكرموا كثيراً من القديسين وقدموا لهم العبادة التي لا تجوز الا لله وحده كما ان كثيرين من جهلة المسلمين يفعلون مثل هذا الفعل مع اوليائهم ومشائخهم مما هو غني عن البيان وكما ان المطلعين من المسلمين لا يجدون ما يؤيد عبادة الاولياء في القرآن كذلك لا يصح ان نؤاخذ معاشر النصارى بما كان يعمله الجهلة في العصور المظلمة مما لا ينطبق على الكتاب المقدس بل يخالفه على خط مستقيم فلا تحسبن القرآن يحرم عبادة العذراء والكتاب المقدس يجيزها حاشا وكلا بل هـذا الذي ظنه المسلمون تثليثاً في ذات الله ليس هو من التثليث في شيء فان المسيحيين على اختلاف مذاهبهم لم يقل فريق منهم بثلاثة آلهة[١].

وعلى ما تقدم يظهر ان هؤلاء المفسرين اضلهم التعصب الذميم حتى دونوا في كتبهم عن النصارى ما هم ابرياء منه وكان خليقاً بهم كما بكل عالم فاضل انهم اذا ارادوا ان يكتبوا شيئاً في موضوع هام كهذا ان يبحثوا او ينقبوا حتى يقفوا على الحقيقة بعينها لئلا يكونوا عثرة في طريق الباحث الامين. اننا كما ذكرنا لا نعتقد بثلاثة آلهة ولا ان

---

(١) وعلى ذلك نطلب من القارئ مراجعة دستور الايمان الرسولي والقانون النيقوي والقانون الاثناسيوسي وقانون الكنيسة المصلحة

مريم واحدة منهم واننا نشدد انكار تعدد الآلهة كالمسلمين انفسهم وستعلم ذلك عند ما تتقدم في شرح الموضوع .

ذكرنا فيما تقدم اننا نؤمن بالله واحد كما في التوراة حيث يقول «اسمع يا اسرائيل الرب الهنا رب واحد» (تث ٦:٤) وفي العهد الجديد اقتبس المسيح هذه الآية اساساً لتعليمه (مر١٢:٢٩) واما عقيدة التثليث فما هي الا شرح للوحدانية ذكرت لمناسبة التعليم في مواضيع اخرى .مثال ذلك لما اوصى المسيح تلاميذه ان يكرزوا بالانجيل للناس قال «عمدوهم باسم الآب والابن والروح القدس» (مت ٢٨:١٩) فيدل هذا القول على حقيقة التوحيد كما يدل على تثليث الاقانيم لانه قال «باسم» بصيغة المفرد لا الجمع مع انه ذكر الاقانيم الثلاثة كلا على حدته.ومن هذه العبارة نفهم انه لا يمكن ان يكون الابن والروح القدس مخلوقين بدليل انهما مقرونان باسم الآب كشيء واحد بخلاف عدم ملاءمة الاسم نفسه لما يكون مخلوقاً فان كلمة «ابن الله» «والروح القدس» لا يصح ان يسمى بهما الشيء المخلوق هذه حقيقة ظاهرة لمن يتأمل

وعقيدة التثليث يمكن تلخيصها على هذا المنوال

(١) الآب والابن والروح القدس جوهر واحد واله واحد فقط.

(٢) كل من هؤلاء الاقانيم الثلاثة له خاصة لا يشترك فيها معه اقنوم آخر .

(٣) ان انفصل اقنوم عن الاقنومين الآخرين وذلك مستحيل لا يمكن ان يكون هو الله .

(٤) كل اقنوم متحد مع الاقنومين الآخرين من الازل وهذه الوحدة غير القابلة للانفصال هو الله .

(٥) كل اقنوم مساوٍ للاقنومين الآخرين في الذات والمجد

(٦) العمل الخلاصي لكل اِقنوم وصف احسن وصف في الكتاب المقدس بهذه الالقاب الاول «الآب والخالق» والثاني «ابن الله والفادي» والثالث «المقدس والمعزي»

(٧) كما ان الاقانيم المقدسة واحد في الذات هكذا هم واحد في المشيئة والقصد والسلطان والقدم وسائر الصفات الالهية .

اما قول المسيح «ابي اعظم مني» في يو ١٤:٢٨ فهذا بالنسبة الى ناسوته لانه يعبر عن وحدته مع الآب في الذات بقوله «انا والآب واحد» (يو ١٠:٣٠) وقد يعترض بعضهم بان هذه العقيدة المسيحية متناقضة وبما ان اعتراضهم خطأ ظاهر نجيب ان التثليث ليس خطأ بل هو سر عجيب ويجب ان ننتظر اسراراً كثيرة في الكتب

المقدسة وخصوصاً ما يتعلق بجوهر الله اذ لو خلت حقيقة الله من الاسرار لادركتها العقول البشرية كما تدرك سائر الاشياء المحدودة وهذا محال لان السر هو ان لا تعرف كيف يكون ذلك الشيء مع انك عارف انه كائن مثال ذلك لا تعرف كيف ينمو الزرع مع انك تعرف انه ينمو والعالم مملوء من الاسرار والانسان سر في نفسه فانه لا يقدر أنْ يعرف كيف تسكن روحه في جسده وكيف تدبره فهل تؤخذ هذه البراهين على بطلان الحقائق؟ لوكان الامر هكذا لكان كل شيء باطلاً . والكتاب المقدس أحق واولى بان يتضمن أسراراً غامضة تحار في معرفة كنهها فطاحل العلماء فهل من الصواب والحكمة ان نرفض كتاب الله لاشتماله على مسائل تفوق عقولنا ونستبد بآرائنا الخصوصية ؟ : فاحكموا انتم

كل مطلع خبير بالكتاب المقدس يعلم ان عقيدة الثالوث مأخوذة منه بدلالة آيات كثيرة في غاية الصراحة وهي التي منها صاغ المسيحيون نصها مع اختلاف قليل في اللفظ فقالوا — «لا يوجد الا اله واحد حي حقيقي ازلي ليس بذي جسد ولا يتألم غير متناه في القدرة والحكمة والصلاح صانع وضابط كل الاشياء ما يرى وما لا يرى

ولذاته القدوسة ثلاثة اقانيم في جوهر واحد الآب والابن والروح القدس»

وعدا موافقة هذه الصيغة للاسفار المقدسة فانها موافقة لمؤلفات المسيحيين الاولين الذين بقيت كتاباتهم الى عصرنا الحاضر مما يدل على انهم فهموا الكتاب من جهة هذه الحيثية كما فهمناه .

وان العقل نفسه يعلمنا ان لا نتجاوز في البحث والاستقصاء ما اعلنه الله عن ذاته وقال الحكماء : البحث عن ذات الله كفر .

يؤكد بعض اخواننا المسلمين ان التوحيد مخالف للتثليث لكن الحقيقة هي حيث ان العقيدتين معلنتان في كلام الله لا يمكن ان يكون بينهما تناقض لان التوحيد لا ينفي كل نوع من انواع التعدد مثال ذلك من المعلوم ان الله متعدد الصفات يقال رحيم حكيم قدير عادل الخ حتى وصفه علماء المسلمين بانه مجمع الصفات الحسنة جامع صفات الكمال لكن تعدد الصفات لا يبطل وحدة الذات ومثل ذلك تعدد الاقانيم لا يبطل وحدة الجوهر الالهي وعلى فرض انه لا يوجد في الخليقة ما يصلح ان يؤخذ مثالاً موافقاً لشرح هذه الحقيقة الا انه يوجد بعض الامثلة التقريبية — ورد في التوراة ان الله خلق الانسان على صورته (تك ١ : ٢٦) .

ويوافق ذلك ما قاله علي بن ابي طالب «من عرف نفسه فقد عرف ربه». فلنتخذ هذا مثالاً تقريبياً لموضوعنا فنقول ان كل رجل هو واحد غير انه يصح ان يتكلم عن روحه ونفسه وجسده قائلاً عن كل منها (انا) هنا ثلاثة اشياء يكاد يتميز احدها عن الآخر لان الروح ليست النفس ولا هذه ولا تلك هي الجسد وعليه فليس من الخطإ ان ندعو كلاً من هذه الثلاثة رجلاً الا انه لا يوجد في الثلاثة الا رجل واحد ومما لا شك فيه لا يكون احد الثلاثة خلواً من الاثنين الآخرين كل الشخصية كما لا يمكن التفريق بين الواحد والآخر على الاقل في هذه الحياة .

انّ هذا سر من الاسرار الكثيرة المودعة في طبيعتنا ولسنا نفهمها فان كل امرىءٍ على وجه الارض يشعر بهذا التمييز في طبيعته بين روحه وعقله ونفسه في حين انه لا يرتاب في وحدة ذاته على اننا لسنا نقيم هذا المثال ولا غيره دليلاً على صحة التثليث بل الدليل على صحته كما قلنا مراراً الكتاب المقدس وكفى به دليلاً لانه صادر من الله وهو يعرف نفسه اكثر مما نعرفه. وغاية ما نقصده من سرد الامثلة ان ندفع الشبه التي يعترض بها على هذا الموضوع ونبرهن انها صادرة عن سوء فهم لازالة ما عساه يكون عثرة امام طالب الحقيقة المخلص .

ومما لا يصح اغفاله ان القرآن يتفق مع الكتاب المقدس في اسناد الفعل وضمير المتكلم في صيغة الجمع الى الله في ان امثلة ذلك اقل بكثير في التوراة عما هي في القرآن ومما ورد في التوراة هذه المواضع (تك ١: ٢٦ و٣: ٢٢ و١١: ٧) وفي القرآن ما ورد في سورة «العلق» وهي عند المسلمين اول ما نزل من الوحي على محمد فقد ورد في عدد ٨ لفظ «الرب» اسماً للجلالة وعدد ١٣ لفظ «الله» وكل من اللفظين في صيغة المفرد ولكن في عدد ١٨ ورد ضمير الجلالة بصيغة الجمع حيث يقول «سندع الزبانية»

وحيث ان الكتاب المقدس والقرآن يتفقان على هذا الاسلوب من التعبير عن ذات الجلالة بضمير الجمع فلا يخلو ذلك من قصد اما اليهود فيعللون عنه بكون الله كان يتكلم مع الملائكة الا ان هذا التعليل لا يلائم نصوص التوراة ولا القرآن ويعلل عنه المسلمون بالتعظيم وهو تعليل سخيف لا يشفي غليل الباحث النبيه وليس لنا ان نخوض في شرح القرآن انما اوردنا ذلك اشعاراً باننا لا نخطئ اذا اعتبرنا عقيدة التثليث موافقة لاسناد ضمير الجمع الى الله في القرآن كما مر بيانه .

وقلنا انه لا توجد مشابهة وافية بين الله والمخلوقات الا انه توجد بعض الاشياء عدا ما ذكرنا آنفاً تثبت التعدد في الوحدة. مثال ذلك

خيط واحد من اشعة الشمس يتضمن ثلاثة انواع من الاشعة (١) النور (٢) الحرارة (٣) العمل الكيماوي وهذه الثلاثة شعاع واحد بحيث لا يمكن فصل احداها عن الاخرى لتتكوّن ثلاثة اشعة بل بالعكس الشعاع الواحد لا يتكون الا من الثلاثة معاً . وكذلك النار والنور والحرارة ثلاثة اشياء ولكنها واحد فلا نار من غير نور وحرارة مع ان النور والحرارة من طبيعة النار واصلها. نقول ان النار تعطي نوراً وحرارة اذ ان النور والحرارة تنبعثان من النّار ولكن ذلك لا يجعلهما تنفصلان عن النار ابداً فلا تسبقهما في الوجود ولا تتأخر عنهما في العدم.وكذلك العقل والفكر والكلام واحد ومع اختلاف كل منها عن الآخر لا نقدران نتصور العقل عارياً عن الفكر ولا الفكر عاريا عن الكلام منطوقاً به أو غير منطوق فني هذه الامثلة جميعها لا يشوش التعدد على الوحدة بل يتفقان تمام الاتفاق.ولنا ان نستنتج من ذلك ان وجود ثلاثة اقانيم في اللاهوت ليس مضاداً للعقل السليم بل له شبه ونظائر في الطبيعة وسند قوي في الكتاب.

وهنا فكر آخر له علاقة بالتثليث ان من اسماء الله الحسنى عند المسلمين كونه «ودوداً» اي محباً (وهذا يوافق ما جاء في الكتاب في ارميا ٣١:٣ ويوحنا ١٦:٣ و١يوحنا ٤:٧—١١) وبما انه غير متغير فهو

ودود من الازل ويلزم عن ذلك ان يكون له مودود اي محبوب من الازل قبل خلق العالم فمن عساه يكون ذلك المحبوب الموجود من الازل عندالله؟ ففي عقيدة التثليث الجواب الصريح والوحيد لهذا السؤال فنقول ان اقنوم الآب هوالودودواقنوم الابن المودود وما احسن ما قال يسوع في هذا المعنى خطاباً لابيه «احببتني قبل إنشاء العالم» (يو ١٧: ٢٤) وعليه لا يمكن الاعتقاد بوجود صفة المحبة في الله من الازل مالم نعتقد بتعدد الاقانيم مع وحدة الجوهر والا كان الله متغيراً ابتدأ ان يحب من الوقت الذي خلق له محبوباً من الملائكة أو البشر وهذا باطل لانه قال «انا الرب لا اتغير» (مل ٣: ٦)

ولقائل يقول ما فائدة الايمان بالثالوث المقدس ألا يكفي اننا نؤمن بان الله واحد بصرف النظر عما اذا كان ذا ثلاثة اقانيم أو ذا اقنوم واحد؟ فاجيب فائدة الايمان بالتثليث ليست اقل من الايمان بالتوحيد لجملة اسباب جديرة بالنظر منها حل المعضلات الكثيرة التي يعترض بها على الوحدانية المحضة مثل كيف يكون الله هو الكافي والصمد والمتكلم والغني والودود من قبل ان يكون كائن سواه لان كل هذه الصفات وما شاكلها لا يمكن التعليل عنها الا بتعدد الاقانيم الالهية مع توحيد الذات كما مر بيانه في كلامنا عن وصف اللهبالودود.

وهذا التعليم ايضاً يمكننا من فهم بعض تعاليم الكتاب المقدس كما انه يبين لنا شرح بعض الآيات القرآنية. واهم مما ذكر ان الايمان بالتثليث مفيد لانه يمهد السبيل لتصديق دعوى المسيح انه «كلمة الله» المثبوتة في كل من الانجيل والقرآن واعلم ان هذه التسمية «كلمته» (في سورة النساء آية ١٦٩) «وقول الحق» (في سورة مريم ٣٥) اسلوب حسن للتعبير عن طبيعة المسيح ووظيفته بانه الوسيلة الوحيدة لاعلان الله للناس لان المراد من «كلمة» او «قول» هو ما يعبر به المتكلم عن فكره والمتكلم هنا الله وحيث انه دعا المسيح كلمته فيكون هو المعبر الوحيد الكامل عن فكر الله ومظهره القدوس الذي يظهر به لخليقته المحدودة وبه تكلم الانبياء مسوقين من الروح القدس (لو١٠:٢٢ ويو١:١و٢ و١٨ و١٤:٦—٩و١ بط١:١٠—١٢) وحيث ان المسيح هو الواسطة الوحيدة لاعلان الله يجب ان يعرفه هو اولاً ويعرف ارادته وقد عرفه كل المعرفة بدليل قوله «اما انا فاعرفه» «الآب يعرفني وانا اعرف الآب» (يو ٨:٥٥ و١٠:١٥) ومن هذه الحيثية تمتاز معرفة المسيح لله عن معرفة الانسان . روي عن محمد انه قال في حديث له خطاباً لله «ما عرفناك حق معرفتك» ويعترف علماء الاسلام ان الله عظيم وسام بحيث لا يدرك كنهه عالم ولا نبي ولا رسول كائن من كان

وعليه فلا يعرف الله حق معرفته الا «كلمته» اي المسيح فاذا كان الامر كذلك فلا يجوز ان يكون المسيح مجرد مخلوق ولو اسمى المخلوقات والا لقصرت معرفته دون ادراك الله ادراكاً كاملاً لانه لا يعرف الله الا الله وعليه يكون المسيح اقنوماً الهياً فعقيدة التثليث اذاً تزيل كل صعوبة تخالج العقل في قبول دعوى المسيح بانه كلمة الله وبالتالي قبول خلاصه.

وعدا ما ذكر فانه في الايمان بالتثليث حسنة كبيرة تغمر الشرقيين والهنود. لا يخفى انه قد ساد على هؤلاء الناس الاعتقاد بالقضاء والقدر حتى انهم استسلموا للجمود والتهاون فتأخروا عن امم الغرب في مضمار جهاد الحياة مع انهم من حيث الذكاء والاقدام فعلى اقل اعتبار يضاهون الاورباويين ان لم يزيدوا عنهم كما هو مثبوت في التاريخ فما الذي حدا بهم الى التقهقر في سلم المدنية غير استحكام عقيدة القضاء والقدر في اذهانهم فلو آمنوا ان الله لم يقدر عليهم سوءاً ولا قضى بخرابهم بل يحبهم حباً فائقاً بحيث انه اعلن لهم نفسه في شخص «كلمته الازلي» وحمل آلامهم واحزانهم ومات بالجسد لخلاصهم وقام ثانياً لاجلهم لما بقي عندهم محل للشك في حسن مراد الله من جهتهم ولاستنارت اذهانهم وفهموا نصوص الانجيل الذهبية كقوله «هكذا

احب الله العالم حتى بذل ابنه الوحيد لكي لا يهلك كل من يؤمن به بل تكون له الحياة الابدية» (يو٣:١٦ و١يو٤:٧—١٦)

انّ رفض اخوتنا المسلمين لعقيدة الثالوث هو بالتالي رفض للاهوت المسيح فكلما اجتهد المسلمون في البحث عن الله زادوا بعداً في المعرفة عنه تعالى وعليه نجد في مصر اليوم حديثاً حل محل مثل شائع هو «كل ما خطر ببالك فهو هالك والله بخلاف ذلك» فبذلك ترى الاسـلام يؤول الى عدم معرفة الله. وان ايماننا معشر المسيحيين بمظهر الله الكامل يمكننا من معرفة الله ومن محبته اذ احبنا أوّلاً (١يوحنا٤:١٩) وان روح الله القدوس يحل في قلوب المسيحيين الحقيقيين وينيرها بارشاداته الى معرفة الله ويقربهم اليه(يوحنا١٤: ١٦و١٧و٢٦ و١٥:٢٦ و١٦:٧و١٥ واعمال١:٥ و٢:١—٤ و١كو٣:١٦ و١٧و٦:١٩) فبذلك يتصالح المسيحيون مع الله ويكونون في شركة معه كابناء مع ابيهم المحب السماوي عوضاً عن ان يكونوا كعبيد خائفين في حضرة سيدهم القهار (كما هي حال غيرهم) .

اذاً نتعلم من الكتاب المقدس ان الله العلي العظيم اعلن لنا نفسه (١) انه الآب القدوس المحب الذي وان كان شديد البغض والمقت للخطية غير انه قصد من الازل بحسب فيض محبته وكثرة رحمته ان

يدبر طريقة خصوصية تيسر الخلاص لجميع البشر الذين يقبلون نعمة الله فيتصالحون معه تعالى بالقلب والعقل والارادة والسلوك(٢) واعطي هذا الاعلان من الله للناس على يد « كلمته » ابن الله الوحيد الذي بواسطته فقط يصل المخلوق اياً كان لمعرفة الآب السماوي. واذ اخذ ابن الله جسداً ولبس طبيعة البشر حمل احزاننا وهمومنا ومات على الصليب من اجل خطايانا وقام من اجل تبريرنا (رو ٤: ٢٥)(٣) ولكي يقبل الناس هذا الخلاص المبارك ارسل روحه القدوس الاقنوم الثالث من اللاهوت ليبكتهم على خطاياهم ويحقق لهم عظيم احتياجهم الى مخلص يخلصهم وينير اذهانهم بمعرفة غنى الانجيل حتى يطلبوا وينالوا ويتمتعوا بالحياة الابدية

ولا يبرح من ذهنكم ان البرهان الذي يقام على صحة عقيدة الثالوث الاقدس بعينه يقام على صحة عقيدة الحياة بعد الموت ويوم القيامة الى غير ذلك من العقائد التي يمتاز بها المؤمن من الكافر وعابد الله من عابد الصنم بمعنى ان هذه العقائد جميعها مؤيدة بكلام الله فان قبلنا عقيدة منها لانها مؤيدة بكلام الله فلماذا لا نقبل العقائد الاخرى في حين انها مؤيدة بكلام الله ايضاً.

ولنتقدم الآن لايضاح حقيقة اخرى لعلها تساعد القارئ للتثبت

من الموضوع الذي نحن في صدده وذلك بالايجاز . اننا نعلم بدليل قلوبنا عن الخلاص الذي يقدمه لنا الرب يسوع وكيف نحصل على الحياة الابدية ان آمنا به (يو١٧:١—٣) كما نحصل على سائرالبركات العظمى التي يريد الله ان يمنحها لمخلوقاته.

انه بناء على ارشاد وتعليم الانجيل اي اسفار العهد الجديد نعلم انه بواسطة الايمان الحي بالمسيح والاتكال عليه (اع٤:١٢ و١٦:٣١ و١يو٣:٢٣) نصير ورثة الافراح الفائقة والبركات العظمى التي لا يعبر عنها «ما لم تر عين ولم تسمع اذن ولم يخطر على بال انسان ما أعده الله للذين يحبونه» (١كو٢:٩) وليس الايمان بالمسيح مجرد الاعتراف بان تعليمه حق بل الثقة الكاملة بمخلص حي حبيب جاء الى العالم ليخلص الخطاة (١تي١:١٥) من خطاياهم (مت١:٢١) وقادر أن يخلص الى التمام كل الذين يتقدمون به الى الله (عب ٧ : ٢٥) ايمان حي كهذا يربطنا روحياً بالمسيح ويجعلنا واياه واحداً (يو١٥:٤—١٠) كما يجعلنا اولاد الله فيه (يو١:١٢و١٣ و١يو٣:١—١٢) بل يقوينا حتى نتعتق من نير الخطية وابليس (يو٨:٣٤—٣٦) فنخلع اعمال الظلمة (رو١٣:١٢ واف٥:١١ وكو١:١٣ و١تس٥:٤ و٥ و١بط٢ : ١٩ و١يو١ : ٦) ونسلك كما يحق للدعوة التي دعينا بها او بعبارة اخرى نسلك كاولاد

نور (يو٨: ١٢و١٢: ٣٥و٣٦)

ولما كان الانسان من تلقاء نفسه لا يقدر أن يؤمن بالمسيح ايماناً حياً عاملاً رأى الله من فرط محبته لنا ان يرسل روحه القدوس ليعمل في ارواحنا ويبث فينا حياة روحية نستعين بها على الايمان بالمسيح الايمان المطلوب ما لم نغش قلوبنا ونرفض نهائياً احتجاج ذلك الروح الصالح المنعم

وقد رأينا في ما تقدم ان المسيح «كلمة الله» هو مظهر الله الحقيقي وعليه يتضح جلياً انه بواسطته فقط يستطيع الانسان ان يأتي الى الله (يو١٤: ٦) وبدون ايمان بالمسيح لا تقبل الناس لدى الله ولا تغفر لهم خطاياهم.لهذا جاء الروح القدس ليحث الناس على التوبة ويستميلهم الى الايمان بحيث يعتنقون ذلك الخلاص المقدم لهم مجاناً في المسيح.وان الروح القدس الذي يكشف لنا الستار عن حالة قلوبنا الرديئة ويبكتنا على خطايانا وينذرنا بالدينونة الآتية (يو١٦: ٨) يحرضنا على السعي والجد في طلب المصالحة مع الله بقبول الكفارة الوحيدة التي قدمها المسيح عن خطايا العالم (عب١٠: ١٠—١٤).والذين ينقادون بارشاد الروح القدس يتبررون بايمانهم بالمسيح ويكون لهم سلام مع الله بربنا يسوع المسيح (رو٥: ١) يعطيهم السلام الذي لا يقدر أن يعطيه العالم

(يو ١٤: ٢٧) فالخاطئ النادم متى اتى الى المسيح يُعتق من الخوف والرعب الشديد الناتج عن خطاياه ويزال عن عنقه ذلك الحمل الثقيل ويطرح في بحر نسيان رحمة الله (مت ٢١: ٢١ ومر ١١: ٢٣) وتتبدد غياهب ظلمة قلبه ويحل محاها نور السماء وتملك عليه محبة الله ويعلم ان الله ابوه السماوي بيسوع المسيح فيهجر خطاياه ويجدّ في حفظ وصايا الله ويواظب على معاشرته تعالى فتجري في نفسه انهار السعادة الحقيقية التي تفوق الوصف حتى تصير الارض في عينيه سماء بالرغم عن تجارب الحياة الكثيرة واضطهاد المضطهدين ويتحقق صدق الكتاب لا بالبرهان الخارجي فقط بل بالوجدان والاختبار ايضاً.

وهذا التغيير الذي ينتجه عمل الروح القدس في نفس الخاطئ الآتي الى المسيح لا ينحصر في تحويل القلب عن الخطية الى البر ومن الظلمة الى النور ومن عبودية ابليس الى حرية الله بل اعظم من ذلك هو ميلاد جديد حقيقي روحي (يو ٣: ٣ و٥) الذي به يصير المؤمن خليقة جديدة روحياً (٢كو ٥: ١٧ وغل ٦: ١٥) وان الله ليريد ان كل انسان يتوب عن خطاياه وينال الخلاص بالايمان بالمسيح (حز ٣٣: ١١ و١ تي ٢: ٣—٦ و٢ بط ٣: ٩) من اجل ذلك فليس احد على وجه الارض مقضياً عليه بالحرمان من رجاء الخلاص بل كل من يريد

بسلامة قلب ان يفدى بدم المسيح فانه يفدى بكل تأكيد (يو٦: ٣٧) واما الذين يعتمدون على ما يتخيلونه من اعمالهم الصالحة ويتوهمون ان لهم خزانة بر ذاتي في السماء ويرفضون المسيح فهم مقاومون لارشاد روح الله القدوس ويحكمون على انفسهم بانفسهم (يو ٣: ١٦ —٢١ و ٥: ٤٠) ومع انه استطاع في هذه الحياة ان يقاوم محبة المسيح ويعاند رحمة الله يضطر في النهاية ان يسجد امام المسيح كما ينبئنا الكتاب (اش ٤٥: ٢٣ ورو ١٤: ١١ وفي ٢: ٩—١١) .

ومما قيل يتبرهن ان التغيير الذي يحدثه الايمان بالمسيح في القلب لا يدعنا نهمل واجباتنا المسيحية أو نمادى في ارتكاب الخطية لانه ايمان حي مُحيٍ يدفع صاحبه الى فعل الخير ويمنعه عن فعل الشر. لذلك ان كان احد مؤمناً بالمسيح ايماناً حقيقياً ينتصر بمعونة روح الله القدوس على الخطية الداخلية كما ينتصر على العالم والجسد والشيطان ويدوس على هوى نفسه ويكرس ذاته لاجل ان يعيش على وفق ارادة الله من حيث قداسة العمل والطبع لانه ذاق بحاسته الروحية محبة الله الفائقة ورحمته العظيمة المعلنة في المسيح واختبر الفرح الحقيقي والسعادة الكامله التي افاضها في نفسه الايمان. لهذا اصبح يعرض عن

كل خطية او فكر شرير ويجاهد ليله ونهاره على الاحتراس والاحتفاظ بوصايا الله سالكاً في النور كما ينبغي لدعوة الانجيل

الفصل السادس

حياة المسيحي وسلوكه

قيل في الانجيل انه حدث يوماً ما ان ناموسياً استعلم من الرب يسوع عن الوصية العظمى في الناموس فاجابه «تحب الرب الهك» (تث ٦:٥) من كل قلبك ومن كل نفسك ومن كل فكرك هذه هي الوصية الاولى والعظمى والثانية مثلها تحب قريبك (لاويين ١٩:١٨) كنفسك بهاتين الوصيتين يتعلق الناموس كله والانبياء» (مت٢٢: ٣٥—٤٠ ومر١٢ :٢٨—٣١) وقيل في غير موضع ما يوافق ذلك وهو قوله «لا تكونوا مديونين لاحد بشيء الا بان يحب بعضكم بعضاً لان من احب غيره فقد اكمل الناموس لان لا تزن لا تقتل لا تسرق لا تشهد بالزور لا تشته وان كانت وصية اخرى هي مجموعة في هذه الكلمة ان تحب قريبك كنفسك. المحبة لا تصنع شراً للقريب فالمحبة هي تكميل الناموس (رو١٣ :٨—١٠) محبة الله تؤدي الى محبة خلائقه خصوصاً الانسان ثم ان المسيحي الحقيقي يحب الله لانه يعلم ان الله

احبه اولاً (١ يو ٤: ٩—١١ و١٩ ورو ٥: ٥—٨) ومحبته لله تفطمه عن الاهتمام بلذّات هذا العالم السريع الزوال (١ يو ٢: ١٥—١٧) وكلما ازدادت المحبة لله عظم الاقبال الى خدمته وازدادت الرغبة في صنع الخير للقريب. ويعلم المسيحي حينئذ ان الله ابوه السماوي وانه هو احد اولاده في المسيح (يو ١: ١٢ و١ يو ٣: ١و٢) وتعظم ثقته في الله ويسارع مجاهداً في تمجيده واكرامه فكراً وقولاً وعملاً (مز ٦٣: ١ — ٨) واذا جاءه يوماً ابليس ليجربه فيقول له كما قال يوسف في العصور الاولى «كيف اصنع هذا الشر العظيم واخطئ الى الله؟» (تك ٣٩: ٩) وكل ما يعمله فلمجد الله ومرضاته لا لمرضاة الناس (كو ٣: ٢٣) وعلى قدر ما ينمو في محبة الله ومعرفته يزداد في تسبيحه وحمده لاجل خيراته الزمنية وبركاته الروحية التي يغمره بها ويظهر احساسات الشكر لا بالكلام فقط بل بالسيرة والعمل (مز ٣٤: ١ وكو ٣: ١٧ و١ تس ٥: ١٥—٢٢)

ومن سجايا المسيحي الحقيقي انه اذا وقع في ضيقة من جهة شؤون الحياة لا يتكل على ذراع البشر بل على الله كما انه لا يبالي بانماء ثروته ولا باعلاء رتبته ولا يهتم بافراط في معاشه بل يصلي لابيه الذي في السموات ان يبارك اشغاله ويمنحه من الرزق الحلال ما فيه

الكفاية لسد أعوازه ويشعر باقتناع في قلبه ان اباه السماوي يهتم به (١ بط ٥:٧) ولهذا فيلقي عليه همومه بنفس مطمئنة لانه يعلم عن ثقة ان الله فتح له كنوزه الروحية في السموات المذخرة في المسيح يسوع ويتأكد ان اله كل رحمة لا يمنع عنه خيراً من ضروريات الحياة (مز ٢٨:٧ ومت٦:٩—٣٤و١تي٦:٦—١١)

المسيحي الحقيق حمادٌ شكور لله على ما وفق له من اليسر والغنم عالماً ان كل عطية صالحة وموهبة تامة نازلة من عنده تعالى(يع ١:١٧) وهو صبور عند ما تمسه الشدائد وتتوالى عليه البلايا والاضطهادات مؤكداً « ان كل الاشياء تعمل معاً للخير للذين يحبون الله » (رو ٨:٢٨) كأنها تلقي على سمعه مناجاة احد قدماء المسيحيين لنفسه «يا نفسي حياة المسيح كانت بجملتها على الصليب وعلى المذبح وأنت تسعين وراء الراحة والانشراح؟ حاشا وكلا» ويعلم ان اباه السماوي اذا سمح له بتجربة فلاجل ان يقربه اليه اكثر من ذي قبل بحيث يقدر ان يفرح ويتبسم وهو رازح تحت عبء الضيقة (رو٥ : ٣ و ٤ و٥ و١٢:١٢) ويقول مع صموئيل النبي «هو الرب ما يحسن في عينيه يعمل» (١صم٣:١٨) ذاكراً انه وان كان يعيش في العالم فليس من العالم كابرهيم الذي « كان ينتظر المدينة التي لها الاساسات التي صانعها

وبارئها الله» (عب ١١: ١٠ وانظر مز٣٧: ٥ و٢ كو٤: ١٧ و١٨ وعب ٢ : ٥و٦)

المسيحي الحقيقي يعبد الله باخلاص وحق (يو٤: ٢٤) ويشتهي ان يبقى على الدوام شاعراً انه في حضرة الله ويأتي اليه كل حين كطفل يأتي الى ابيه الحبيب عالماً عنايته به. اذا طلب الطفل من ابيه حاجة يطلبها حسب الطبيعة وليس بصيغة خصوصية من الاقوال المرتبة. ومثل ذلك المسيحي اذا طلب من ابيه السماوي شيئاً فليس عليه ان يتلو عبارات معينة ولا يتلو اقوالاً بلغة قديمة مقدسة على زعم البعض لانه يفهم ان الله مستعد ان يسمع الصلاة اكثر من استعداد المصلي للصلاة وان هباته تعالى اكثر مما نطلب او نفتكر الله يعلم احتياجنا قبل ان نسأله وما اقل درايتنا باحسن الاشياء لنا لذا ينبغي للمصلي اذا طلب شيئاً من متاع الدنيا أن يطلبه تحت هذا الشرط «ان شاءت ارادتك يارب» واما ان طلب طلبة روحية يطلبها بلا شرط ولا قيد عالماً ان الاشياء الروحية جميعها صالحة لنفسه وان الله أعدها له. ان كان انسان قبل الميلاد الجديد الروحي (يو٣: ٣و٥) واستنار ذهنه بارشاد روح الله القدوس لا يصلي فقط بل يرتل لله في قلبه كل حين ويسبحه على جوده واحسانه ويثابر على معاشرته تعالى وكل ما يعمله فامجد اسمه

عالماً انه فاحص القلوب لا تخفى عليه خافية ويجاهد في تذليل كل فكر تحت سلطان محبته مستودعاً نفســه واعزاءه بين يدي محبته متلذذاً بالسلام والطمأنينة الظللة على قلبه وروحه (مت٦:٥—١٥ولو١٨:١—٨ ويو١٦:٢٣ وفي٤ : ٦ و٧ و١تس٥ : ١٧ و١٨ وايو٥ : ١٤ و١٥ ويع ١:٥—٨)

وفضلاً عن الصلاة الانفرادية فان اغلب المسيحيين يصلون صلوات اخرى مثل الصلاة المعروفة بالصلاة العائلية حيث يجمع الرجل زوجته وأولاده حوله ويقرأ لهم شيئاً من الكتاب المقدس ويصلي معهم طالباً المغفرة والبركة من الله عز وجل على نفسه واهل بيته. ومثل الصلاة الجمهورية حيث يذهب الرجل المسيحي الى الاجتماع سواء كان في دار اعتيادية اوكنيسة وخصوصاً في ايام الآحاد اليوم الذي قام فيه المسيح من الموت ويتحد مع جمهور العابدين لسماع الانجيل والوعظ وللصلاة والتسبيح تحت ملاحظة خدام الدين وهم رجال يدعون من الله ومدربون على خدمة الانجيل بنوع خاص. واستحسن بعض الطوائف أن تصلي في اثناء العبادة الجمهورية بصلوات معينة على امل مساعدة العامة على العبادة واستحسن البعض الآخر الصلاة الارتجالية وحيث ان الله يعرف كل اللغات فهي عنده على

حد سواء.ولا افضلية للعبرانية ولا اليونانيـة في اعتباره على سائر اللغات الاخرى انما الواجب ان تكون العبادة بالاخلاص والروح والحق.وكذلك لافرق بين موضع وآخرلتأدية العبادة لان المواضع كلها سواء عند الله فلا رسم ولا طقس ولا وضع خصوصي للعبادة الا ان تكون بالروح والحق كما يعلمنا الانجيل (يو ٤:٢٤)

المسيحي الحقيقي يعتبركل الناس اخوانه ويرغب في مصلحة الغير كما يرغب في مصلحة نفسه ويصنع الخير حسب طاقته مع الجميع في الروحيات والجسديات (مت ٧:١٢ و٢٢:٣٩ و١كو ١٠:٢٤) لان المسيح علمه ذلك القانون الذهبي (مت ٧:١٢) الذي لو سار بموجبه جميع الناس لاصبحت الارض سماء.فهو يعامل الآخرين لا كما يعاملونه بل كما يحب هو ان يعاملوه ان كانوا مرضى يعودهم وان جاعوا يطعمهم وان ضلوا عن الله يعلمهم ما علمه المسيح(مت٢٨:١٩ و٢٠) وبالجملة يحب الجميع ولاسيما اهل الايمان (غل ٦:١٠ قابل مت ٨:٢٣ ويو١٣:٣٤ و٣٥) بل يحب اعداءه ومضطهديه (مت ٥ : ٤٤ و١تس٣:١٢ و٢بط١:٥—٧) عالماً ان هؤلاء الاعداء من جملة الذين مات من اجلهم المسيح وقد حدث ان احد أعداء المسيح اصبح احب

احبائه لانه انما كان ضالاً ووجده الراعي الصالح وخلصه من بين انياب الذئب (يو١٠:١١—٦)

تلميذالمسيح الحقيقي صادق ومستقيم ونقي القلب ولطيف (مت ٥:٢٧ واف٤:٢٥ويع٤:١١ و١٢) يسعى جهد طاقته في بث روح الوحدة والوفاق بين الناس (رو١٢:١٨) يرثي للمتضايقين (رو١٢: ١٥ وعب١٣:١٦) يقابل ما يصيبه من الاذى بالصبر الجميل مفوضاً امره الى الله (مت١١:٢٩ واف٤:٢٥—٣٢) مع انه اذا رأى الاذى يقع على غيره بغياً وعدواناً يشتعل الغضب الصالح في قلبه ويندفع لانقاذ المظلوم مهما كلفه ذلك من التضحية . وقد روي عن قوم مسيحيين قبلوا ان يباعوا كالرقيق حتى يتمكنوا من مؤاساة وتعزية الانفس الواقعة تحت عبودية قاسية

المسيحي الحقيقي يعلم انه خلق لخدمة الله وانه اشتري بثمن عظيم بدم كريم دم المسيح (١كو٦:٢٠ و٧:٢٣) وان جسده هيكل لروح الله القدوس بسبب ايمانه بالمسيح(١كو٣:١٦و١٧و٦:١٩)فيأخذ كل حذره من أن يدنس ذاته نفساً وروحاً وجسداً بالاستسلام للشهوات الجسدية ويجاهد بنعمة الله ان يحفظ نفسه طاهراً بلاعيب ولادنس عائشاً بالقداسة (٢كو٧:١ واف٥:٤ ويع١:٢١) ولا يرفض اطعمة

قد خلقها الله لتتناول بالشكر من المؤمنين وعارفي الحق لانه منذ تأسيس العهد الجديد اباح الله كل انواع الاطعمة. واذ قد استنار ذهنه تحقق وصية سيده — كل ما يدخل الفم لا ينجس الانسان بل ينجسه الذي يخرج منه لانه يصدر عن القلب مثل الافكار الشريرة والزنى والفسق والقتل (مر٧: ١٤—٢٣) وان كان الطعام مباحاً باصنافه فليس يباح الشرد والتبذير للمسيحي (١كو١٠: ٣١ قابل رو١٤: ٢٠ و٢١ و١تي٤: ٤و٥) مثل المسكرات والخمور (لو٢١: ٣٤ ورو١٣: ١٣ و١كو٥: ١١و٦: ١٠ وغل٥: ٢١ واف٥: ١٨) وكذا التنعمات الردية .

المسيحي الحقيقي يعرض عن كل كلمة وعمل غير لائق ويسعى جهده في مرضاة الله (مت١٦: ٢٤ ورو٦: ١١—٢٣ و١كو٦: ١٢—٢٠ و١تس ٤: ٣—٨ و١بط١: ٢٢) متقدماً في النعمة وفي معرفة الله يسوع المسيح ربنا (٢بط٣: ١٨) عالماً ان هذا فقط هو الذخر الباقي والكنز الدائم بخلاف ثروة هذا الدهر ومجده وعظمته التي يطلبها ويجد في اثرها اهل الغرور فان مسيرها للزوال والتلف (مت١٦: ٢٦ واف١: ١٥و٢: ١٠ وفي٣: ٧—١٦)

ومهما تكن اشغاله اومصلحته يدأب على عمله بامانة واتقان حتى يسر قلب خالقه وفاديه ويمجد اسمه القدوس محاذراً من الاهمال

والكسل آكلاً خبزه بعرق جبينه.وحسب طاقته يجتنب الديون معتبراً ان كل ما ملكت يده فللرب الهه يتصرف فيه على وفق مشيئته في وجوه الخير والاحسان (مت ٢٥: ١٤—٣٠ ولو ١٩: ١٢—٢٧ و كو ٣: ٢٣ و٢٤ و١تس ٤: ١١ و١٢ و٢تس ٣: ١٠) وكل ما ازداد في خدمة المسيح باخلاص واتسعت مداركه في معرفة شخصه العجيب عظمت محبته له بحيث لا يفصله عنه اية شدة واضطهاد (رو ٨: ٣٥—٣٩) وعلى مدى الايام يكثر تشبهه واقتداؤه بالمسيح غير مكتف بما هو دون صلاحه وقداسته الكاملة (٢ كو ٣: ١٨ و١بط ٢: ٩) واذا تصالح مع الله صارت ارادته على وفق ارادة ابيه السماوي ويفيض قلبه بفرح مقدس لا ينطق به ومجيد بالرغم عما يكتنفه من تجارب الحياة وآلامها. وفرحه هنا عربون لفرحه الدائم في السماء. وما ذكرناه قليل من كثير من نتائج الايمان بالمسيح في قلب المؤمن به يتقدم بشجاعة لاتمام واجباته في ملء الرجاء قائلاً ما قال بولس الرسول «استطيع كل شيءٍ في المسيح الذي يقويني» (في ٤: ١٣)

ومما يجب التنبيه اليه ان المسيحي في هذه الحياة الدنيا وان صلحت اخلاقه الى الحد الذي ذكرناه فلا يزال غير كامل وعرضة لتجارب العالم والجسد وابليس وعليه ان يحارب هؤلاء الاعداء

ويغلبهم حتى الموت وان ابليس مع شدة قوته لا يستطيع ان ينتصر على المؤمن الواثق بالمسيح الا ان المؤمن ذو جسد تحت الآلام كسائر الناس لكنه حالما يتذكر مرافقة المسيح له ذاك الذي حمل احزاننا وتحمل اوجاعنا (اش٥٣:٣—٥) وانه يمكث معنا كل الايام (مت٢٨:٢٠) تنبت فيه روح الشجاعة والقوة فيقابل بالصبر الجميل كل ما يسمح به الله ان يجري عليه من صنوف التجارب والبلايا منتظراً وطناً افضل من بعد القبر (٢كو٥:١— ٩وفي١:٢٣) وراجياً قيامة ابتهاج ومجد عند ما يأتي المسيح ثانياً بالقوة والسلطان وقد خضعت اعداؤه تحت قدميه (يو ٥:٢١—٢٩ و٦:٤٠ و١ كو ١٥ وفي ٣:٢١)

وفي العالم الاتي يعرف المسيحيون الحقيقيون الله كما هو ويرون مجده وجهاً لوجه ويسكنون مع المسيح الى الابد (مت ٥:٨ و١كو ٢:٩ و١٣:١٢ ورؤ ٢٢:٣ و٤) حينئذ يكملون في القداسة وينالون العصمة من الخطية ويرثون من الفرح والسعادة ما لم تر عين ولم تسمع اذن ولم يخطر على بال انسان يسكنون في نور احسان الله وبركاته وكلما جال في قلبهم هذا الخاطر وهم في الحياة الدنيا وتذكروا نعمة الله المخلصة لجميع الناس المؤدية الى طهارة السيرة والحياة الابدية سبحوا الله مع رسول الامم قائلين «يا لعمق غنى الله وحكمته وعلمه ما ابعد

احكامه عن الفحص وطرقه عن الاستقصاء لأن من عرف فكر الرب أو من صار له مشيراً أو من سبق فاعطاه فيكافأ لان منه و به وله كل الاشياء له المجد الى الابد آمين» (رو ١١: ٣٣—٣٦)

الى هنا شرحنا ووصفنا كيف يجب على المسيحي ان يكون اذا اطاع وصايا الانجيل غير ان اخواننا المسلمين كثيراً ما يغمضون عيونهم عن اخلاق المسيحيين الحقيقيين ويحتجون علينا بأخلاق من يلاقونهم من كَفَرَة الافرنج محاولين ان يقيموا الحجة والبرهان على ان اثمار الديانة المسيحية لا تختلف عن الاديان الاخرى لان اصحابها اشرار محبون لذواتهم عالميون فجار.ولو انهم تأملوا بامعان لتحققوا انهم مخطئون في تقريرهم لان كثيراً من الافرنج لم يدّعوا قط انهم مسيحيون وقول بعضهم ان كلمة نصراني واورباوي مترادفتان فهو خطأ محض. عدا ذلك فان كثيرين يدعون انهم مسيحيون وهم ليسوا من المسيحية في شيء سوى الاسم والصورة الظاهرة ولكن ليس الظاهر كالباطن والا لم يكن على الارض مراؤون ومنافقون وهذا باطل ومحال .

يُعرف المسيحي الحقيقي بسلوكه وطاعته لناموس المسيح فان رأينا احداً يدعي انه مسيحي وهو يخالف وصايا المسيح فهو مرائي ومنافق ويحمل وزر نفسه.فاذا دعي المسلم الى الجهاد واندفع الى ميدان القتال

يسفك دماء الاعداء الى ان مات محاطاً بالقتلى فقد برهن للملإ صحة اسلامه كما انه اذا دعي الطبيب المسيحي المرسل الى مقاومة الطاعون والكوليرا يكافح ذلك العدو الفتاك بارواح العباد معرضاً نفسه لخطر الموت لافتداء بني جنسه من كل دين فهو يبرهن نسبته الى الديانة المسيحية.ولكن اذا اقتدى المسلم بالمسيحي بمعالجة المرضى لم يعتبره اخوانه من اتباع رسول السيف وان اقتدى المسيحي بالمسلم في سفك الدماء لم يعتبره اخوانه تابعاً لرسول السلام.فكما ان الشجرة تعرف من اثمارها يعرف المسيحي الحقيقي من اعماله.ونقول كما قلنا ان ادعى احد انه مسيحي وتصرف بالخيانة ضد هذا الدين الصالح لا يحكم عليه اهل دينه فقط بل نفس الذين يدينون بالاسلام قائلين ليس هـذا بمسيحي حقيقي وعليه فقد يشهدون ضمناً بطهارة وقداسة الايمان المسيحي.قال الرسول يوحنا«من يفعل البر فهو بار كما ان ذاك (المسيح) بار. من يفعل الخطية فهو من ابليس لان ابليس من البدء يخطئ. لاجل هذا اظهر ابن الله لكي ينقض اعمال ابليس» (١يو٣:٧و٨) وعليه فكل احتجاج على المسيحية بسبب ان بعضاً من المدعين بها يسلكون بغير استقامة احتجاج باطل لا يروج لدى اهل العقول الراجحة .

ثم نقول اخيراً ان ألد اعداء الديانة المسيحية يسلمون انه يوجد

مسيحيون حقيقون متفرقون في اماكن مختلفة لا ينكر احد تقواهم وتفانيهم في فعل الخير من رجال ونساء بعضهم مرسلون وبعضهم صناع وتجار واصحاب اشغال متنوعة من المهن والحرف الشريفة وشهدت الاعداء ان لا ديانة اخرى على وجه الارض تعد هكذا اناساً صالحين. نعم اية ديانة ترسل مرسلين الى كل اجزاء العالم حتى مجاهل افريقيا والجزائر البعيدة منهم المرسلون والاطباء والممرضون لكل انواع الامراض؟ اية ديانة ترغب السيدات ذلك الجنس اللطيف ان يغادرن الاهل والوطن ويقطعن البحر والبر حتى يخدمن في مستشفيات البرص في بلاد الهند؟ واية ديانة ترسل الاعانات العظيمة في المجاعات والاوبئة والزلازل وسائر النكبات؟ اية ديانة ضحت المال والرجال في تحرير العبيد واعتقتهم من ربقة العبودية؟

واعلم ان المسيحية لا يقتصر تأثيرها في تحويل الجفاء والخشونة الى لطف ومحبة على امة دون امة مثل التأثير على الامم المتمدنة اكثر من الهمجية كلا بل تؤثر في الكل على السواء ففي الهند والصين واليابان ومصر والعجم وفي اية امة وبلاد يكرز بانجيل المسيح توجد امثلة كثيرة لاتقياء المسيحيين رجالاً ونساء حولهم الانجيل من قساوة القلب وحياة الاثم والرذيلة الى مثال التقوى والفضيلة والمحبة وذلك

منذ اعتنقوا الديانة المسيحية وكم منهم احتمل الاضطهاد والتعذيب لاجل خاطر المسيح حتى الموت فامثال هؤلاء رسائل المسيح الحية المعروفة والمقروءة من جميع الناس (٢ كو ٣:٢ و٣)

وهنا نعترف انه لسوء الحظ يوجد بين طوائف النصارى من يقدمون العبادة لبعض القديسين وللعذراء مريم ويسجدون للصور والتماثيل الا ان هذه العبادة محرمة بموجب نصوص كثيرة من اسفار العهدين اي التوراة والانجيل (خر ٢٠:٣—٥ ويو ١٤:٦ و١تي ٢:٥) وكم حذرنا الانجيل من عبادة الاصنام بما لا يدخل تحت حصر (١كو ١٠:٥ و١١ و٦:٩ و١٠:٧ و١٤ وغل ٥:٢٠ واف ٥:٥ وكو ٣:٥و١ بط ٤:٣ ورؤ ٩:٢٠ و٢١:٨ و٢٢:١٥) وقد امتلأت صحائف التوراة من العبر التي حاقت بالامة الاسرائيلية بسبب عبادة الاصنام وحيث ان الكتاب المقدس ينهى كما رأيت عن هذه العبادة فليس من الصواب ان تتخذها دليلاً للاحتجاج به ضد الديانة المسيحية كما ليس من الصواب ان يتخذ عبادة الاولياء وغيرهم عند بعض المسلمين حجة على الاسلام .

المسيحي الحقيقي من يقتدي بالمسيح في حياته ويشهد له شهادة محسوسة بارزة من خلال اعماله اليومية الا ان الكنيسة المنظورة

تشتمل كما قال المسيح على الحنطة والزوان (مت١٣: ٢٤—٣٠و٣٦—٤٣) والعاقل يميز بين الحنطة والزوان ، وبين الطيب والخبيث والعملة المزيفة لا تكون حجة على العملة الحقيقية . والتاجر المدرب يفرز هذه من تلك .

الفصل السابع

في خلاصة الادلة على ان اسفار العهد القديم والعهد الجديد تتضمن الوحي الحقيقي

بينا في مقدمة الكتاب الاقيسة الصحيحة التي نقيس عليها كل كتاب يزعم اصحابه انه وحي ونرجو ان يكون قد تحقق القارئ النبيل من الفصول المتقدمة ان الكتاب المقدس مستكمل الشروط ولكن لزيادة الفائدة نتوسع اكثر في هذا المبحث ونأتي بالادلة القاطعة التي لا تدع مجالاً للشك

(اولاً) ان الانجيل يمثل لنا في المسيح اقدس حياة واكمل مثال ظهر على وجه البسيطة وعاش بين الانام نعم قد اطنبت كل امة في بطل دينها ورفعت درجته الى ذروة المجد واقامت له التماثيل الا ان اكثر الحكايات في هذا الموضوع ترجع الى خرافات مجازية كما

يؤخذ من اساطير الهنود في قصص ابطالهم مثل «رامه» «وكريشنه» الا انه توجد بعض القصص ترجع الى اصل صحيح ولكنهم غالوا فيها وبالغوا كما حكوا عن بوذا اله الهنود ومع ذلك اذا قارنا هؤلاء الاقطاب والابطال في كل أمة تحت السماء (حتى الذين صورهم الوهم) بالمسيح لظهر فرق عظيم بينهم وبينه في جميع خلال الخير وسجايا الكمال فشتان بينهم وبين المسيح في التواضع والصلاح والنقاوة والعدالة واللطف والمحبة والرحمة والقداسة وسائر الفضائل المعترف بها من جميع الناس بل قد علا صلاحه وفاق مبالغة الشعراء في مديح ابطالهم بني الوهم والخيال. على ان حياة المسيح حقيقية لا ريب فيها كما يقر ويعترف الجميع فالكتاب الذي سجل هذه الحياة العديمة المثال كتاب الله بمعنى ان الذين عرفوا المسيح وعاشروه واتبعوه وكتبوا سيرته وتعليمه كتبوا ما كتبوه بالهام الروح القدس كما وعدهم يسوع نفسه (يو١٦: ١٢ و١٣) والروح عصمهم من الخطإ وامدهم بالنور والمعرفة فجاءت شهادتهم للمسيح طبق الواقع (اع١: ٨) سواء كانت شهادتهم قولاً أو كتابة فالمسيح دليل نفسه

(ثانياً) ان اعلان الله اومظهره لايمكن ان يكون كتاباً بل يجب ان يكون شخصاً وحتى تطلع الناس على حياته واعماله وتعليمه يجب ان

تكتب في كتاب تحت ارشاد وهيمنة من هو معصوم من الخطإ ومنزه عن الكذب ومن يطالع على الكتاب المقدس بروح الاخلاص والصلاة تنجلي له الحقيقة في ثوبها الناصع ويجد المسيح الموعود به في التوراة والمسطورة حياته في الانجيل بانه «المخلص» «وكلمة الله» وهو الشخص الوحيد الكفؤ لاعلان الله للناس وقد اعلنه في صفاته وحياته وسيرته وموته وقيامته وتعليمه ووعوده ويقتضى هذا الاعلان الوحيد في بابه يحل الانجيل معضلة الدهور التي لم يستطع كتاب آخر ان يحلها الا وهي كيف الاله الغير المحدود يعلن نفسه لمخلوقاته المحدودة؟ هذه معضلة اجهدت الفلاسفة عقولهم في حلها واسفر اجتهادهم عن خيبة حتى ان علماء اليهود الذين لم يؤمنوا بالمسيح عجزوا ايضاً عن الاجابة على هذا السؤال، وكذا عجزت علماء الاسلام وما اتوا به من الحل اوهى من بيت العنكبوت ومن اقوالهم في هذا الصدد ما ورد في كتاب ميزان الموازين قال المولف «كل مدرك لا بد له من وسيلة يدرك بها وعليه يجب ان يكون بين المدرك والمدرك صلة يتذرع بها الى الادراك ولما كان الله غير محدود وخلائقه محدودة انعدمت كل علاقة وانقطعت كل صلة بين الطرفين وعليه لم تكن ثمت وسيلة للانسان ان يدرك الله ولا اي مخلوق كائناً ما كان يستطيع ان يدرك الخالق عز وجل الا ان

مؤلف ميزان الموازين زعم انه يوجد مخلوق يدعى المخلوق الاول الذي بحسب الحق الاعظم خليقة الله الوحيدة وجمال الإزل المطلق والنور الكلي ومظهر الله الكامل فلما قصد الله ان يخلق الخلق ويعلن لهم ذاته خلق هذا المخلوق الاول فصار موضوع محبته ومظهر صفاته وبما ان الله احبه فقد احب الله كذلك وهذا المخلوق على زعم المؤلف الوسيط الاعظم والنبي المطلق وكل ما حدث من بدء الخليقة وما يحدث الى المنتهى حدث بواسطته ·

هذا الرأي كيفما كان ليس له اصل في الاسلام وانما تطرق اليه من اصحاب البدع وفلاسفة الوثنيين كاريوس الهرطوقي فانه زعم انه يوجد مخلوق اول قد خلق الله به العالم وكذا زعم ماني الفارسي الا ان هذا الاخير قال ان الشيطان بعد ذلك خلق الانسان على صورة المخلوق الاصلي وصورته هو اي جمع فيه النور الاعظم والظلمة كما في العالم الصغير ثم انه توجد طائفة يقال لها النحشية او عبدة الافاعي اوالعرفاء قد اعتادوا ان يحترموا الخنثى ويدعونه غير المغلوب ويزعمون ان معرفته بداية معرفة الله ومن اقوالهم ان بداية الكمال معرفة الانسان ونهايته معرفة الله وعندهم ان آدم خلق على صورة ذلك الانسان الذي يدعونه الانسان الاعظم والاكمل ومما يشبه هذه الآراء ما يزعم قوم

من فرق اليهود يدعون «بالقبالاه» وهؤلاء اخذوا عن الوثنيين ايضاً كما أخذ عنهم المسلمون فقالوا ان الله الغير المحدود اراد من الازل ان يعرف وللوصول لهذا الغرض انبثق منه كائن ومن ذلك الكائن انبثق كائن آخر وهلم جرا الى العشرة ومن هؤلاء العشرة يتألف الانسان الاصلي ويسمونه بلسانهم (اذام قذمون) او الانسان السماوي ورأسه مؤلفة من الانبثاقات الثلاثة الاولى وان آدم او الانسان الترابي خلق على صورته بدون وضوح .

غير ان هذه التخمينات مع كونها من مواليد الاوهام لم تهد السبيل قط الى حل المعضلة المتقدمة وذلك لان المخلوق الاول مهما بلغت عظمته وسمت صفاته لا يزال مخلوقاً وبينه وبين الله ما لا يحد ولا يقاس وعليه لا يقدر ان يدرك الله لانه لا صلة بين المحدود والغير المحدود كما قرر مؤلف ميزان الموازين فضلاً عن ان بدعة المخلوق الاول تؤدي الى عبادته دون الله وهذا هو الشرك الذي يقول عنه القرآن انه خطية لا تغتفر بعينه .

اما الانجيل فيجيبنا على السؤال الغامض افضل اجابة بينما الفلاسفة والعلماء عجزوا عن تصور وجود « كلمة الله » الذي هو واحد مع ابيه بالذات (يو ١٠ : ٣٠) وصار واحداً مع الانسان بتجسده. فالكتاب الذي

اظهر لنا هذه الحقيقة يجب ان يكون صادراً عن الله.فالفرق اذاً بين تعليم المسيحيين وفلاسفة الاسلام في ما تقدم ذكره هو ان اولئك الفلاسفة استنبطوا من عالم الخيال كائناً لا هو إله ولا إنسان وقالوا انه هو الوسيط بين الله والناس وشفعوا استنباطهم لهذا الكائن بآراء يهودية ووثنية مبنية على الحدس والتخمين. واما نحن النصارى فنقول ان الوسيط الوحيد بين الله والناس هو يسوع المسيح الذي هو انسان تام واله تام واستندنا في قولنا لا على رأي الفلاسفة ولا المبتدعين بل على كتاب الله الامين.ومن المعلوم ان المسيح كائن حقيقي وليس وهمياً افترضوا وجوده للضرورة بل له وجود حقيقي كما هو مثبوت في الانجيل والقرآن. هذا الذي اعلن الله لنا بمثال حياته الكاملة في القداسة كما باقواله وهو الذي قدم لله كفارة عن خطايانا بذبيحة نفسه على الصليب فان قارنت بين آرائهم وآرائنا ظهر لك الحق من الباطل وتعرف اي الفريقين المبتدع وايهم المتبع لتعليم الله على لسان انبيائه ورسله الذين أوحى اليهم الكتاب بالروح القدس

(ثالثاً) نقول ومن الادلة على كون الانجيل من الله انه يملأ فراغ النفس من حيث شوقها لمعرفة الله، وتبريرها امامه تعالى من تبعة الاثم، ومغفرة خطاياها، وتطهير القلب والحياة (١) يخبرنا الانجيل بقصد

الله الازلي من جهة الانسان ويشرح على التوالي السبب الذي من اجله خلق وكيفية سقوطه في حمأة الخطية وحاجته العظمى الى القداسة (٢) يخبرنا كيف نحصل على مغفرة خطايانا بالايمان بالمسيح وبذلك نتبرر امام الله (٣) وكيف تطهر قلوبنا بالايمان بالمسيح وتصبح هيكلاً لسكناه وتتنقى افكارنا ورغائبنا من الخبائث وكيف تشددت عزائمنا في الجهاد ضد الخطية وابليس كلما عظمت محبتنا له (٤) ويرينا كيف اننا بالايمان بالمسيح نصير اولاد الله المختارين وتفيض قلوبنا سلاماً وفرحاً روحياً متوقعين بالتحقيق واليقين وبفروغ صبر ذلك اليوم السعيد الذي يقوم فيه الاموات وحينئذ نتمتع بالسعادة الدائمة والقداسة الكاملة في حضرة الله. وبالاجمال ما من رغبة روحية تصبو اليها النفس الا وهي متوفرة في الانجيل فاذا هو رسالة الله الى ابن آدم المسكين.

ومن المحقق الذي دل عليه الاختبار ان كتب اهل الاديان الاخرى لا تؤدي باصحابها الى شيء مما ذكرنا فاي كتاب منها يسكّن روع الخاطئ من هول الحساب واي منها يستميل القلب لمحبة الله واي منها يكلف الانسان بطهارة القلب والحياة ويعده لسماء طاهرة لا تدخلها الشهوات ولا تحوم حولها الادناس يسكن فيها جماعة المخلصين الذين نالوا الحرية الكاملة من كل عيب ودنس ونقص

الى غير ذلك مما هو مغاير لطبيعة الله الكلي القداسة فهذه الكتب لا تدل على طريق الخلاص من الخطية ولا احراز القبول لدى الله بل تغادر الانسان بدون ان تروي له غليلاً نعم قد تأمره بالحج والصوم ونحر الضحايا مما ليس له اقل مساس بنقاوة القلب ولا باعلان صفات الله فيصبح المتعبد بها هائماً لا يستقر على حال من القلق منفياً من بيت الآب السماوي .

(رابعاً) ومن الادلة على كون الانجيل من الله هو تجديد القلب والحياة الذي يحصل عليه الذين يقبلون تعليمه ويبتدئ هذا التجديد من الداخل ويمتد الى الخارج وهو من الاهمية بمكان حتى انه وصف بالميلاد الثاني الروحي (يو٣ :٣ و٥) ويتم بواسطة عمل روح الله القدوس

(خامساً في الكتاب المقدس معلنة صفات الله العظمى التي يتشوق الانسان الى معرفتها ومؤهل لادراكها الى حد معلوم — صفاته الكمالية. كالقداسة والمحبة والرحمة والعدل وصفاته الجلالية كالقدم والقدرة والحكمة والخلق وحفظ الكون هذه الصفات وتلك مبينة بمزيد الوضوح على السواء وجاء في الكتاب ان الله اعلن نفسه في الرب يسوع المسيح الذي جال يصنع خيراً ولم يصرف احداً من امام وجهه

خائباً من الذين اتوه طالبين منه المغفرة والمعونة. ومع انه كان منزهاً عن الخطية قد اظهر الانعطاف نحو الخطاة المعترفين بخطاياهم الخائفين من دينونة اليوم الرهيب ورحمهم. وقد كلفه ذلك تضحية حياته حتى يتهيأ له انقاذ الذين يؤمنون به من سلطان الخطية ونتائجها المريعة. فلم يخبرنا اذاً الكتاب بصفات الله بالكلام والامثال من اساليب التعبير فقط بل اظهره لنا بالعيان وجهاً لوجه حتى يراه كل من اراد في حياة يسوع المسيح وعلى ذلك قوله «الذي رآني فقد رأى الآب» (يو ٩:١٤) وبهذا الاعلان الوحيد ادركنا اكثر بكثير من غيرنا كم هي مكروهة الخطية في نظر الله القدوس وانه بدون قداسة لا يتمتع احد برؤية الله (عب١٢ :١٤) وها كم فلسفة القدماء والمتأخرين بين ايدي طلبة العلم فهل رأيتم كتاباً من كتبهم يصف الله بما يصفه به الكتاب المقدس من صفات الكمال؟ اظن لا. بل اقول حتى الكتب المقتبسة من الكتاب المقدس ضلت ضلالاً بعيداً لانها فيما هي تعلم عن وحدة الله فاتها ان تقرر الطريقة الوحيدة التي بها اعلن الله نفسه للناس وتركت بين الخالق والمخلوق برزخاً لا يعبر مع ان الوصول لله بيت القصيد في الدين كله

(سادساً) ان روحانية الانجيل اشرف وانقى وارفع من اي كتاب

آخر وكل المساعي التي بذلت لانكار هذه الحقيقة اسفرت عن خيبة. فاستعار بعضهم اقوالاً مأثورة عن فلاسفة الصين والهند واليونان وارادوا ان يضاهوها بما يقابلها في الانجيل. ومن امثلة ذلك علم المسيح تلاميذه قانوناً ذهبياً «كل ما تريدون ان يفعل الناس بكم افعلوا هكذا انتم ايضاً بهم» (مت٧:١٢) وعلم بعض الفلاسفة في الهند واليونان الصيغة السلبية من هذا القانون الذهبي فقالوا لا تفعلوا بالآخرين ما لا تريدون ان يفعلوه بكم. فمن يتأمل في القولين يجد الفرق بعيداً كبعد السموات عن الارض وكذلك كونفوشيوس فيلسوف الصين المشهور ذكر ذلك القانون بالصيغة السلبية مراراً ولم يذكره ولا مرة واحدة بالصيغة الايجابية الا ان حفيده كنغ تشي اقترب الى الصيغة الايجابية اكثر منه حيث يقول ان اربعة اشياء ترفع قدر الانسان لم اظفر بواحد منها بعد الى ان قال عن الشيء الرابع وددت ان اعامل صديقي كما اريد ان يعاملني لكني لم ادرك هذه الغاية. ومع ذلك لا يزال بين قوله وقول المسيح فرق عظيم لان المسيح اوجب المعاملة بمقتضى ذلك القانون لكل الناس واما هذا الفيلسوف فقد حصرها بين الخل وخليله فضلا عن كونه اقر بفشله .

وكثيراً ما اجتهد العلماء ان ينقبوا ويبحثوا في جميع ما وصلت

اليه ايديهم من كتب الاديان والحكم والامثال وجمعوا من الوصايا والشرائع ما قدروا ان يجمعوه فكانت النتيجة ان وصايا ذلك الكتاب الصغير اعني به الانجيل افضل واسمى مما استطاعوا ان يجمعوه من كتب العالم كافة. على ان الوصايا التي جمعوها كانت اشبه الاشياء بكومة من الزهور الذابلة اما وصايا الانجيل فكزهور نضيرة وكجنة فيحاء فيها كل مالذ وطاب. اليس هذا وحده دليلاً راهناً. انه موحى به من الله؟ والا فكيف استطاع كتبة الانجيل ان يضمنوه ما اودعته الحكماء والفلاسفة في بطون كتبهم من خالص الوصايا وصميم الشرائع في الهند والصين واليونان ومصر والفرس والرومان في كل زمان ومكان الا ان يقال ان الله المحيط بكل شيءٍ اوحى الى رسله الاطهار بما ليس في استطاعة العلماء اجمع ان يأتوا به؟ فتأمل

واهم من ذلك لنا في حياة المسيح على الارض كما دوّنها رسله الاطهار اعظم ناموس واصلح مثال فانه عاش حسبما علم من الوصايا الذهبية عديمة النظير. وعدا هذا كله فان الكتب الاخرى وان تضمنت شيئاً من الوصايا الجيدة لم تخل من التعاليم الخبيثة التي طالما ادت الى البوار وليس الخالص من الشوائب كالممزوج بها امتزاج السم بالدسم كفخذ الضان الذي قُدم لمحمد واصحابه بعد واقعة خيبر

فهو طعام شهي لكنه موت زؤام واما الانجيل فلا يحمل بين دفتيه الا الصلاح المحض .

بقي علينا ان نقول ان الانجيل لا يأمر بالصلاح ويدع الانسان وشأنه بل يمنحه القوة التي تدفعه الى العمل — ما هي تلك القوة العجيبة؟ — المحبة للمسيح — قوة لا توجد الا في الانجيل. سأل تلميذ مسيحي احد علماء الهند البوذيين قال انك قرأت الكتاب المقدس وقرأت كتبكم فماذا وجدت؟ قال وجدت احساسات شريفة في كل من كتبكم وكتبنا الا ان الفرق عظيم وهو انكم معاشر النصارى تعرفون الواجب ولكم من القوة ما يؤهلكم للعمل اما نحن فنعرف الواجب ولكننا غير قادرين على القيام به. فمثل الاديان الاخرى مثل قوم مدوا سكة حديد ولكن ليس لهم القوة المحركة واما الديانة المسيحية ففضلاً عن كونها مدت سكة اقوم سبيلا ففيها القوة المحركة التي تحرك الطالب الى السير وتلك القوة هي المسيح والفرق جوهري وعظيم. ولا يبرح من ذهن القارىء الكريم ان فيلسوف الصين لم يذكر اسم الله في جميع مؤلفاته الا مرة واحدة وتلك المرة ليست من كلامه بل مقتبسة فهو ليس من رجال الدين بالمرة

(سابعاً) ومن الادلة على ان الكتاب المقدس موحى به اتمام

النبوات المتضمنة فيه مما ليس له نظير في كتب الاديان الاخرى فانه عدا النبوات الكثيرة الواردة في اسفار العهد القديم بشأن المسيح وتمت فيه كما هو مقرر في اسفار العهد الجديد قد وردت نبوات اخرى ليست اقل من الاولى. سأل ملك من ملوك بروسيا مسيحياً قال هل تقدر ان تبرهن على وحي الكتاب بكلمتين اجاب «اليهود يامولاي» ان النبوات التي وردت في الكتاب عما يصيبهم تحققت كما تشاهد احوالهم اليوم ومن امثلة ذلك ما ورد في (تث٢٨: ١٥ — ٢٨ وميت٢٤: ٣ — ٢٨ ومر١٣: ١ — ٢٣ ولو٢١: ٥ — ٢٤) وكما تمت النبوات عن اليهود تمت النبوات الاخرى المنذرة بخراب نينوى وبابل وكثير من المدن العظيمة وعدا ذلك قد تنبأ دانيال النبي قبل ملك الاسكندر بزمن طويل عن انتصاره على مادي وفارس وانقلابهما (دا ٨: ٣—٢٧) وعن انقسام مملكة الاسكندر من بعد موته وقد حقق التاريخ ذلك.ثم تنبأ الانجيل عن امتداد الديانة المسيحية وما يلحقها من الاضطهادات كما تنبأ عن قيام الانبياء الكذبة والارتداد عن الايمان وسريان الالحاد والكفر في الايام الاخيرة وكل ذلك تحقق كما هو مشاهد بالعيان فليس سوى الله علام الغيوب الذي سبق وانبأ بهذه الامور على ألسنة كتبة الاسفار المقدسة .

(ثامناً) ومن الادلة على وحي الكتاب المعجزات التي اتى بها المسيح ورسله ومن اهمها قيامة المسيح من الموت بعد ثلاثة ايام في القبر مما يؤيد دعواه انه مخلص العالم «وكلمة الله» .

(تاسعاً) يظهر حق الانجيل من انتشار المسيحية في العصور الاولى وغلبتها على وسائل التدمير التي اثارها عليها ابليس والاشرار (مت١٦: ١٨) ولا تزال رافعة اعلام النصر الى عصرنا الحاضر والعجب العجاب انها انتشرت وغلبت بدون وسائط بشرية لان الرجال الذين وكلت اليهم الكرازة بالانجيل كانوا فقراء مالاً وعلماً وكرزوا بما يخالف رغائب الناس واميالهم وعوائدهم وبما هو بعيد عن عقولهم وتصوراتهم واشترطوا على الذين يقبلون كرازتهم ان يقبلوا الاضطهاد من الاعداء مهما اشتدت وطأته حتى الموت الاليم بدون ان ينتقموا لانفسهم حتى ولا يطلبوا النقمة من الله على مضطهديهم بل بالاحرى يباركوهم ويدعوا لهم بالدعوات الصالحات (اع٧: ٦٠) فمن كان يظن ان ديانة كهذه يروج سوقها في هذا العالم الاثيم ولكن بما انها من عند الله راجت بالرغم عن سهام الاعداء الملتهبة حتى انه لم يمض عليها بضعة قرون حتى امتدت الى كل جهات المعمورة وقلبت كيان الوثنية رأساً على عقب في سوريا ومصر وآسيا الصغرى واليونان والرومان الى غير

ذلك من البلدان المشهورة بدون سيف ولا اكراه بل بالايمان واللطف والمحبة والشجاعة الادبية والامانة حتى موت الاستشهاد مع الكرازة ببساطة الانجيل.ألا يدل كل ذلك على ان روح الله القدوس ايد المسيحيين الحقيقيين وافرغ عليهم صبراً وشجاعة حتى شهدوا لسيدهم واستمالوا قلوب الاعداء الى صوبهم وربحوهم للايمان بالمسيح الى ان صاروا له جنوداً واعواناً.نعم اننا لا ننكر ان بعض الاديان الاخرى انتشرت ولكن بالترغيب والتهديد العاجلين والآجلين مثل ان يأتي الداعون البلاد يحملون في اليد الواحدة الكتاب الذي يدعون اليه وفي اليد الاخرى السيف.ولست اخالك تجهل ان السيف عند الكثيرين برهان قاطع ودليل ساطع حتى قالوا انه اصدق انباء من الكتب واما الترغيب مثل ان يرغبوا الناس بتعدد الزوجات وتبديلهن من حين الى حين بما لذ وطاب في هذه الحياة الدنيا وتعليق رجائهم في الحياة الاخرى بزوجات اكثر وجمال رائع فتان فان انتشرت ديانة بمثل هذه الوسائل لا يكون انتشارها دليلاً على كونها من عند الله لان الله قدوس يبغض الشر ويمقت الفجور والبغي والبهتان فشتان بين المسيحية وبين الاديان الاخرى .

فان قست الكتاب المقدس على الشروط التي نتوقعها بالبداهة

في الوحي الحقيقي حسبما ذكرنا في المقدمة نجدها متوفرة فيه بحيث لا نتردد في الجزم بانه موحى به من الله وخصوصاً لانه يشهد من اوله الى آخره ليسوع كلمة الله إي مظهره الكامل الحقيق

الفصل الثامن

في الكيفية التي انتصرت بها الديانة المسيحية في القرون الاولى

لما بدأ الرب يسوع المسيح يكرز بالانجيل اختار من بين اتباعه اثني عشر رجلاً الذين علمهم الحق ودربهم على التبشير وكان هو الحق فبمجرد وجودهم معه ومعاينتهم اعماله ومعجزاته وسماعهم اقواله و تعاليمه عرفوا الحق بمعنى انهم عرفوا الله في شخص المسيح بانه الآب السماوي القدوس الصالح (يو١٤: ٦—١٠ و١٧: ٣) ودعاهم رسلاً (لو٦: ١٣) لانه كان قاصداً ان يرسلهم الى العالم (قابل سورة الصف آية ١٤) ثم لما اكمل عمله وقام من بين الاموات وكان على وشك الصعود سلم اليهم مأمورية الكرازة ووكل اليهم ان يتلمذوا جميع الامم (مت٢٨: ١٩) ويشهدوا له الى اقصاء الارض (اع ١ : ٨) ولما كان الانسان ضعيفاً ومعرضاً للزلل امرهم ان يمكثوا في اورشليم حتى يرسل اليهم الروح القدس يقويهم ويذكرهم بالحق ويعصمهم من الخطإ في تبليغ

الرسالة ويعد لهم القلوب ووعدهم بانه يرسله بعد ايام قليلة (اع ١ : ٥ ويو١٤: ١٦ و١٧ و٢٦ و١٥: ٢٦ و١٦: ٧—١٥ واع ١: ٤ و٨) وامتثالاً لامره (لو٢٤: ٤٩ واع ١: ٥) مكثوا في اورشليم منتظرين اتمام الوعد. ففي ختام خمسين يوماً من قيامته اوعشرة ايام من صعوده كانت الرسل مع جماعة من المؤمنين يبلغ عددهم جميعاً مائة وعشرين يصلون ويسبحون الله واذا بصوت كما من هبوب ريح عاصفة ملأ كل البيت حيث كانوا جالسين وظهرت لهم ألسنة منقسمة كانها من نار واستقرت على كل واحد منهم وامتلأ الجميع من الروح القدس وابتدأوا يتكلمون بألسنة اخرى كما اعطاهم الروح ان ينطقوا (انظر اع ٢: ١—١٣) ومن ذلك الوقت ملأهم الروح القدس بالمحبة والايمان والغيرة الصالحة والشجاعة الادبية ومعرفة الحق (يو ١٤: ٢٦ و١٦: ١٣) الذي اراد الله ان يعلنه لهم وان يبلغوه للعالم ومما يدل على صدق ارسالهم الى العالم انه وهب لهم ان يتكلموا بألسنة اخرى (اع ٢: ٤) ومن ذلك الوقت لم نسمع ابداً انهم بشروا في بلاد اجنبية بعد درس لغاتها . ان الله تعالى اعطاهم قوة التكلم بالالسن كعلامة على ان روح الله يعينهم على الكرازة باية لغة اينما ذهبوا وان بعضاً من الرسل ان لم نقل كلهم ايدهم الله بالمعجزات الباهرة في شفاء المرضى واقامة الموتى كمعجزات سيدهم

(اع ٢:٤٣ و٣:١—١١ و٥:١٢—١٦ و٨:١٧ و٩:٣١—٤٣) الا انهم عملوا هذه المعجزات باسم المسيح وليس بقوتهم ولا تقواهم (اع ٣: ٦ و١٦)

وبعد ذلك ببضعة سنوات اهتدى بولس الى الايمان بالمسيح بمعجزة عجيبة (اع ص٨) وبعثه المسيح رسولاً وايده بالمعجزات كفائق الرسل (اع ١٤:٨—١٠ و١٩:٦و١١و١٢و٢٠:٩و١٠ و٢٨:٨ و٩) ومما يجب ملاحظته ان المعجزات اعطيت في بداءة الديانة المسيحية الى زمن معين لاجل تأييدها في الغالب الى آخر زمان الرسل ولو كانت استمرت المعجزات كل الزمان الى العصر الحاضر لاصبحت اعتيادية وفقدت ما لها من السلطان في تأييد جماعة الرسل في ما كتبوه من الاسفار المقدسة وما كرزوا به ولذا أيد الله بها المؤسسين الاولين لتثبيت الايمان وتشجيعهم على احتمال عذاب الاضطهاد (عب ٢ : ٤) ولم نقرأ قط لا عن المسيح ولا عن رسله انهم عملوا المعجزات لاقناع غير المؤمنين وحملهم الى الايمان .

واعلم ان الروح القدس ساعد الرسل في مناداتهم بالانجيل وكتاباتهم وعصمهم من الخطإ وارشدهم الى الحق الذي اراد الله اعلانه للناس فما كرزوا به وما كتبوه ليس كلامهم بل كلام المسيح (مر١٣:

١١ ويو١٤ : ٢٦ ورو١٥:١٨ و١٩ و١كو ١٢:٢ و١٣ و١تس ٢ : ١٣)
فمن قبلهم قبل المسيح ومن رفضهم رفض المسيح وعلى ذلك قوله «الذي يسمع منكم يسمع مني والذي يرذلكم يرذلني والذي يرذلني يرذل الذي ارسلني» (لو١٠:١٦) وعليه فجماعة الرسل صادقون في دعواهم بالرسالة من الله (١كو١:١ وغل١:١ و١بط١:١)

ثم ان قوة الله وفاعلية الحياة المقدسة التي عاشها المسيح على الارض ظهرت تمام الظهور بكرازة الرسل وذلك لانه لم يمض وقت طويل حتى ان الوفاً كثيرة من اليهود بل من نفس الكهنة اعتنقوا الديانة المسيحية (اع ٢:٤١ و٤:٤ و٦:٧ و٢١:٢٠) وكذلك آمن من الامم جماهير كثيرة الذين انتقلوا من الظلمة الى النور ومن ملكوت الشيطان الى حرية مجد اولاد الله ومن عبادة الاوثان البكم الى عبادة الله الحي (١تس١:٩)

واعلم ان معجزات العهد الجديد التي اتى بها الرسل لم تذكر فقط في اسفارهم وفي مؤلفات المسيحيين الاولين بل شهد لها اليهود كما جاء في تلمودهم الا ان كتبتهم المتأخرين نسبوا معجزات المسيح الى السحر وكذلك شهد لسرعة انتشار الديانة المسيحية عدد ليس بقليل من كتبة الوثنيين منهم بليني وتاكيتوس وسلسوس والامبراطور

يوليان المرتد وقد اتخذ الاعداء كل وسيلة لمحو آثار المسيحية عن وجه الارض ولكنها بالرغم عن ذلك ثبتت امام الاضطهادات الجهنمية والاستشهادات الوحشية

ينكر بعض اخواننا المسلمين على تلاميذ المسيح لقب الرسول ولكن بانكارهم ذلك يظهرون عدم اطلاعهم على نفس كتابهم الذي يدعوهم (في سورة آل عمران آية ٥٢ والمائدة آية ١١٤ والصف آية ١٤) الحواريين واجمعت العلماء ان هذه الكلمة حبشية الاصل ومعناها رسول وفي نسخة العهد الجديد الحبشية وردت كلمة الحواريين موضع كلمة رسل (انظر لو٦:١٣) وهي مشتقة من كلمة تفيد باللغة العربية معنى ارسل ولذلك لا مسلم حريص على كرامة القرآن يتجاسر أن ينكر كون تلاميذ المسيح رسلاً او كون المسيح لم يصب في تسميتهم بهذا الاسم وان بولس تعين رسولاً ايضاً بعد تعيين الرسل الاولين بمدة وجيزة حينما ظهر له المسيح من السماء وهو مسافر الى دمشق الشام ودعاه اولاً الى الايمان ثم بعثه رسولاً (اع٩:١—٣٠ و٢٢:٢١ ورو١١:١٣ و٢كو١٢:١٢ و١تي٢:٧) وعدا ذلك فان نجاح الرسل في نشر بشرى الخلاص دليل على صحة رسالتهم لانه ظهر ختم الله على اعمالهم .

ومن المعلوم ان الجهاد بالاسلحة الجسدية لنشر الدين قد نهى عنه المسيح وعدّه جرماً عظيماً وعلى ذلك قوله لبطرس حالما جرد سيفه ليدافع عنه «رد سيفك الى مكانه لان كل الذين يأخذون السيف بالسيف يهلكون» (مت ٢٦:٥٢) وعدا ذلك فان المسيح يكره الرياء. والجهاد يضطر الانسان الى اعتناق الدين خوفاً من الموت أو الاضطهاد وهذا عين الرياء والنفاق فاذاً لا يقدر السيف ان يصيّر الانسان مسيحياً كما انه ليس بالسيف انتشرت الديانة المسيحية في القرون الاولى حتى في العصر الحاضر الذي رجحت فيه قوة النصارى على العالم اجمع لا تجبر المسيحية رعاياها المسلمين أو الوثنيين على اعتناق ديانتها بالسيف ولا بما هو دونه من وسائل الاجبار بل تتركهم وشأنهم يبتغون الدين الذي يصادف استحسانهم لانهم يعلمون ان الايمان الحقيقي لا يمكن ان يكون بالالزام والضغط وعليه فكل دين يمتد بالاكراه فهو ليس بحق وبالتالي ليس من عند الله. وفضلاً عن كون السيف لم يستخدم قط لصالح المسيحيين فانه استخدم لمقاومتهم واضطهادهم اكثر من اي دين آخر على وجه الارض فان اكثر رسل المسيح استشهدوا في ختام حياتهم بعد ما عانوا اتعاباً وضيقات تفوق الوصف في خدمة الانجيل واوصوا أتباعهم بالصبر في احتمال انواع العذاب حباً بالمسيح وعمل

السيف فيهم وعملت النار بما ادهش مضطهديهم واستمال قلوب اعدائهم فانجذبوا الى المسيح حتى قال كبريانوس ان دماء الشهداء بذار الكنيسة وبات قوله مثلاً مضروباً وليس بالفصاحة والبلاغة جُذِبَ الناس الى الايمان بل بالعكس كانت كرازتهم بسيطة معنى ولفظاً (١ كو ٢: ١—٥ و١٢ و١٣)

ولما كتبوا البشائر والرسائل التي أُطلق عليها الانجيل بالهام الروح القدس لم يستعملوا لغة عالية لا يفهمها الا الراسخون في العلم بل كتبوا ما كتبوه بابسط العبارات مما يستطيع ان يفهمه الجمهور بغير عناء ليحصلوا من اقرب طريق على رحمة الله ونعمته ومحبته وصلاحه وحكمته فتستأثر قلوبهم الى الخلاص. والحق يقال ان كلام الله ينبغي ان يكون من النوع البسيط قريب التناول حتى ينتفع به السواد الاعظم من الناس الذين لا يفهمون الا قليلاً وهم عند الله كساداتنا العلماء لانه ليس عند الله محاباة (مز ١٤٥: ٩) وربما لاجل هذا السبب كتب الفيلسوف العظيم أفلاطون رسائل سقراط بلغة عصره المتداولة حتى يفهمها كل من يطلع عليها

ثم ان الانجيل لا يشجع احداً على اشباع شهواته البهيمية ولا يوهمه انه بمجرد اعترافه بالمسيحية ينجو من عقاب الدنيا والآخرة

مع إصراره على خطاياه (مت ١:٢١ ويو ٨:٣٤ ورو ٦:١ و٢ و١١ و١٥ — ٢٣) ووصف طريق الخلاص بانها ليست واسعة يعبر فيها الانسان وخطاياه معه بل ضيقة لا تسع الا الانسان وحده (مت ٧:١٣ و١٤) وعلم المسيح ورسله جماعة المؤمنين ان ارتكاب الخطية عبودية لابليس وانه مستعد ان يمنح الحرية الحقيقية من نيره الثقيل ومن نير الاهواء الجسدية والشهوات الردية ومن ذلك قول الرسول بطرس «ايها الاحباء اطلب اليكم كغرباء ونزلاء ان تمتنعوا عن الشهوات الجسدية التي تحارب النفس» (١ بط ٢:١١ و١٢)، وان يكونوا جنوداً امناء للمسيح مستعدين ان يقدموا حياتهم وذلك أولى من ان يرجعوا الى عبودية ابليس وعبادة الاصنام.

ولم يشتغل الرسل بين المتمدنين فقط ولا بنوع خاص بل اشتغلوا في كل البلاد المعروفة في عصرهم مثل مصر والشام ومكدونية وايطاليا وغيرها وظهرت نعمة الله للعيان في تحويل الناس الاشرار الى اناس صالحين

ومن العصر الرسولي ابتدأت المجامع المسيحية تنعقد في كثير من المدن الشهيرة مثل سوريا ومصر وآسيا الصغرى واليونان ومكدونيا وايطاليا. ولو ان المسيحية ابتدأت اولاً بين اليهود في ارضهم لكنها لم

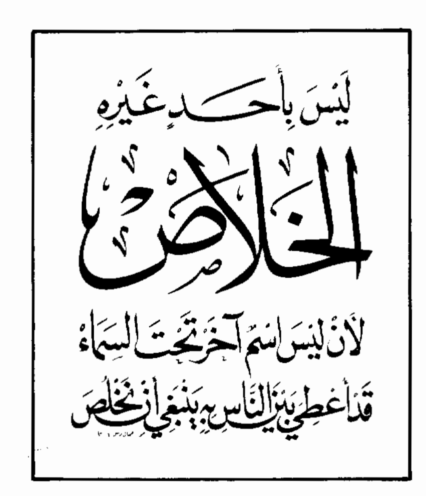
تلبث طويلا حتى انتشرت بين امم الارض كافة. وكان اليهود يسافرون ويتاجرون في جهات الارض المعروفة حينئذ فكان المهتدون منهم يبثون في الحل والترحال بشرى الخلاص واما اليهود الذين لم يؤمنوا فكانوا اول المقاومين والمعذبين الذين آمنوا ثم نسج على منوالهم بعد ذلك الوثنيون واخذوا يضطهدون المسيحيين بقساوة بربريه. ولكن كما قلنا على الرغم من هذا الاضطهاد تقدمت النصرانية الى اقصى اطراف المسكونة بوسائل صالحة كالكرازة والصبر والمحبة واللطف وفعل الخير. فخشيت امبراطرة (أباطرة) الرومان من سطوة الانجيل على الوثنية التي يدينون بها فاثاروا على المسيحيين اضطهادات عنيفة وابتدأت هذه النكبات في زمن الملك نيرون ويقال انه هو الذي اعدم حياة بطرس وبولس الرسولين واحرق جماهير من النصارى احياء وجعل من ابدانهم مصابيح ومشاعل لانارة بساتين قصره ليلا. وكان الرومانيون في ذلك الوقت بلا دين غير انهم كانوا يتعبدون لملوكهم وسعوا جهد استطاعتهم ان يستميلوا مواطنيهم المسيحيين الى تلك العبادة المحرمة فلم يفلحوا فهجموا عليهم وساقوهم الى قبورهم بميتات شنيعة كسوقهم الى الوحوش في ملاعب رومية واستولوا على املاكهم وتكررت هذه

الكوارث من حين الى آخر في كل انحاء المملكة الرومانية مدة ثلاثة قرون .

وهذه المملكة كانت تمتد من اسكتلندا غرباً الى خليج العجم شرقاً رافعة اعلامها على شمال افريقيا ومصر وفلسطين وسوريا وآسيا الصغرى وتركيا في اوربا وفرنسا والمانيا والنمسا واسبانيا والبرتغال وبريطانيا ومع انها بلغت الى هذا الحد من العظمة وضخامة الملك فما استطاعت بكل سلطانها ان تزعزع اساس الكنيسة المسيحية بل ثبتت امام هجماتها الرهيبة كالجبل الراسي لان ذراع القدير كان يحميها وحقت عليها نبوة المسيح حيث يقول « على هذه الصخرة ابني كنيستي وابواب الجحيم لن تقوى عليها » (مت١٦ :١٨) وفضلاً عن كونها لم تتزعزع فانها امتدت وازهرت في وسط هذه البلايا الى ان تحولت معابد الاوثان في كثير من الجهات الى كنائس مسيحية ومما تحسن الاشارة اليه هنا هو انه مع كون النصارى غلبوا بصبرهم ولطفهم حتى عظمت طائفتهم لم يقاوموا مضطهديهم ولم يرفعوا في وجوههم سلاحاً لاهجوماً ولا دفاعاً سوى سلاح الصبر والتسليم لله حتى يأتيهم الفرج من لدنه تعالى .

وفي سنة ٣١٤ للميلاد اعتنق الملك قسطنطين الديانة المسيحية ولكنه لم يتعمد الا بعد سنين كثيرة من ذلك التاريخ وحينئذ نجا المسيحيون من الاضطهاد بل علت منزلتهم لدى الهيئة الحاكمة وهذا زين لكثير من الناس ان يتنصروا افواجاً افواجاً بدون توبة ولا تجديد ولا تعليم فادخلوا معهم الى الكنيسة اراء كثيرة وثنية ودب في النصارى روح الاهمال في مطالعة الاسفار المقدسة وانحرفوا الى اكرام القديسين وفترت محبتهم بعضهم لبعض واخذت العبادة المسيحية ان تميز في الطقوس والرسوم الكنائسية وفقدت الكثير من روحانيتها ونقاوتها الاولى وراجت سوق الرياء وكثرت البدع وعوض ان يحب اولئك النصارى بعضهم بعضاً كما اوصاهم الانجيل اخذوا يتجادلون ويتباحثون في المواضيع التافهة حتى سولت لهم نفوسهم ان يضطهدوا بعضهم بعضاً فانحدر جمهور منهم في وهدة الخطية وتعبد آخرون لمريم العذراء والقديسين والتماثيل وهذه الاعمال هيجت عليهم غضب الله حتى انه كما سلط على اليهود لاجل تمردهم وعصيانهم ملوك بابل واشور واليونان والرومان هكذا سلط على النصارى لاجل تأديبهم العرب خصوصاً في بلاد الشرق (رؤ ٩: ٢٠و٢١) اما الآن فكثير من الكنائس

الشرقية استنارت ورفضت عبادة الصور والتماثيل واقبلت تطالع الاسفار المقدسة وتسير بموجبها حسب ارشاد الروح القدس وقامت طائفة منهم تكرز بالانجيل للمسلمين واخيراً نقول ان المسيحيين على اختلاف مذاهبهم يؤمنون بالكتاب المقدس ويعتقدون بالمسيح كلمة الله ويتكلون على كفارته التي قدمها على الصليب لاجل خطايا العالم فليرتض الله اله كل رحمة ان ينير اذهان القراء الكرام حتى يشتركوا معنا في هذا الخلاص المجيد المقدم مجاناً للعالم اجمع بالمسيح يسوع الحي .



٥ ــ ما هي الوعود المهمة في العهد القديم التي تدل على مجيء المسيح وحياته وخدمته على الارض؟

٦ ــ ما هي الاثباتات القرآنية على أنّ المسيح لم يخطىء قط؟

٧ ــ بأى طرق حدثت عملية الوحي في العهد القديم والجديد؟

أسئلة الفصل الثاني

١ ــ ما الذى يدل على كيان الله؟

٢ ــ ما هي الاسماء الحسنى التي تجدها في العهد القديم والجديد، وأين هي مذكورة؟

٣ ــ ما هي الخليقة الجديدة في قلوب الناس؟

أسئلة الفصل الثالث

١ ــ كيف ولماذا خلق الله الانسان؟

٢ ــ كيف سقط الانسان الى الخطية، والى أى مقدار يكون الانسان الطبيعي خاطئا؟ هل هو فاسد مطلق؟

٣ ــ ما هي غاية الله للانسان الخاطىء؟

٤ ــ ما هي أهم المبادىء في ناموس المسيح، وما الفرق بين الشعور الطبيعي بناموس الضمير وشريعة موسى ووصايا المسيح؟

المسابقة الثانية
لسلسلة كتاب ميزان الحق

أيها الاخ العزيز

ان درست الجزء الاول والثاني من كتب سلسلة ميزان الحق وفهمت معانيها فقد أدركت جزءا كبيرا من الايمان المسيحي بمقارنته مع الافكار القرآنية.

ونشجعك للتعمق أكثر. فدوّن أفكارك بواسطة الاجوبة على الاسئلة التالية وأرسلها الينا، فنرسل لك الجزء الثالث والاخير من سلسلة ميزان الحق مع مطبوعات قيّمة لتمجيد ربنا يسوع المسيح.

أسئلة الفصل الاول

١ ـ كيف يشهد القرآن على صحة التوراة والانجيل؟

٢ ـ ماذا تتضمن الاصحاحات الحادية عشرة الاولى من التوراة؟

٣ ـ ماذا تروي الاناجيل الاربعة؟

٤ ـ أين تجد الكلمات الجوهرية عن وحدانية الله في العهد القديم والجديد؟